

رُفَعَ

عن الرَّحْمَنِ الْجَنَّيِ
لِسَكَرِ الْبَرِّ الْفَوَّارِسِ
www.moswarat.com

أصلاء

سقوط الخلافة الإسلامية

في الشعر العربي الحديث

١٩٩٤ - ١٩٢٤

الدكتور

ماجد إبراهيم سلحب العامري



رَفِعٌ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبَخْرَيِّ
أَسْكَنَهُ اللَّهُ الْفَزُورَ كَسْ

www.moswarat.com

رَفِعُ

جَمِيعُ الْأَرْسَانِ لِلْبَخْرَيِّ
أُسْكَنَ لِلَّهِ الْفَرْوَانِ

www.moswarat.com

اصداء سقوط الخلافة الإسلامية

في الشعر العربي الحديث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُحْفَظَةٌ جَمِيعِ الْحَقُوقِ لِلنَّاشرِ

٢٠٠٥ - ١٤٢٦ م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٤ / ٤/٨٨٧)



٨١١,٠٩

العامري ، ماجد
أصداء سقوط الخلافة الإسلامية في الشعر العربي
الحديث ١٩٢٤-١٩٩٤ م / ماجد العامري . اربد: دار
الكتاب الثقافي، ٢٠٠٤ .
... ص.
ر.أ (٢٠٠٤ / ٤ / ٨٨٧)
الواصفات: / الشعر العربي // النقد الأدبي// التحليل
الأدبي//التاريخ الإسلامي//الخلافة// الإسلام //

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر (٢٠٠٤/٣/٧٢٥)

حقوق الطبع محفوظة © ٢٠٠٥ م. لا يُسمح ب إعادة
نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو
حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من
استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي
جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون
الحصول على إذن خطى مسبق من الناشر.

دار الكتاب الثقافي

لطباعة والنشر والتوزيع

الأردن / إربد

شارع إبدون إشارة الإسكان

تلفون

(٠٠٩٦٢-٢-٧٢٦١٦٦)

فاكس

(٠٠٩٦٢-٢-٧٢٥٠٣٤٧)

ص. ب. (٢١١-٦٢٠٣٤٧)

Dar Al-Ketab

PUBLISHERS

Irbid - Jordan

Tel:

(00962-2-7261616)

Fax:

(00962-2-7250347)

P. O. Box: (211-620347)

E-mail:

DarAlKetab@Excite.com



دار المشي للنشر والتوزيع

الأردن - إربد - تلفاكس: (٧٢٦١٦٦)

رَفِعُ
عبد الرحمن البغدادي
السنن للنبي الفروع
www.moswarat.com

أصْدَاء

سقوط الخلافة الإسلامية

في

الشعر العربي الحديث

١٩٢٤-١٩٩٤ م

الدكتور

ماجد إبراهيم سلحب العامري

دار الكتاب الثقافي

رَفِعٌ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبَخْرَيِّ
أَسْكَنَهُ اللَّهُ الْفَرْوَانَ

www.moswarat.com

لهم صرا

- إلى كل الناطقين بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله
- إلى جميع الناهين والمصلحين والداعية من أفراد أمتنا الإسلامية
- إلى كل من وضع نصب عينيه وحدة هذه الأمة وسلامة عقيدتها والنهوض بها إلى مراقي الفلاح لتقود العالم من جديد
- إلى والدي وزوجي وأولادي
- أهدي هذا الكتاب

رَفِعٌ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبَخْرَيِّ
أُسْكَنَهُ اللَّهُ لِلْفَزْوَارَكَ

www.moswarat.com

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتَوْبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّورِ أَنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضْلُلٌ لَّهُ وَمِنْ يَضْلُلُ فَلَا هَادِي لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْمَنْزَلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَإِنَّ رَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾
 (الآلبياء : ٩٢)

أما بعد

فإن الناظر في أحوال أمتنا الإسلامية في عصرنا الحاضر يرى انقسامها إلى أمم عديدة وإلى دويلات مختلفة، ويلمس تفرق كلمتها واختلاف نظمها ومذاهبها، ويحز في نفسه هذا الانقسام، ويوثر في وجданه وكيانه هذا التباين وعدم الانسجام.

وهذه الأوضاع السيئة والظروف القاسية التي ألمت بأمتنا قد لحقت بها نتيجة إلغاء الخلافة الإسلامية في بداية هذا القرن العشرين، في الوقت الذي كانت تجمع فيه شتاتها، وتؤلف بينها، وتفرض هيبيتها وشخصيتها وتبرز مكانتها كقوة كبيرة في العالم.

ولما كان الشعر هو وجدان هذه الأمة، وديوان العرب، وعنوان الأدب كما يقولون، وأنه أيضاً نافذة الإنسان على العالم يلعب دوراً كبيراً وهاماً في حياة العربي المسلم، حيث إن القرآن الكريم - دستور المسلمين - جاء باللسان العربي، وأن اللغة العربية إضافة إلى ذلك - هي لغة أهل الجنة ويفترض أن تكون اللغة الأساسية لجميع المسلمين، فإن الشعر العربي ظل بأخيته وصوره وأحاسيسه على مدار التاريخ مثار الإعجاب والانبهار والدافع القوي والحافز الملهم لإثارة الهم ودفع النفوس إلى معالي الأمور ونفائس الأفعال، حيث كان العربي في معظم حالاته وأوقاته لا يعبر عن تجاربه وانفعالاته إلا بالشعر.

ولما كان وقع سقوط الخلافة الإسلامية شديداً على النفوس، وكان بمثابة صدمة قوية على مشاعر المسلمين بشكل عام، قام الشعر بـأداء دوره في هذا المجال، فرثى الخلافة، وندد بالذين ساهموا في سقوطها سواء كان ذلك من قريب أو بعيد، وحتى هذا الوقت ما زال الكثير من الشعراء يستشرفون ويتعلمون إلى إحياء هذه الخلافة والدعوة إلى توحيد أمتنا الإسلامية تحت راية واحدة، راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، لتقود العالم مرة أخرى إلى ما فيه خير البشرية جماء.

كان هذا وغيره هو ما دعاني للتفكير في هذا الموضوع وجعلني أستخلص منه هذا البحث الذي اخترته موضوعاً لهذه الرسالة الجامعية، وجعلت عنوانه:

"أداء سقوط الخلافة الإسلامية في الشعر العربي الحديث" أو بالمعنى المقصود "رثاء الخلافة الإسلامية والحنين لها في الشعر العربي الحديث".

وهنا لا بد من التتوبيه على أن المقصود بالرثاء في الشعر هو الخلافة العثمانية الإسلامية، أما المقصود بالحنين والاستشراف فهو الخلافة الإسلامية بشكل عام تحت راية قيادة كانت وبأي شكل توحدت.

ومنذ بداية نمو فكرة البحث في ذاكرتي منذ عدة سنوات إثر حصولي على شهادة الماجستير من جامعة البنجاب في مدينة لاہور بدولة الباكستان الشقيقة سنة ١٩٨٧م، وأنا أجمع ما يتيسر لي من المراجع والمصادر المتعلقة بالبحث . علماً بأنني لا أزعم أنني قد استقصيتها جميعاً - ورغم ذلك فقد تجمع لدى منها مادة وفيرة، مما دعاني إلى اعتماد الانتقاء والاختيار وذلك لئلا يطول البحث لو استقصيتها جميعاً، ولن يكون من جانب آخر أكثر دقة وتركيزأ، وقد حاولت قدر الإمكان التقيد بدراسة النصوص المتعلقة برثاء الخلافة الإسلامية بعد إلغائهما، أو تلك التي تدعو إلى إحياء الخلافة الإسلامية أو الوحدة الإسلامية، ولم أغفل بالطبع تلك النصوص التي تناادي بالوحدة العربية ولكن شريطة أن تكون من خلال الوحدة الإسلامية الشاملة وتحت مظلتها، وأغفلت الأشعار الوحدوية الأخرى التي لا تلتزم هذا المنهج ولا تدخل في صلب الموضوع.

ونظراً لتوفر الكثير من مواد البحث لدى ، كما ذكرت ، حيث إن الفترة الزمنية التي تورّخ له والممتدة ما بين ١٩٢٤ م ١٩٩٤ حسب ما حددناه لها تعتبر فترة حديثة نسبياً وفي متناول يد الباحث، ولم تطوها يد النسيان بعد، فإنه لم تعرّضني والحالة هذه صعوبات تذكر، اللهم إلا ما تكبّته من مشاق السفر وعناء البحث والتقيّب في ثنايا المكتبات العامة والخاصة، والقراءات المتأنية والمتّسعة للعديد من دواوين الشعر والدراسات المتعلقة بالموضوع والتي استغرقت مني جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً ولكنها كانت سهلة وميسرة بحمد الله وتوفيقه.

أما بالنسبة للدراسات السابقة عن موضوع البحث، فلم أجد حسب معرفتي المتواسعة دراسة مشابهة لهذه التي قمت بها، ومن ثم استوّعت مثل هذه المساحة الزمنية له (١٩٢٤ م ١٩٩٤). اللهم إلا ما وجدته في بعض الكتب من أبواب أو فصول محدودة تتعلّق بالموضوع بصورة غير مباشرة وليسَ بحثاً قائماً بذاته.

وقد عالجت النصوص الواردة في البحث بالتمهيد لها وشرح معناها الإجمالي ثم التقيّب والتعليق عليها على إبراز الغايات التي تخدم الموضوع، وقد أرجأت الدراسات البلاغية والنقدية إلى الباب الثالث والأخير الذي خصصته لهذا المجال، وذلك باستثناء بعض النصوص التي تستدعي التفاعل معها واستعراض ما فيها من عناصر القوة والبيان.

هذا وقد أقمت هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة، تناولت في الباب الأول المقدمات التاريخية وقسمته إلى فصلين:

الفصل الأول: ويبحث في تعريف الخلافة وال الخليفة وشروطهما وواجباتها.
الفصل الثاني: تناولت فيه بصورة ميسرة ووجيزة مراحل تطور الخلافة الإسلامية من بدايتها كخلافة إسلامية راشدة سنة ١١ هـ الموافق ٦٣٢ م حتى إلغائها وسقوطها كخلافة إسلامية عثمانية سنة ١٣٤٣ هـ الموافق ١٩٢٤ م.

وفي الباب الثاني وهو أوسع الأبواب قمت بدراسة شعر الأصداء دراسة تفسيرية، وقسمته إلى توطئة وستة فصول:

التوطئة : تناولت فيها الشعر مفهومه ووظيفته العامة.

الفصل الأول: رثاء الخلافة الإسلامية والتحسر عليها.

الفصل الثاني: الوقوف على مواقع الخلافة والمداهن والآثار.

الفصل الثالث: الصورة الزاهية للخلافة ورموزها.

الفصل الرابع: أسباب سقوط الخلافة.

الفصل الخامس: آثار ونتائج سقوط الخلافة.

الفصل السادس: الحنين إلى إحياء الخلافة الإسلامية والدعوة إلى الوحدة الإسلامية وكل ذلك من خلال النصوص الشعرية التي تحمل هذه المعاني.

أما الباب الثالث والأخير: فقد تناولت فيه الظواهر الفنية والبلاغية لشعر الأصداء، وهو دراسة نقدية للأشعار الواردة في البحث من حيث العاطفة والتعبير والصور الشعرية والنكت البلاغية.

أما الخاتمة فهي تختصر بشكل موجز الأسباب والنتائج الرئيسية للموضوع، ومن ثم الخروج ببعض النصائح والتوصيات، وتبين الأساليب والمناهج التي يفضل اتباعها في مستقبل أمتنا الإسلامية لتحقيق خلافتها ووحدتها واستعادتها وكرامتها.

- وأخيراً فإنه يسعدني أن أنقدم بهذا البحث المتواضع الذي لا أدعى له الكمال، وأضعه بين يدي القارئ الكريم، آملًا أن يكون له حافزاً ومعيناً في ترسم طريق الوحدة الإسلامية الشاملة، داعياً الله سبحانه وتعالى أن تكون قد وفقتك في تحقيق الغاية المرجوة منه، والله من وراء القصد والحمد لله أولاً وأخراً.

الباب الأول

مقدمات تاريخية

الفصل الأول : الخلافة وال الخليفة :

- تعریفات وشروط وواجبات

الفصل الثاني: مراحل وتطور الخلافة الإسلامية

رَفِعٌ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبَخْرَيِّ
أَسْكَنَهُ اللَّهُ الْفَزُورَ كَسْ

www.moswarat.com

مقدمات تاريخية

١٥٦

لا شك أن الكتابة عن الخلافة الإسلامية: تعريفها ومقوماتها ومراحل تطورها وتاريخها منذ نشأتها وحتى سقوطها موضوع غزير المادة ومشعب الأطراف ولا نستطيع في مثل هذا البحث أن نوفيه حقه تماماً كمدخل إلى دراسة الموضوع الذي نحن بصدده البحث فيه وهو "أصياء سقوط الخلافة الإسلامية في الشعر العربي الحديث".

ولكننا سنحاول تسلیط الضوء ما أمكن على المعالم البارزة والنقط المهمة في هذا الموضوع وكذلك إلقاء بعض الضلال الموحية لإيضاح الرؤية حوله وذلك لتعلم الفائدة بهذه الدراسة وأن تكون متجانسة ومتکاملة نوعاً ما من الوجهتين التاريخية والأدبية.

وليس من شك أيضاً أن هذه المقدمة التاريخية التي سرّكز في متنها على وجوب إقامة الخلافة وتنصيب الخليفة، تهدف من وراء ذلك إلى إبراز أهمية الخلافة، خاصة في مثل هذه الظروف التي تمر بها أمتنا الإسلامية، وأنه لا سبيل للنهوض بهذه الأمة من كبوتها واسترجاع مكانتها وعزتها والتغلب على كل مشاكلها ونقطط ضعفها، ومعوقات نموها ونهضتها، إلا بالوحدة الإسلامية الشاملة أولاً وأخراً، تحت أي مسمى وبأي شكل كان.

والله من وراء القصد.

رَفِعٌ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبَخْرَيِّ
أَسْكَنَهُ اللَّهُ الْفَزُورَ كَسْ

www.moswarat.com

الفصل الأول

الخلافة وال الخليفة

تعريفات وشروط وواجبات

رَفِعٌ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبَخْرَيِّ
أَسْكَنَهُ اللَّهُ الْفَزُورَ كَسْ

www.moswarat.com

الفصل الأول

الخلافة وال الخليفة

أولاً - تعريف الخلافة وال الخليفة :

أ - في اللغة^(١) :

الخلافة كلمة عربية أصلية وهي مصدر من الفعل خلف، نقول:
 خلفه في قومه فهو خليفة في أمر ما وباقي عليه بعده، ونقول: استخلف فلاناً
 من فلان أي جعله مكانه ونيابة عنه.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَرُونَ أَخْلَقْنِي فِي قَوْمِي ﴾^(٢).
 وال الخليفة: فعل بمعنى مفعول، أي الذي يخلفه من بعده أو بمعنى فاعل: أي
 الذي يخلف من كان قبله، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَقِينَ
 الْأَرْضَ ﴾^(٣) و قوله: ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خَلَقَاتٍ ﴾^(٤).

وال الخليفة: هو السلطان الأعظم والجمع خلائف وخلفاء، والذي عليه العرف أن
 اسم الخليفة يطلق على كل من قام بأمر المسلمين منذ صدور الإسلام حتى
 انفراضاًها على يد الأتراك ببيعة أهل الحل والعقد وإما بعهد من قبله.

وكان حرص الخلفاء عليه أكثر من حرصهم على الألقاب الأخرى، لأنه في
 نظيرهم يؤكد صلتهم بالرسول ﷺ ويؤيد حقهم في طاعة المسلمين لهم^(٥).

(١) ينظر لسان العرب، والقاموس المحيط.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٤٢.

(٣) سورة الأنعام الآية ١٦٥.

(٤) سورة الأعراف الآية ٦٩.

(٥) د . محمد الصادق عقيفي، المجتمع الإسلامي وأصول الحكم ص ١٢٢.

ب- وفي الاصطلاح:

الخلافة: رياضة عامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن الرسول (ﷺ) وهي نظام إسلامي لم يوجد عند غير المسلمين، وهو نظام سياسي أساسه الدين. فالخليفة ينظر في مصالح الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الدنيوية والأخروية^(١).

وقد ورد في تعريف الخلافة عدة تعاريفات نجتزئ منها ما يلى^(٢):

"الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا"^(٣).

وهي رياضة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص، والأولى أن يقال هي خلافة الرسول في إقامة الدين وحفظ حوزة الملة بحيث تجب على كافة الأمة^(٤).

- "الولاية العامة على كافة الأمة"^(٥).

- "النيابة عن النبي في عموم مصالح المسلمين"^(٦).

- خلافة شخص من الأشخاص للرسول عليه السلام في إقامة القوانين الشرعية وحفظ حوزة الملة على وجه يجب اتباعه على كافة الأمة^(٧).

(١) د . عبد الحميد العبادي وآخرون، الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها.

(٢) د . سليمان أحمد العمري، نظام الحكم في الإسلام هل هو الخلافة
مقدمة ابن خلدون ص ١٩٠.

(٤) الأرجى، المواقف وشرحه ج ٢ ص ٣٤٥.

(٥) الفلاشندى، تأثير الانافه في معالم الخلافة ج ١ ص ٨.

(٦) إبراهيم الباجوري، تحفة المريد على جواهر التوحيد ٢٤٠ ص ٤٥.

(٧) البيضاوى، حاشية شرح الطوافع ص ٢٨٨.

- رئاسة عامة لل المسلمين جميعاً في الدنيا وإقامة أحكام الشرع الإسلامي وحمل الدعوة الإسلامية في العالم^(١).

ويرادف كلمة الخلافة دائمًا الإمامة:

وتعرف الإمامة بأنها رئاسة نامية وزعامة عامة تتعلق بالخاصة وال العامة في مهام الدين والدنيا، متضمنة الحوزة (الناحية) ورعاية الرعية، وإقامة الدعوة بالحجـة والـسيفـ، وكـفـ الـحـقـفـ والـحـيـفـ، والإـنـصـافـ لـلـمـظـلـومـيـنـ منـ الـظـالـمـيـنـ واستـبـقاءـ الـحـقـوقـ منـ الـمـمـتـعـيـنـ وإـيقـاؤـهـاـ عـلـىـ الـمـسـتـحقـيـنـ^(٢).

ثانياً - الخلافة: وجوبها وواجباتها:

أولاً - وجوب الخلافة:

الخلافة: واجبة في الأمة الإسلامية بحكم الإسلام حيث يقول الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْهَىٰ إِيمَانَهُمْ كُلُّ كُوْنٍ ﴾^(٣)

ويقول الرسول صلوات الله عليه "من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية "

ومن السنة الفعلية الإجماع منذ حكومة الرسول (صلوات الله عليه) حتى سقوط الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م، وقد سماها السلف الصالح بالإمامـةـ العـظـمـىـ بالـقـيـاسـ إـلـىـ الإمامـةـ الصـغـرـىـ - إـمامـةـ الصـلـاـةـ - ليـتـأـكـدـ بـذـلـكـ وجـوبـهاـ وـأـهـمـيـتهاـ، وـقـدـ جـاءـ فـيـ مـقـدـمـةـ اـبـنـ خـلـدـونـ "أـنـ نـصـبـ الـخـلـيـفـةـ وـاجـبـ وـتـرـكـةـ يـوـجـبـ الـإـثـمـ بـحـقـ الـمـسـلـمـيـنـ جـمـيعـاـ بـدـلـلـيـنـ:

(١) محمود الخالدي، قواعد نظام الحكم في الإسلام ص ٢٢٩.

(٢) الطريق إلى الخلافة (اختصار غيات الأمم في الثبات الظلم للجويني) محمد حامد الحسني.

(٣) سورة النساء الآية ٥٩.

(١) إجماع الصحابة والتابعين بمبادرةِهم فوراً عند وفاة النبي إلى تنصيب خليفة عنه.

(٢) بدونه لا يمكن إظهار شعائر الدين وإصلاح الرعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطبيق الحدود لحفظ الضروريات الخمس) (الدين والنفس والعقل والنسب والمال) ^(١).

ويقول الماوردي: الخلافة موضوعة لخلافة النبوة وموضوعة لحراسة الدين والدنيا وهي نظام واجب بالإجماع، وذلك أن اختصاص الخليفة حفظ الشرع فتعين الإمام حتم واجب على الجماعة الإسلامية وحيث أن القرآن يوصي بطاعة - ولئن الأمر، وإن فمصدر سلطة الإمام هو الله تبارك وتعالى ^(٢).

ويقول الحافظ ابن تيمية "يجب أن يعرّف أن ولاية الناس من أعظم واجبات الدين بل لا يقوم الدين إلا بها" ^(٣).

وما قاله ابن تيمية حق فالقرآن الحكيم صرّح بأن الغرض من إرسال الرسل هو أن يقوم الناس بالقسط فيقول الله سبحانه وتعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْكُمْ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ ^(٤).

وهناك نصوص من الكتاب والسنة كثيرة توجب المسلمين لزوم الجماعة والسمع والطاعة وتصريح بأن من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية.

وأما إقامة القسط والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة حدود الله ودفع الفتن من أرض الله بالقتال في سبيل الله فهذه أمور لا تتم إلا بالقوة.

(١) محمد كاظم حبيب، مؤامرة فصل الدين عن الدولة ص ١٣٥ .

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي.

(٣) السياسة الشرعية لابن تيمية.

(٤) سورة الحديد الآية ٢٥ .

ويؤكد الإمام ابن حزم وجوب الإمامة في قوله:

"اتفق جميع أهل السنة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وإن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة، حاشا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا " لا يلزم الناس فرض الإمامة وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم "(١)."

إذن يتبيّن لنا أن منصب الخلافة أو الإمامة واجب، ليتولى الإمام أداء هذه الواجبات نيابة عن المسلمين.

ويتبين كذلك أن الدين سيادة على الدنيا وأن تصريف شؤون الدولة جزء من واجبات الخليفة وأن ممارستها نيابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم فهي واجبة والتخلّي عنها يوجب الإثم الذي يعم المسلمين جميعاً وبذلك يكون المسلمون اليوم آثمون برمتهم لعدم وجود الخليفة الذي يرأس الدولة الإسلامية ويدبر شؤون الدين والدنيا نيابة عن الرسول الأعظم (صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ) (٢).

ثم بعد ذلك فإن في وجوب الخلافة تحقيق العدل الكامل للأمة "إذ أنه لا يتحقق العدل الكامل، ولا تكفل للناس سعادتهم في دنياهم وأخراهم ولا تتم وحدتهم ولا تتنظم الأمور إلا بوجود هذا النوع من نظم الحكم وهو "الإمامية" أي الحكومة الإسلامية القائمة على أساس الدين، إذن إن العدل المطلق إنما هو العدل الإلهي الذي تشمل عليه الشرائع السماوية، دون القوانين الوضعية وما "الإمامية" إلا تكميلة "للنبوة" وما هي إلا استمرار لقيادة الأنبياء وهدابتهم للناس وما هي إلا احتفاظ بالمبادئ والعقائد التي دعوا إليها وجاهدوا من أجلها"(٣).

(١) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ٨٧.

(٢) مؤامرة فصل الدين عن الدولة ص ١٣٥.

(٣) د . محمد ضياء الدين الرئيس، النظريات السياسية الإسلامية ص ١٤٠.

ثانياً - واجبات الخلافة - وحقوقها وفرضتها:

تكلم الفقهاء على الحقوق وقسموها إلى ثلاثة أقسام:-

- القسم الأول : حقوق الله التي تتعلق بواجبات العبادة أو الصالح العام للأمة، ولا سيما "الحدود" التي شرعها الله لأن عليها يتوقف كيان المجتمع.
- القسم الثاني: حقوق العباد: هي الحقوق التي تتعلق بالحقوق الخاصة أو حقوق الامتلاك للأفراد وهي تكتسب من طريق اعتراف القانون بأنواع معينة من المعاملات.
- القسم الثالث: وهي الحقوق المشتركة بين الله والعباد، ويمكن أن تعرف بأنها ما تجمع بين مصالح عامة للأمة ومصالح للأفراد، والحقوق الخاصة على العموم، من حيث هي ليست لها أهمية سياسية^(١) عليه فيمكن تصنيف الفروض والواجبات المتعلقة بالخلافة إلى ما يلي^(٢):-

الأول - الإمامة نفسها : أي إقامة الدولة الإسلامية الشرعية، لأنها الأصل الجامع وهي الأساس لكل ما عدتها الذي يتوقف عليه تنفيذ سائر الفروض أن إقامتها حق لله للأمة لأنها ستتظر في كل الحقوق.

الثاني - القضاء والنظر في المظالم : وهو من أعظم الفرائض التي اهتم بها علماء المسلمين، وغايتها - القضاء - إقامة العدل ورفع الخصومات وتنفيذ أحكام الشريعة، وأما "النظر في المظالم": وهو نوع من القضاء العالي إبتكره الإسلام تكون له سلطة أوسع ويتولاه الخليفة نفسه أو كبار القضاة. لأن الغاية أن يحاكم كبار أصحاب النفوذ في المجتمع أو الولاة أنفسهم أو عمال الدولة إذا اعتدوا على الناس.

(١) النظريات السياسية الإسلامية ٣٠١.

(٢) ينظر، النظريات السياسية الإسلامية ص ٣١١ وما بعدها.

الثالث - الجهاد : وهو الدعاء إلى الدين الحق، وهو الفرض الذي يتم به الدفاع عن الدولة والدين والوطن.

الرابع - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: هذا أصل جامع، وهو أعظم الفرائض وعليه يتوقف صلاح أمر الدين والدنيا، وقد وردت الآيات والأحاديث متتالية، صريحة في الدعوة إليه والإزام الأمر به.

من الآيات قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ مِّنَ الْمُنْكِرِ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١)

وقوله عليه السلام "ما أقر قوم المنكر بين أظهرهم إلا عذبهم الله بعذاب محضر".

الخامس - القيام بعلوم الدين والدنيا : ويقصد بذلك العلوم التي تؤدي إلى زيادة العمران وحفظ الحياة وازدهار الحضارة إلى جانب العلوم التي يتوقف عليها إقامة الدين وحفظ الشريعة وصحة العمل بأحكامها وما يتصل بذلك، كل هذه العلوم واجب على الدولة إقامتها والمحافظة على تعليمها والعمل على تقدمها واتخاذ الوسائل لنشرها حتى يتحقق الانتفاع بها.

السادس - توفير وسائل العمران : وهو من الفروض التي أوجبها الدين أيضاً على الأمة، وعلى الدولة أن تقوم بها - نيابة عنها - إيجاد الوسائل التي بها يتحقق العمران وتتوفر أسباب المعيشة للناس، وبها تكثر الثروة وينمو الإنتاج، وهذا مما يدل دلالة قاطعة على أن الإسلام دين إنشاء وتعمير، وتهمه شؤون الدنيا كما تهمه شؤون الدين.

السابع - التكافل الاجتماعي : من الفروض العامة أو الاجتماعية التي أوجبها الشارع على الأمة فالدولة، التكافل الاجتماعي فيما بينهم حتى لا يمسي أحد

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٤.

بينهم ذا حاجة، ويجد كل فرد مسلماً كان أو غير مسلم قادر كفایته وهذا مبدأ عظيم سبق الإسلام إلى تقريره كل النظم والشرائع التي يلهم الناس بالثناء عليها في العصر الحديث.

ثالثاً - الخليفة : شروطه وفرضه وواجباته:

تعريف الخليفة: هو الرئيس الأعلى للدولة الذي يلتزم بإقامة الدين وتثبيت مصالح الناس اقتداء برسول الله ﷺ^(١).

وحيث ثبت أن تولية الخليفة أو نصب الإمام واجب بالإجماع نظراً لأنه يجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية وأن منزليته من الأمة كمنزلة الرسول ﷺ من المؤمنين، وله عليهم حق الولاية العامة والطاعة التامة، ولهم عليه أن يلتزم في إدارته وتشريعاته وأحكامه التي يصدرها بأن تتم وفقاً لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع صحابته، كان لا بد من توفر بعض الشروط، فمن يتولى هذا المنصب المهم والخطير، وقد أجمع علماء الإسلام على أن شروط منصب الخلافة تتلخص في الشروط التالية:-

أولاً: أن يكون من أهل الولاية الكاملة^(٢):

وهي أن يكون: مسلماً .. حراً .. ذكراً .. بالغاً .. عاقلاً.

فالإسلام : لأن شرط في جواز الشهادة وفي صحة الولاية ولأن الغاية الأساسية من منصب الإمام هي تنفيذ شريعة الإسلام فكيف يمكن تنفيذ هذه الشريعة، أو كيف ترعاى مصلحة الإسلام وأهله أن لم يكن متولى هذا المنصب مسلماً.

(١) د . صلاح الدين أيوب، الخليفة توليه وعزله.

(٢) النظريات السياسية الإسلامية.

والحرية : لأن نقص فاقدها عن ولایة نفسه يمنع من انعقاد ولایته على غيره^(١) والمملوك لا يحق له شرعاً أن يتقلد رئاسة الدولة على رأي جمهور العلماء.

والذكورة : وذلك لأهمية المنصب وضخامة المسؤولية الملقاة على عاتق من يتولى هذا الأمر فيجب في مثل هذه الحالة أن لا تتعقد إمامية المرأة وذلك للأسباب التالية:-

أولاً: إجماع الأمة على ذلك ونهي الإسلام عن تولي المرأة منصب القيادة العليا وذلك لما يتحتم على الإمام من تولي الأمور العظام والمهام الجسمانية مثل قيادة الجيش ومحاربة الأعداء ومقارعة الأحداث وسياسة أمور الدولة وتحشيم المصاعب والمشاق التي لا تتحملها طبيعة المرأة التي فطرت على الرقة والعاطفة والحنان.

ثانياً: قوامة الرجل على المرأة بدليل قوله تعالى:-

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ إِمَّا فَضَلَّ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ هُنَّ﴾^(٢).

وقوله الرسول عليه السلام: «لن يفلح قوم ولو امرهم امرأة»^(٣).

وعلى ضوء ذلك لا يجوز أن تتولى المرأة قيادة المسلمين وسياسة أمرهم.

ثالثاً: لا تملك المرأة أمر نفسها في بعض الأمور كالنكاح مثلاً فكيف تتولى

أمر غيرها بإسناد الولاية إليها.

ويجوز والحالة هذه أن تتولى المرأة مناصب دون منصب الإمامة عند كثير من الفقهاء.

(١) الأحكام السلطانية ص ٢٦.

(٢) سورة النساء الآية ٣٤.

(٣)

والبلوغ : لأن الصبي غير مكلف شرعاً لقول الرسول (ﷺ) : (رفع القلم عن ثلث، عن المجنون حتى يفيق وعن الصبي حتى يدرك وعن النائم حتى يستيقظ).

من جهة أخرى فإنه لا عقد لغلام لم يبلغ ولا عقد عليه، والإمامية كما هو معروف تحتاج إلى عقد بين الإمام وبين أهل الحل والعقد.

وهو أيضاً مولى عليه فبطبيعة الحال لا يجوز أن يلي أمر غيره.

والعقل : فيجب أن يكون الإمام عاقلاً مميزاً لأن فاقد العقل غير مكلف شرعاً على أساس ما جاء في الحديث الشريف السابق " رفع القلم عن ثلث وذكر المجنون حتى يفيق " لهذا لا يجوز ولایة المجنون لأن الله سبحانه وتعالى إذا أخذ ما وهب أسقط ما أوجب، علاوة على أن فاقد العقل لا يستطيع تدبير أمر نفسه فكيف به أن يقوم في تدبير أمر الدولة، لذلك لا بد أن يتميز رئيس الدولة بعقل راجح وذهن حصيف وإرادة قوية يمكن من معالجة قضايا الأمة وإيجاد الحلول الشافية والناجعة لها.

ثالثاً- العدالة:

ويقصد بالعدالة الامتناع عن المحرمات والبعد عن الشبهات وهي من الشروط التي يجب أن تتوفر في الإمام أو الخليفة لأنه ينظر في سائر المناصب والوظائف التي تقتضيها مصلحة الأمة كالقضاء والقيادة والولاية والحسبة. وكل هذه المناصب لا بد من توفر العدالة لذويها انتلافاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمْنَاتِ إِلَيَّ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ يُعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(١).

(١) سورة النساء الآية ٥٨.

والعدل كما هو معروف أساس الملك وصلاح العباد والبلاد وهو صمام الأمان الذي يضرب به الحاكم على يد المحكومين لينصف المظلوم من الظالم ويعطي كل ذي حق حقه.

رابعاً - الكفاية :

ويراد بها قوة الشخصية وصحة الرأي وشجاعة في افتتاح المخاطر وتحمل المناصب والقوة على معاناة السياسة والصبر على أساليبها المعقدة، وحيلها العجيبة حتى يتمكن الخليفة من حماية الدين وجihad العدو وإقامة الأحكام وتدير المصالح^(١).

خامساً - سلامـةـ الـحوـاسـ وـالـأـعـضـاءـ مـاـ يـؤـثـرـ فـيـ الرـأـيـ وـالـعـمـلـ :

وقد أفاض الفقهاء في هذا الشرط وأوسعوه بحثاً ويكتفى أن نورد التعريف الذي ذكره ابن خلدون في مقدمته بقوله "أما سلامـةـ الـحوـاسـ وـالـأـعـضـاءـ منـ النـفـيـ وـالـعـطـلـةـ كالـجـنـونـ وـالـعـمـىـ وـالـصـمـ وـالـخـرـسـ، وماـ يـؤـثـرـ فـقـدـهـ فـيـ الـأـعـضـاءـ فـيـ الـعـمـلـ:ـ كـفـقـدـ الـيـدـيـنـ وـالـرـجـلـيـنـ فـشـرـطـ السـلـامـةـ مـنـهـاـ كـلـهاـ لـتـأـثـيرـ ذـلـكـ فـيـ تـامـ عـلـمـهـ وـفـيـامـهـ بـمـاـ جـعـلـهـ إـلـيـهـ، وـإـنـ كـانـ مـاـ يـتـبـيـنـ فـيـ الـمـنـظـرـ فـقـطـ كـفـقـدـ أـحـدـ هـذـهـ الـأـعـضـاءـ فـشـرـطـ السـلـامـةـ مـنـهـ شـرـطـ كـمـالـ"^(٢)ـ وـهـذـاـ الشـرـطـ وـاجـبـ حـتـىـ يـتـمـكـنـ الإـلـامـ مـنـ أـدـاءـ وـاجـبـهـ عـلـىـ أـكـمـلـ وـجـهـ وـأـنـ يـسـيرـ فـيـ طـرـيقـ سـلـيمـ وـعـلـىـ مـنـهـجـ قـوـيمـ.

سادساً - النـسبـ :

وـالـمـرـادـ بـذـلـكـ النـسـبـ الـقـرـشـيـ، وـهـوـ مـوـضـعـ خـلـافـ بـيـنـ الـعـلـمـاءـ، بـيـنـاـ جـمـهـورـ الـمـسـلـمـيـنـ يـشـرـطـونـهـ، وـيـحـتـجـونـ لـذـلـكـ بـإـجـمـاعـ الصـحـابـةـ عـلـىـ ذـلـكـ فـيـ يـوـمـ سـقـيـفـةـ بـنـيـ سـاعـدـهـ حـيـنـاـ اـحـتـجـ آـنـذـاـكـ الـمـهـاـجـرـوـنـ عـلـىـ الـأـنـصـارـ لـمـاـ هـمـوـاـ بـبـيـعـةـ سـعـدـ بـنـ عـبـادـةـ

(١) انظر المقدمة لابن خلدون ص ٣٢٢ بتصرف.

(٢) المرجع السابق ص ١٦١.

وقالوا "منا أمير ومنكم أمير" واعتراض الصحابة بقوله (عليه السلام) "الأئمة من قريش" وحينئذ عدلوا عن بيعة سعد بن عبادة وبaiduوا أبا بكر الصديق رضي الله عنه.

ويقول الإمام الغزالى "تسب قريش لا بد منه"^(١) وفي صحيح البخارى أن رسول الله (صلوات الله عليه وسلم) قال "لا يزال هذا الأمر في هذا الحي من قريش".

ويعلل ابن خلدون لهذه السيادة القرشية بقوله "إن قريشاً كانوا عصبة مصر وأصلهم، وأهل الغلب منهم، وكان لهم علىسائر مصر العزة والكثرة والعصبية والشرف فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكينون لغبهم، فلو: جعل الأمر في سواهم لتوقع اختلاف الكلمة بمخالفتهم، وعدم انتقادهم، ولا يقدر غيرهم من قبائل مصر أن يردهم عن الخلاف"^(٢).

والخوارج لا يشترطون النسب القرشي ويرونها حقاً لجميع المسلمين لا فرق بين عربي وعجمي، ويحتجون بقوله تعالى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ﴾^(٣).

وقوله عليه السلام في حجة الوداع "أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتفوى ألا هل بلغت اللهم فأشهد"^(٤).

ويقول القاضي أبا بكر الواقلانى: "لا ينبغي اشتراط القرشية" موافقاً بذلك رأى الخوارج، وذلك لما رأه من تلاشي عصبية قريش وأضمحلالها واستبداد ملوك العجم على الخلفاء القرشيين.

ولكن الجمهور بقى على رأيه من اشتراط القرشية في الخلافة.

(١) الأحكام السلطانية.

(٢) أنظر مقدمة ابن خلدون.

(٣) سورة الحجرات الآية (١٣).

(٤) حديث شريف.

رابعاً - واجبات الأئمة الولاة:

قال الفقهاء ومنهم الماوردي في كتاب الأحكام السلطانية^(١) إن واجبات الأئمة والولاة تلخص فيما يلي:-

- ١ - حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأئمة وتوضيح الحجة للمبتدعين والزائرين عن الصواب وأخذهم بما يلزم من الحقوق والحدود.
- ٢ - تنفيذ الأحكام بين المشاجرين وقطع ما بينهم من الخصومات.
- ٣ - حماية البيضة والذب عن الحوزة، لينصرف الناس في معيشتهم ويسيروا في الأسفار آمنين.
- ٤ - إقامة الحدود لتصان محارم الله عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف أو استهلاك.
- ٥ - تحصين التغور بالعدة المانعة والقوة الفاعلة حتى لا تظفر الأعداء بغرة فينتهكون بها محراً، أو يسفكون بها دماً معصوماً.
- ٦ - جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة، حتى يسلم أو يدخل في الذمة.
- ٧ - جباية الخراج والصدقات على الوجه المشروع.
- ٨ - تقدير العطاء وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقصير ودفعه في وقته من غير تقديم ولا تأخير.
- ٩ - استكماء الأمانة وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال والأموال لتكون مضبوطة محفوظة.

(١) الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٨.

٠ - أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور، ويتصفح الأحوال لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التقويض متساغلاً فقد يخون الأمين ويغش الناصح. وإذا قام الإمام بحقوق الأمة، وجب له عليهم حقان:

- الطاعة.

- النصرة : وذلك ما لم يتغير حاله فتخرج به عن الإمامة من حيث جرح في عدالة أو نقص في بدنـه نحو نقص في الحواس أو في الأعضاء يمنعه من الإمامة.

الفصل الثاني

مراحل تطور الخلافة

رَفِعٌ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَخْرَجِيِّ
أُسْكَنَهُ اللَّهُ لِلْفَزْوَافِ

www.moswarat.com

الفصل الثاني

مراحل تطور الخلافة الإسلامية

بعد أن فرغنا من تعريف الخلافة الإسلامية وما إليها، فإنه يترتب علينا أن نذكر المراحل والمعهود التي مرت بها الخلافة، ونستطيع أن نجزم بأنه من السهل الإحاطة بتلك المراحل التي مررت بها الخلافة، منذ بداية تأسيسها كخلافة راشدة في ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ الموافق ٨ حزيران (يونيو) ٦٣٢ م وحتى إلغائها كخلافة عثمانية في ٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ الموافق ٣ آذار (مارس) ٩٢٤ م، وذلك لتوفر المراجع والمصادر بين يدينا والتي تبحث في تاريخ هذه الخلافة بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

وبادئ ذي بدء أود أن أذكر أن الدولة الإسلامية الأولى التي أقامها رسول الله ﷺ بعد هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة سنة ٦١٧ م، قد نهج في إقامتها سياسة الدمج بين السلطتين الدينية والدنيوية. وأن دستورها القرآن الكريم، ورؤسها الرسول نفسه عليه السلام ﷺ إِنَّهُ إِلَّا وَحْدَهُ يُوَحِّدُ عَلَيْهِ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿١﴾.

فسارت الدولة تنشر العدل والمساواة والإخاء بين المسلمين في جزيرة العرب وتتطلع إلى الدعوة والجهاد ونشر الإسلام فيما وراء الجزيرة.

وينتقل الرسول عليه السلام إلى الرفيق الأعلى في ١٢ ربيع الأول عام ١١ هـ دون أن يعين من يخلفه لحكم المسلمين بل ترك الأمر شورى بينهم تاركاً لهم الحرية لاختيار من يتولى شؤونهم وسياسة أمرهم ولكن المسلمين وهم الحرiscون على إحياء سنة رسول الله قد كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في

(١) سورة النجم الآيات ٤ ، ٥.

جماعة^(١) وبالفعل اجتمع المسلمون في سقيفة بنى ساعدة ليبحثوا في من يكون إليه الأمر بعد الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وتسمع الناس أن الأنصار يرون الأمر فيهم وسارع أبو بكر وعمر رضي الله عنهم لجسم الخلاف وتأخر دفن الجثمان الطاهر وهو عليهم جد عزيز - حتى انتهوا من أمر الخلافة وانتخبوا أبا بكر رضي الله عنه خليفة المسلمين.

ومنذ هذا اليوم ولدت الخلافة الإسلامية ونمت وترعرعت وازدهرت وامتدت زهاء ثلاثة عشر قرناً.

يقول عنها الفقهاء "الخلافة هي الأصل الثاني عشر من الأصول الإسلامية وإقامتها واجب على الأمة"^(٢).

وكانـت المرحلة الأولى من مراحل الخلافة تسمى بمرحلة الخلافة الراشدة .

أولاً - الخلافة الراشدة:

كان معنى إجماع الصحابة على وجوب إقامة من يخلف الرسول عليه السلام هو إجماعهم على وجوببقاء واستمرار النظام الذي أقامه الرسول بالاشتراك معهم منذ قدومه إلى المدينة المنورة عقب الهجرة.

وكان هذا الاجتماع اجتماعاً تاريخياً له أكبر الأثر في تاريخ الأمة الإسلامية ففيه تقرر الإجماع على وجوب إقامة الخلافة، وفيه تقرر أيضاً مبدأ له أهمية كبيرة وهو أن اختيار الخليفة بالانتخاب من الأمة^(٣).

(١) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٠٧.

(٢) البغدادي الفرق بين الفرق.

(٣) النظريات السياسية الإسلامية ص ١٧٥.

ومرحلة الخلافة الراشدة التي تعتبر أزهى مراحل الخلافة الإسلامية على الإطلاق، وذلك لما تمتاز به من حيث كونها خلافة شورية انتخابية تمت بالمبايعة وليس بالوراثة كما حصل لما بعدها وتمتد من عام ١١هـ إلى عام ٤٥هـ.

وقد وصفها المؤرخ ابن طباطبأ في كتابه الفخرى بقوله:-

“أما الدولة الأولى وهي دولة الأربعة فإن ابتداءها كان منذ قبض رسول الله ﷺ، وبوييع أبو بكر بن قحافة رضي الله عنه” وكان ذلك في سنة اثنتي عشرة من الهجرة، وانتهاؤها حين قتل أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام، وذلك في سنة أربعين من الهجرة، وأعلم أنها دولة لم تكن طرز دول الدنيا وهي بالأمور النبوية والأحوال الأخروية أشبه والحق في أن زيها قد كان زياً الأنبياء وهديها هدي الأولياء وفتحوها. فتوح الملوك الكبار”^(١).

أما خلائقها الأربعة: فهم الخلفاء الراشدون:

- ١ - أبو بكر الصديق: (١١٣هـ) الموافق (٦٣٢م).
- ٢ - عمر بن الخطاب: (١٣٢هـ) الموافق (٦٤٤م).
- ٣ - عثمان بن عفان: (٢٣٥هـ) الموافق (٦٥٦م).
- ٤ - علي بن أبي طالب (٤٠هـ - ٦٥٦م) الموافق (٦٦١م).

رضوان الله عليهم أجمعين الذين كانوا أعلام هداية ومنارات نورى وضربوا الأمثال الرائعة في الورع والزهد والإتصاف بالعدل والحكمة والبعد عن كل المحاذير والشبهات.

(١) محمد بن علي طباطبأ المعروف بابن الطفطا - الفخرى في الأدب السلطانية والدولة الإسلامية ص ٧٢.

وقد ساروا على ما رسمه رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، واعتمدوا في حكمهم على كتاب الله وسنة رسوله ومشاورة الصحابة بدون تحريف ولا تبديل ولا تحايل ولا انتقال.

وتعتبر هذه المرحلة فترة مميزة وعلامة مضيئة في تاريخنا الإسلامي أجمع وذلك لما امتازت به من الحكمة والعدل وحسن النظام، وأدت بها من التنظيمات الرفيعة والأعمال الكبيرة والإصلاحات الجليلة وذلك على الرغم من قصر هذه الفترة في عمر الزمن، والتي نستطيع أن نجمل منجزاتها فيما يلي:-

أولاً: محاربة المرتدين الذين امتنعوا عن أداء الزكاة للخليفة والانتصار عليهم حتى عادت الأمور إلى نصابها، واستتب الأمن والأمان في البلاد كما كان عليه الوضع زمن الرسول عليه السلام.

ثانياً: العناية بالقرآن الكريم وجمعه على قراءة واحدة ونسخه وتوزيعه على المالك والأمسار الإسلامية المختلفة.

ثالثاً: الفتوحات الإسلامية الواسعة التي قفت على دولتي الروم والفرس حيث اتسعت رقعة الدولة الإسلامية فاشتملت بالإضافة إلى الجزيرة العربية بلاد الشام والعراق ومصر وجاء من شمال إفريقيا وببلاد الفرس حتى حدود بلاد ما وراء النهر.

رابعاً: إظهار المهارة في بناء المدن في الأمسار المفتوحة وتجهيز الجيوش وبناء الأساطيل.

خامساً: حسن إتقان التنظيمات السياسية والإدارية التي تمثلت في اختيار الولاة وممثلية الوظائف الإسلامية كالقضاء وأصحاب الشرطة وأصحاب البريد وقيامهم بواجبهم خير قيام، وإنشاء الدواوين المختلفة كديوان الجندي وديوان الخارج - بيت المال - وديوان العطاء ودور الحسبة والتي كان من مهامها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك، وبعض هذه التنظيمات هي من الأوليات التي لم تكن دارجة من قبل والتي استنادها الخلفاء الراشدون.

وقد انتهت مرحلة الخلافة الراشدة بعد استشهاد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه على يد الخارجي عبد الرحمن بن ملجم وذلك بعد صراع طويل مع معاوية بن أبي سفيان والي الشام على عهد الخلفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم، حيث نتج عن هذا الصراع موقعتي الجمل وصفين، وقتل فيما خلق كبير من الطرفين إثر الفتنة التي حدثت بعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، في منزلة على يد فئة باغية وعلى رأسهم اليهودي عبد الله بن سباء، حيث عاثت فساداً واستغلت طيبة الخليفة فراحت تبث الفتنة بين صفوف المسلمين التي كان من أثرها انتهاء فترة الخلافة الراشدة.

وبذلك طويت صفحة ناصحة من صفحات تاريخنا الإسلامي المشرف "عصر الخلفاء الرashدين" عصر الخلافة الصحيحة الشرعية والكاملة وهي الإمامة التي ينطبق فيها الواقع على المثال^(١).

ثانياً - مرحلة الخلافة الأموية (٤١ - ١٣٢ هـ)

يمكن القول بأن الدولة الأموية بدأت بعد استشهاد آخر الخلفاء الرشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إثر موقعة "صفين" وقد آلت الخلافة إلى ابنه الحسن بن علي رضي الله عنه الذي تنازل عنها بعد عدة شهور - لصالح معاوية بن أبي سفيان سنة ٤١ هـ (٦٦١ م) بغية إصلاح وحسن النزاع القائم بين المسلمين الناتج عن الفتنة التي حصلت بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه كما سبق ذكره.

وقد سُمي العام باسم "عام الجماعة" لاجتماع المسلمين حول معاوية ومبaitة بالخلافة.

(١) النظريات السياسية الإسلامية ص ١٨٥.

وهكذا قامت الدولة الأموية والتي سميت بهذا الاسم نسبة لأمية بن عبد شمس بن عبد مناف. الجد الثالث لمعاوية بن أبي سفيان الخليفة الأموي الأول (٤١ - ٦٠ هـ) أحد دهاء العرب وخير السياسة المحنّك، الذي حكم قرابة عشرين عاماً، اهتم فيها بإصلاح الأحوال الداخلية للدولة الوليدة، والهيمنة على الوضع المترافق، حتى استقام له الأمر، فاتجه بعدها إلى الفتوحات الخارجية في أواسط آسيا وشمال إفريقيا، واعتنى بالبحرية الإسلامية، وبنى مراكز لصناعة السفن، وطور الأسطول الإسلامي الذي أصبح يجوب البحار مدافعاً عن بلاد الإسلام ومجاهداً في سبيل الله.

وقد تعاقب على الحكم في عهد الخلافة الأموية - التي استمرت من عام ١٤٥ هـ - ١٣٢ هـ - أربعة عشر خليفة: أولهم معاوية بن أبي سفيان، وآخرهم مروان الثاني بن محمد بن مروان بن الحكم.

وظهر من بينهم الخلفاء العظام مثل: عبد الملك بن مروان الذي يعتبر المؤسس الثاني لدولة بنى أمية، وولده الوليد بن عبد الملك الذي اشتهر بالفتحات العظيمة وبناء المساجد، ومنهم عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) الذي يطلق عليه: خامس الخلفاء الراشدين بسبب سيرته العطرة وعدله الشامل والذي كان "المثل الكامل في التقوى والورع، فأعاد رونق الإسلام، وجند حياة الدولة على أساس العدل والعمل لصالح الأمة الإسلامية، فكان عهده غرة في جبين الدولة الإسلامية"^(١).

وقد أصبحت الدولة العربية في هذا العهد من أقوى وأرقى الدول في العالم أجمع آنذاك.

(١) النظريات السياسية الإسلامية.

أهم المميزات والإنجازات في الدولة الأموية:

بالرغم من قصر عمر الدولة التقريري الذي لم يبلغ القرن من الزمان إلا أنها أجزت أعمالاً هامةً، وكان لها سجلاً حافلاً بالأمجاد والبطولات والآثار المجيدة نوجزها فيما يلي:-

أولاً - اتساع الفتوحات الإسلامية وامتدادها نحو ثلاثة ميلادين مشهورة هي:-

١- ميدان الحرب ضد الروم آسيا الصغرى، حيث شمل حصار القدس طنطينية، والوصول إلى جزر البحر المتوسط، التي أصبحت معظمها جزراً عربية إسلامية.

٢- ميدان الشمال الإفريقي: وامتد هذا الميدان على طول دول شمال إفريقيا حتى المحيط الأطلسي، ومنه عبرت الجيوش الأموية مضيق جبل طارق وفتحت الأندلس وواصلت فتحها إلى الحدود الجنوبية من فرنسا

٣- الميدان الشرقي: وقد امتد هذا الميدان وتفرع إلى فرعين، اتجه أحدهما شمالاً إلى بلاد ما وراء النهر التي تقع بين نهري جيحون وسيحون في قارة آسيا، واتجه الثاني جنوباً إلى بلاد السند وشبه القارة الهندية.

ثانياً - الاهتمام بتحسين الأوضاع الاقتصادية في مجالاتها المختلفة.

الزراعية والصناعية والتجارية، نحو حفر الآبار وشق الطرق وبناء السدود واستصلاح الأراضي وزراعتها بمختلف المحاصيل، وكذلك صناعة المنسوجات، والصناعات الجلدية والجبسية وغيرها، وازدهرت فيها التجارة الداخلية بين الأقاليم، الخارجية وبينها وبين الدول المجاورة.

ثالثاً - الاهتمام بفن العمارة، وبناء المساجد العظيمة وخاصة، توسيعة الحرمين الشريفين، والمسجد الأقصى المبارك والمسجد الأموي في دمشق، وكذلك

تشييد القصور على جوانب الصحراء لإحياء تلك المناطق، وبناء الخانات والاستراحات على الطرق وفي الولايات البعيدة لإقامة المسافرين والغرباء.

رابعاً - إنشاء المستشفيات والمصحات، والعناية بالمقعدين والمكفوفين والمرضى، والاهتمام بعلم الطب والكيمياء وقد اشتهر منهم الكثير من العلماء والأطباء.

خامساً - تعريب الدواوين، وتطوير الأنظمة الإدارية، وضرب النقود الإسلامية الخاصة، فصارت للدولة بذلك عملتها النقدية الخاصة بها المستقلة عن الفرس والروم.

سادساً - ازدهار الحركة العلمية والثقافية :

فقد ازدهرت الحركة العلمية في القصر الأموي في جميع أقاليم الدولة الإسلامية، وفي مختلف التخصصات، كالعلوم الشرعية والعلقانية، وبرعوا في علوم اللغة والشعر والخطابة والتاريخ، وقاموا بتشكيل المصحف وتنقيط الحروف العربية.

وقد ظهر الكثير من العلماء والمؤلفين في هذا العهد، وما تزال مؤلفاتهم شاهدة على ما بلغوه من نتاج العلم والمعرفة.

عوامل ضعف الدولة الأموية وانهيارها:

بينما كانت حدود الدولة الأموية تتسع وتمتد ذات الشرق، وذات الغرب، وأصبح الأمر يتطلب وجود خلافة منيعة وخلفاء أقوياء ... انعكس الأمر وضعف الخلفاء وخاصة في الفترة الأخيرة من عهد الدولة، وتعلق أكثرهم بالمنع الحسيّة للهو والترف، وانصرفوا عن شئون الحكم وتديير أمر الأمة الذي أدى إلى ضعف الدولة وبالتالي إلى سقوطها:-

ونستطيع إجمال الأسباب التي أدت إلى ضعف الدولة فيما يلي:-

١ - نظام توليء العهد:

كانت ولاية العهد نقطة تحول جديداً في نظام الخلافة، حيث دخلت في مبدأً وراثي لم يكن معهوداً من قبل، مما جعلها تتحصر في بيت واحد أو أسرة واحدة، وفي ذلك ظلم ظاهر للرعاية من جهة، وللخلافة نفسها من جهة أخرى، وكان أول من فعل ذلك واستله معاوية بن أبي سفيان عندما عهد لابنه يزيد بالخلافة فأصبحت بدعة متّعة، وأدخلها في متأهّلات متشعبّة لا يزال العالم الإسلامي يقاسي منها حتى اليوم. وما زاد الأمر إشكالاً أن بعض خلفاءبني مروان صاروا يعهدون إلى اثنين من أبنائهم لولاية العهد واحد يلي الآخر "من غير استثناء الصغير والضعيف الذي لا يقوى على تحمل الأعباء، وهو مما أضعف دولتهم وفسح المجال لتحدث الألسنة وتسجل الأقلام ما شاء" ^(١).

وذلك عندما استفحّ الانشقاق في البيت الأموي الحاكم، وتفرّقت القوى داخله، نتيجة النزاع على السلطة وتدبّر المؤامرات والمكائد ضد بعضهم البعض، الأمر الذي ساهم مع غيره من الأسباب في ضعف الدولة الأموية.

٢ - العصبية القبلية:

نهى الإسلام عن العصبية القبلية والتفرقة العنصرية، وحاول قدر الإمكان طمس هذه العادات وإغفاء أثرها عليها وذلك امثلاً لقوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُورًا وَقَابِلَ لِتَعَارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقُوكُمْ﴾ ^(٢)

(١) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي ج ٩ ص ١٤.

(٢) الحجرات الآية ١٣.

وقوله عليه السلام عن العصبية "دعوها فإنها منته".

ولكن بعض الخلفاء الأمويين ولاتهم وقادتهم استغل ضعف الواقع الديني لدى بعض الناس فعمل على إحياء العادة الجاهلية فأصبح يناصر بعض القبائل العربية دون بعضها الآخر، وأحياناً يقوم بإذكاء نار التفرقة والعداوة بين هذه القبائل وخاصة بين القبائل اليمنية والقيسية والمضرية وذلك مما ساعد على إشغال روح العصبية بين هذه القبائل، وتمزيق القوى، وبعثرة الجهود، في الوقت الذي يجب أن تكون فيه سندًا للدولة وعمادًا لها.

٣ - ظهور الشعوبية:

كردة فعل على ما أشيع عن الدولة الأموية من أنها تقوم على العصبية العربية وتعتمد العنصر العربي في تولي المناصب الهامة وسياسة أمور الدولة، فقد ظهرت نتيجة لذلك موجة من الانتقاد والتشويش الحادين ضد الأمويين آثارها المالي - وهم المسلمون من غير العرب - واندفعوا إلى إثارة النقمـة وتأييدـ أي حركة تقـوم الدولة الأموية.

وهذا ما يطلق عليه بالحركة الشعبية، التي قوـيت وازدهـرت نتيجة تسامـح بعضـ الخـلفـاء معـ هـذهـ الفـئـاتـ، وإـفسـاحـ المـجالـ لـهـاـ لـلـتـعبـيرـ عـنـ رـأـيـهـاـ فـيـ بـعـضـ الأـحـيـانـ، الأـمـرـ الـذـيـ سـاـهـمـ عـلـىـ إـسـقـاطـ الدـوـلـةـ، وـسـوـفـ يـكـوـنـ لـهـذـهـ حـرـكـةـ دـورـ كـبـيرـ فـيـ حـيـاةـ الدـوـلـةـ العـبـاسـيـةـ، وـمـنـ ثـمـ إـضـعـافـهـاـ وـالـقـضـاءـ عـلـيـهـاـ كـمـ سـيـأـتـيـ.

٤ - موقف الفرق الإسلامية من الخلافة الأموية:

يمـكـنـ القـولـ بـأـسـبابـ سـقوـطـ الدـوـلـةـ الـأـمـوـيـةـ تـنـدـاخـلـ مـعـ بـعـضـهـاـ الـبعـضـ، فـبـعـدـ أـنـ اـنـتـهـيـ أـمـوـيـوـنـ مـبـدـأـ الـعـهـدـ مـنـ بـدـايـةـ عـهـدـهـمـ، دـبـ الـخـلـافـ بـيـنـ بـعـضـ الفـرقـ إـسـلامـيـةـ مـتـلـ الـخـوارـجـ وـالـشـيـعـةـ حـوـلـ الشـرـوـطـ الـواـجـبـ توـافـرـهـاـ فـيـ الـخـلـيفـةـ، وـخـاصـةـ فـيـماـ يـتـعـلـقـ بـوـلـاـيـةـ الـعـهـدـ الـتـيـ يـعـارـضـهـاـ الـكـثـيرـ. وـقـدـ ثـارـتـ بـعـضـ هـذـهـ الـفـروـقـ

ضد الخلافة حيث ترتب على ذلك الدخول معها في معارك كصادمات الأمر الذي دعا بعض القادة الأمويين للتصدي لهم وذلك مما ساهم في إضعاف الدولة.

٥- ضعف بعض الخلفاء المتأخرین واستهتارهم، وانشقاق البيت الأموي على نفسه.

فقد تولى الخلافة في أواخر أيام الدولة خلفاء ضعاف، مالوا إلى حياة الترف والفساد، واستهتروا بالقيم الروحية والتقاليد الاجتماعية مما أدى إلى نقمة الكثير من المسلمين عليهم وعدم الثقة بهم.

٦- ظهور الدعوة العباسية:

وهذا السبب من أهم الأسباب التي قسمت ظهر الخلافة الأموية ، فقد ظهرت الدعوة العباسية نشطة قوية في آخريات أيام الدولة الأموية، وفي مكان بعيد عن مراكزها، فاجتاحت الدولة الأموية وقتلت آخر خلفائها وتمكنـت من إسقاطها.

"وعندما سقطت الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ ولقي مروان المسكين مصرعه في حلوان بمصر، كان كتاب التاريخ يطوي إحدى صفحاته .. يطويها بعنف لأن أبطالها أرادوا لأنفسهم هذا .. حين راحوا ينفصلون عن ضمير الأمة ووجدانها، ويعزلون أنفسهم عن شعوبهم .. بطبقة من العمال الظالمين الغاشمين^(١)".

ثالثاً - مرحلة الدولة العباسية (١٣٢ - ١٥٦ - ٧٥٠ هـ):

عندما قامت الدولة العباسية، واحتلت مكانها على مسرح التاريخ كبديل للدولة الأموية التي غربت شمسها، فإنها لم تقم من فراغ أو جاءت فجأة وبمحض الصدفة، ولكن كان هناك العديد من العوامل والمقومات التي تشابكت أطرافها وتعاضدت جهاتها وأسهمت مجتمعة في بناء الدولة الوليد، التي ظهرت قوية منذ ساعاتها الأولى.

(١) د . عبد الحليم عويس. أوراق ذابلة من حضارتنا.

فبالإضافة إلى الدعوة السرية التي نجح في تنظيمها محمد بن علي بن أبي طالب (ابن الحنفية) الذي كان يسعى من خلالها لإسقاط الدولة الأموية، وما تبعها من تنظيم "الجمعية السرية" التي تألفت سنة ١٠٠ هـ على يد: محمد بن علي بن عبد الله بن عباس في بلدة "الحمية" الواقعة جنوب بلاد الشام والتي انتبهت منذ بدايتها الدعوة إلى الرضا من آل محمد وتأييده آل البيت وما ترتبه من أحقيتهم بالخلافة، ثم ما تبع ذلك من الدعوات الجهرية التي ارتفع خطُّها البياني عام ١٢٩ هـ عندما أُعلن "أبو مسلم الخرساني" أحد دعاة العباسين وقادتهم إعلان التمرد والطغيان على الأمويين في قرية من قرى "مرو"^(١) وتحصن بها ورفع الراية السوداء إعلاناً لبدء المصادمة المسلحة مع الأمويين. الذين كانت تتتابعتهم عوامل ضعف شديد كان لها أكبر الأثر في إسقاط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية.

وهكذا قامت الدولة العباسية التي ورثت عن الأمويين دولةً متaramية الأطراف، شاسعة المساحات حدها الشرقي على حدود الصين، وحدودها الغربي على شواطئ الأطلسي، وحدودها الشمالي شواطئ بحر قزوين، والجنوبي أواخر بلاد النوبة بين مصر والسودان.

وقد سميت الدولة العباسية بهذا الاسم: نسبة إلى العباس بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم، ووالد عبد الله بن عباس الصحابي الجليل .. الجد الثالث لمؤسس هذه الدولة: "أبو العباس السفاح" الذي بُويع له بالخلافة سنة ١٣٢ هـ في الكوفة بالعراق، وقد تعاقب على الخلافة سبع وثلاثون خليفة أولهم "أبو العباس السفاح" المذكور وأخرهم "المستعصم بالله" الذي بُويع له بالخلافة سنة ٤٦٤ هـ وانتهت فترة حكمه سنة ٥٦٦ هـ وبموته انهارت دولة بنى العباس بعد أن عمرت قرابة ٥٢٤ سنة.

(١) محمود شاكر التاريخ الإسلامية / مرجع سابق.

برز من خلفاء بنى العباس عدد لا يأس به من الخلفاء الأقواء الذي كان لهم دور كبير وأثر بارز في التاريخ الإسلامي ككل، وأولهم أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨) ويعتبر المؤسس الحقيقي للدولة العباسية "الذي أصل الدولة وضبط المملكة ورتب القواعد وأقام الناموس، واخترع أشياء، وهو الذي بنى مدينة بغداد"^(١) التي جاءت على أحسن نسق وأجمل تنظيم وأصبحت من ذلك الحين مثارة من منارات الحضارة الإسلامية.

ومنهم هارون الرشيد (٧٠ - ١٩٣هـ) الذي أثبت بأعماله وحسن تدبيره بأنه أنسجم عقلية في بنى العباس، وهو الذي حارب الروم وفتح الفتوحات وكان يحج عاماً ويغزو عاماً وقد نكب البرامكة، وفُلص بذلك من دور الشعوبية التي استشرت في البلاد وانتشرت.

وبرز منهم أيضاً المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ) رجل العلم والحكمة والترجمة، وصديق العلماء والأدباء، وقد كان من عظماء الخلفاء ومن عقلاه الرجال، ولمه فضل كبير على الدولة والرعاية، وقد قال بخلق القرآن وحصلت بذلك فتنة كبيرة بين المسلمين.

ومنهم المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـ) فاتح عمورية وقاهر الروم الذي كانت أيامه فتوح وحروب وهو الذي بنى مدينة سرمن رأى (سامراء) وأصبحت عاصمة له بدل بغداد.

ثم المأمون (٢٣٢ - ٢٤٧هـ) الذي كان مولعاً بال عمران وإحياء الأرض الموات، وقد عهد من بعده بالولاية إلى ثلاثة من أبنائه وهم:-
المنتصر، المعتز، والمؤيد، وقسم الدولة فيما بينهم سنة ٢٣٥هـ.

(١) الفخرى في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية.

وقد قتله الأتراك سنة ٢٤٧ هـ بعد أن حاول أن يفك بهم، ومنذ هذه الحادثة أصبح الأتراك هم المتصرفين في شؤون الدولة.

وانتهى بذلك العصر الأول من دولة بني العباس، والذي يطلق عليه المؤرخون، عصر الخلفاء الأقوياء.

وبعد ذلك تعاقب على الخلافة مجموعة من الخلفاء الضعفاء، لم يكن لهم دور يذكر في إدارة شؤون الدولة حتى سقطت الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ، وذلك عندما هاجم التتار بقيادة هو لا كو "بغداد" وقتلوا الخليفة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين.

وقد قسم المؤرخون المرحلة التاريخية التي مرت بها الدولة العباسية خلال تاريخها الطويل إلى أربعة أدوار وهي:-

١- دور الخلفاء الأقوياء: ويبتدئ بتولي السفاح سنة ١٣٢ هـ وينتهي كما ذكرنا بمقتل المتوكل سنة ٢٤٧ هـ حيث أصبح القادة الأتراك هم المشرفين على إدارة الدولة تماماً وال媿جهين لل الخليفة في كل شيء ولم يبق لل الخليفة سوى الاسم فقط.

٢- دور نفوذ الأتراك: ويبتدئ منذ سنة ٢٤٧ هـ إلى ٥٣٤ هـ وفي هذا الدور انفصلت كثير من الولايات عن بغداد.

٣- دور نفوذ بني بويه: ويبتدئ منذ سنة ٣٣٤ - ٤٤٧ هـ وهم من الفرس دعاهم الخلفاء لتخليصهم من سيطرة القادة الأتراك، وقد شجعوا الحركات الأدبية والعلمية.

٤- دور نفوذ السلجوقيين الأتراك: ويبتدئ منذ سنة ٤٤٧ - ٦٥٦ هـ وقد دعاهم الخلفاء لتخليصهم من البوبيهيين - وينسبون إلى سلحوقي أحمد

زعمائهم في بلاد تركستان، وفي عصرهم نعرض العالم الإسلامي لغزوتين خارجتين هما:-

- (١) الحملات الصليبية على بلاد الشام.
- (٢) الغزوات المغولية والاستيلاء على بغداد سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م.

أهم المميزات والإيجازات في الدولة العباسية

نظراً لاتساع مساحة الدولة العباسية التي ورثتها عن الدولة الأموية وصعوبة الاستمرار في التوسيع والفتحات خارج حدودها فقد اهتم الخلفاء العباسيون بالمحافظة على حدود الدولة والاشغال بتطوير التنظيمات الداخلية في مختلف المجالات، مع الاهتمام الزائد بالجانب العلمية والثقافية وإبرازها إلى الوجود، وفيما يلي نقدم بعضاً من هذه المظاهر بصورة موجزة:-

- (١) الاهتمام بالعلم والأدب وتشجيع العلماء والأدباء وحضرهم على التأليف والكتابة في مختلف العلوم والفنون، ومن اهتمامات الخلفاء بالعلماء تقديم الرواتب الدائمة لهم، وتقدير مؤلفاتهم حتى إن بعضهم كان يقدم وزن هذه الكتب من الذهب جائزة لها، ونتيجة لهذا الاهتمام ظهرت أول جامعات في العالم في كل من بغداد والقاهرة وقرطبة وغيرها.
- (٢) الاهتمام بال عمران والبناء في شتى الميادين وخاصة في عمارة المدن، حيث بني السفاح هاشمية الآثار وبنى المنصور بغداد، وبنى المعتصم سامراء، وبني المتوكل المتكولة. كذلك اهتموا ببناء المساجد وتجديدها القديم منها وخاصة الحرمين الشرقيين كما اهتموا ببناء الحصون والقلاع الحربية في ثغور وعواصم الدولة.
- (٣) إحداث منصب الوزير لأول مرة في الدولة الإسلامية حيث كان هذا المنصب الذي هو المنصب الثاني في الدولة يساعد الخليفة في إدارة شؤونها

وأول وزير في هذه الدولة هو "أبو سلمه الخل" وكان يلقب بوزير آل محمد.

(٤) العناية بالدواوين وإدخال التحسينات عليها واضافة دواوين جديدة كديوان الزمام، وديوان الأكرة الذي بهتم بأحوال المزارعين والصناع، وديوان الأحداث، والشرطة وغيرها من الدواوين.

وفي ختام الحديث عن هذه الدولة لا بد أن نذكر أنها انجب حضارة عريقة كان لها أثر كبير في الحضارات التي جاءت بعدها إلى يومنا هذا.

ضعف الدولة العباسية ونهايتها وأسباب ذلك

تضارفت عوامل عدة لتقويض وإسقاط الخلافة العباسية أهمها كثرة أصحاب الفوز الذين خرجموا على الخلافة وتاحروا فيما بينهم على السلطة، فقد أصبح الخليفة ألعوبة في أيديهم ليس له إلا الاسم في أفضل الحالات، فعم الفساد وكثرة المخالفات وطمع بها الأعداء، فجاء الصليبيون من الغرب وأحرزوا بعض النصر، وجاء المغول من الشرق واستطاعوا بقيادة هو لاكمو أن يدخلوا بغداد، وبذل سقطت الدولة العباسية، ويمكن إسناد الضعف للعوامل التالية:-

١ - ولادة العهد:

مثّما حصل للأمويين من الآثار السيئة التي ترتب بسبب تولية العهد بشكل عام، ولأكثر من واحد بشكل خاص - فإن الأمور تعقدت أكثر لدى العباسيين نتيجة هذه العادة، وحدثت من جرائها فتن هوجاء وعواقب وخيمة، وذلك كال الفتنة التي حدثت بين الخليفتين الأخرين: الأمين والمأمون وأنصارهما وجَرَّت على الدولة العواقب السيئة التي ساهمت في إضعافها والقضاء عليها فيما بعد.

٢- العناصر الطارئة على الدولة:

في بداية العهد العباسي قامت بعض الأجناس غير العربية الطارئة على الدولة مثل الفرس بمساعدة العباسيين على تولي الحكم فلقد هم العباسيون المناصب العالية سواء المدنية منها أو العسكرية، ولكن هؤلاء أخذوا يستغلون هذه المناصب لمصلحتهم الخاصة وإعادة أمجاد الفرس القديمة، وحاولوا طمس الجنس العربي وحجبه عن التفاعل مع الأحداث ولكن الخلفاء تتبعوا لهم وقضوا على طموحاتهم هذه، ومن ثم القضاء عليهم، ثم حاول الترك أن يلعبوا نفس الدور فاستغلوا نفوذهم أسوأ استغلال، وأشرفوا على شؤون الدولة حتى أصبح بيدهم تولية الخليفة أو عزله. مما أضعف هيبة الخلافة وأضاع لها مكانتها، خاصةً أنه لم يكن هناك الجيش النظامي المتكامل للحكومة الذي يمكنه تصحيح الأوضاع في حالة جنوح طائفة من طوائف الدولة عن الجادة المستقيمة وإعادة الأمور إلى نصابها.

من جهة أخرى كان ظهور حركات التمرد الديني كالقرامطة والشاشين دور كبير في ضياع "الوحدة العقائدية" ضياع كثير من مثل الإسلام الصافية خلال هذه العصور، وفي خلق جوًّا من الفوضى الفكرية والاجتماعية والاقتصادية^(١). كذلك فقد أثر الصدام المرير والصراع الدامي بين المذاهب الإسلامية المختلفة وخاصة المذهبين السنّي والشيعي تأثيراً كبيراً على الدولة مما أفسح الفرصة للطامعين بخيراتها والمتربصين بها للقضاء عليها، وهذا ما حصل بالفعل عندما هاجمها التتار وقضوا عليها.

٣- اتساع رقعة الدولة الإسلامية :

أدى هذا الاتساع إلى وجود مصاعب جمة في إدارة شؤون الدولة وتصريف أمورها، وخاصة في العصر العباسي الثاني عندما أخذ الخلفاء إلى الراحة والترف،

(١) د. عبد الحليم عويس. أوراق ذابلة من حضارتنا.

وانتصروا بالإسراف والتبذير مما أوقع الدولة في حالة تدهور اقتصادي أفقدها عنصراً من عناصر قوتها وتماسكها. الأمر الذي أدى إلى انفصال بعض الأقاليم عنها، واستقلالها استقلالاً داخلياً، ثم تحول هذا الاستقلال إلى استقلال شبه تام أو استقلال تام. وانقسم العالم الإسلامية الذي كان يعيش في ظل خلافة واحدة إلى ثلات خلافات:-

١- العباسية في العراق. ٢- والفاطمية في مصر. ٣- والأموية في الأندلس وقد كانت كل خلافة تسعى لإضعاف الأخرى والقضاء عليها.

٤- أطماع الدول الخارجية:

إن الضعف الذي أصاب الدولة قد أطمع فيها الأعداء، فجاء الصليبيون من الغرب وأحرزوا بعض النصر، وجاء المغول من المشرق تحت تأثير النكمة والسلب وتشجيع الصليبيين واستطاع هولاكو من دخول بغداد بسبب خيانة بعض سكان البلاد وبذلك سقطت الدولة العباسية.

٥- أسباب أخرى:

كان للأسباب السالفة أثر كبير في القضاء على الخلافة العباسية وسقوطها "بيد أن أخطر العوامل التي أسقطت خلافة العباسيين إهمالهم لركن هام من أركان الإسلام .. وهو (الجهاد)."

فبعد المعتصم المتولي أمر الدولة سنة (٨٨٣م) لم نسمع عن معارك ذات شأن قامت بها الدولة، ولم يعد مبدأ "الجهاد الدائم" حماية لهذه الدولة المترامية الأطراف .. أحد أركان السياسية العباسية.

لقد تفوقوا في مشاكل الدولة الداخلية، فحصرتهم مشاكلها وماتوا ببطء، ولو أنهم وجهوا طاقة الأمة نحو "الجهاد" ضد الصليبيين لتغير أمر الحركات الهدامة

التي قدر لها أن تظهر وتنشر، وذلك أن هذه الحركات لا تنشر إلا في جو مليء بالركود والفساد، والمناخ الوحيد الصالح للقضاء عليها هو المناخ القتالي الذي يكشف المعاند النقيّة وينبذ المعدن الرخيص. لقد كانت حاجة الخلافة الإسلامية ملحة في رفع رأية الجهاد، وكانت تحتاج إلى هذا الصمام من جو السكون والاستسلام^(١).

رابعاً - العهد المملوكي (٦٥٨ - ٦٩٢٣)

حمل المماليك في مصر المسؤولية، وكانوا أشقاء للسيف، والرمح هو هويتهم، وهو مؤهلهم للحياة والبقاء .. وعلى امتداد تاريخهم كان السيف مقروناً بهم وكانوا عضد الدولة الإسلامية في كثير من المواقف، وكانوا حماتها من أعدائها، ولقد شكلوا مجتمعاً ذا هوية خاصة، له أسلوبه الخاص في الحياة، وله تربيته الخاصة، وله فكره الخاص .. لقد كان مجتمعهم أشبه ما يكون بالمجتمع العسكري أو المجتمع البحري الذي يعيش للبحر أو الجندي، فالجندي عقله وهي عاطفته ولا ولاء عنده لسواتها ..^(٢)

وقد سار سلاطين المماليك البحريية والبرجية على ونيرة أسلافهم وساداتهم الأيوبيين سواء بالنسبة للنظم الإدارية، أو توجيه عنايتهم إلى العلوم والفنون والتقدم في ميدان العمارة كبناء المساجد والمدارس والرباطات وغيرها، كما رفعوا لواء الجهاد منذ استيلائهم على الحكم، وتمكنوا من وقف المد المغولي، ثم الانتصار عليه، وقد نصبوا خليفة في القاهرة، من أسرة بنى العباسى، كان صورة لهم، وهم يتصرّفون باسمه ويحملون لقب سلطان.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

ومن أشهرهم السلطان برقوق والظاهر بيبرس – قائد معركة عين جالوت ضد الصليبيين – وقاصده الغوري الذي سقط تحت سنابك خيل السلطان سليم العثماني سنة ١٥١٧ م.

ولقد لعب المماليك في تاريخنا دوراً لم تقم به إلا دول قليلة في التاريخ، فقد صدوا غارتين حضاريتين من أكبر وأشهر الغارات التي عرفها تاريخنا وتاريخ الإنسانية.

كانت الأولى يمثلها زحف هولاكو حيث وقفوا أروع وقاتلهم في صده في معركة عين جالوت الشهيرة رافعين راية وأسلاماه.

ثم كانت الثانية في معاركهم الدائمة ضد الصليبيين الذي تهاوت قلاعهم أمامهم، وطوى على أيديهم آخر صفحات الغزو الصليبي، والذي استمر قرناً من الزمان.

ولقد تضافر على إنتهاء الدور الذي قام به المماليك ظروف عالمية كاكتشاف رأس الرجاء الصالح، وظروف إسلامية كبروز الأتراك، ثم محمد علي، وظروف داخلية كانقسماهم على أنفسهم، وكان أكبر الأسباب التي هوت بهم وزحزحتهم عن مكانتهم في التاريخ، هو نسيانهم الرسالة التي عاشوا من أجلها وتعاقدوا مع الشعوب التي حكموها بشأنها، وحين الجهاد فقد نسوا السيف، وتبدلوا عند أسلوب معين، ولم يطوروا أنفسهم، بل إنهم انقلبوا من حماية الأمة إلى متسلطين عليها، يمنعون حركتها وتطورها.

وبذا فقدوا دورهم في التاريخ وسقطوا بعد أن أدوا للحضارة الإسلامية الكثير وأنقذوها من أكبر خطرين عالميين هما التتار والصليبيين.

خامساً - العهد العثماني:

توظة:

تعرض تاريخ العثمانيين من قبل أعداء الإسلام ومن جاراهم من المفرطين من أبناء العرب والمسلمين إلى كثير من الدس والتحريف كما لم يتعرض له تاريخ دولة أخرى في العصر الحديث، بل لقد حاول الكثير من هؤلاء المؤرخين وبشّئوا الوسائل تشويه تاريخ الخلافة العثمانية، والإساءة إلى سمعة الخلفاء والسلطانين، وغنمطهم كثيراً منهم حقوقهم ومكتسباتهم.

لكن هذا التاريخ وخاصة في الآونة الأخيرة، لم يعدم بعض المنصفين من المؤرخين، الذين كشفوا عن نصاعته ودوره الكبير في الدفاع عن حوزة المسلمين ومقارعة أعدائهم والطامعين بهم أو.

ونحن هنا لسنا في موقف الدفاع عن العثمانيين وتاريخهم إلا بقدر ما يهمنا من تلمس طريق الحق والصواب وسط ذلك الضباب الكثيف والتعميم المريب الذي حفّ بهم وألصق بتاريخهم، ولعل من الإنفاق هنا أن نذكر بأن العثمانيين بشرٌ كغيرهم من خلق الله يصيبون ويخطئون، يقوون ويضعفون، وقد أثبت لنا التاريخ أنه ظهر منهم العديد من الخلفاء الأقوياء الذين خدموا الإسلام والمسلمين وكانوا غرةً ناصعةً في جبين التاريخ الإسلامي المجيد، وكذلك ظهر منهم الخلفاء الضعاف الذين حادوا عن جادة الصواب، ولم تسuffهم الظروف في احتذاء حذو أسلافهم ونظرائهم من الخلفاء الأقوياء، ولعلنا نكون محقين إذا اعتبرنا أن الإغراءات التي تعرض لها هؤلاء الخلفاء والمؤامرات التي حيكت ضدهم من أعداء الإسلام كانت فوق قدرتهم واحتمالهم، فسقطوا أمام هذه المغريات، وكان سقوطهم كارثة على الدولة، ساهم مع العديد من الأسباب في إضعاف ومن ثم إسقاط الدولة العثمانية.

وعلى كلِّ حالٍ ففي الصفحات التالية سوف نذكر من تاريخ العهد العثماني ما يلقي الضوء بشكل مبسط ومحصر على هذا العهد الطويل - بإيجابياته وسلبياته، منذ بداية كقبائل بدائية تتلمس طريقها في هذا الوجود، وحتى سقوطها ونهايتها كآخر خلافة إسلامية، مع التركيز على الأسباب والعوامل التي أدت إلى هذا السقوط.

العهد العثماني

عندما سقطت الخلافة العباسية في بغداد على يد المغول سنة ٦٥٨ هـ تولى الأمر المماليك المصريون الذين تصدوا للمغول ورفعوا راية الجهاد واستأثروا بالحكم كسلطانين تحت ظلَّ الخلافة العباسية التي انتقلت إلى القاهرة ما يزيد على قرنين ونصف من الزمان، حتى كانت نهايتهما سنة ٩٢٣ هـ على يد السلطان العثماني سليم الأول الذي تسلم مقاليد الخلافة من العباسيين بعد ما تنازل له عنها آخر خليفة عباسي وهو محمد المتوكَّل على الله.

ومنذ ذلك التاريخ وحتى إلغاء الخلافة العثمانية سنة ١٣٤٢ هـ الموافق ١٩٢٤م. يطلق على هذه الفترة من فرات التاريخ الإسلامي العهد العثماني، أو مرحلة الخلافة العثمانية.

والعثمانيون الذين تسمى الخلافة باسمهم يرجعون في نسبهم إلى قبائل الغزو التركية في بلاد تركستان، الذين غادروا هذه البلاد برئاسة زعيمهم "أرطغرل" وذلك بعد احتياج المغول لها بقيادة "جينكيز خان" واستقروا بين ظهراني الأتراك السلجوقية على هضاب آسيا الصغرى جنوب القوقاز. وكان ذلك في بداية القرن الثالث عشر الميلادي، الثامن الهجري على عهد السلطان علاء الدين السلجوقي (سلطان قونيه) حيث انضموا إليه في حربه ضد البيزنطيين، فكافأهم بأن منحهم منطقة أسكى شهرة على حدود الدولة البيزنطية، وبذلك يكون قد تحدَّد الموقع الجغرافي للإمارة

العثمانية، وكان من نتيجة ذلك أن تمكنت هذه الإمارة من الاستيلاء على الدولة البيزنطية، ومعظم البلقان قبل أن تتمكن من بسط نفوذها على شبه جزيرة الأناضول، وإخضاع الإمارات التركية الأخرى لها.

وعندما توفي "أرطغرل" سنة ١٢٨٨ م خلفه ابنه "عثمان" الذي تتسب الدولة العثمانية إليه وعلى يد "عثمان" هذا تحولت الجماعات العثمانية من أسلوبها القبلي إلى أسلوب الدولة، فقد تمكّن من الاستيلاء على مدينة "وقره حصار" واتخذها عاصمة له.

وخلف عثمان ابنه "أورخان" الذي هاجم أملاك الدولة البيزنطية فاستولى على "بروسيا"، واتخذها عاصمة له، كما استولى على "أنقرة" و "نيقيه" و "نيقوميديا" وفي آخر عهده أنشأ نظام "الإنكشارية".

واستمر ملوك العثمانيين في الفتوحات في بلاد البلقان والأناضول وشرق أوروبا حتى تم لهم تتويج هذه الفتوحات بفتح القدس طنطينية سنة ١٤٥٣ م بقيادة السلطان محمد الثاني. أو "محمد الفاتح" أعظم السلاطين العثمانيين - الذي اتخذها عاصمة للدولة العثمانية، منهاً بذلك عصوراً طويلة من الصراع السياسي والعسكري والمذهبي، بين الدولة البيزنطية والعالم الإسلامي.

وتعاقب على الدولة التركية عدد من السلاطين كانت حياتهم تتراوح - بين مد وجزر وانبساط وانقباض حتى استولى السلطان سليم الأول بن بايزيد على الحكم، سنة ١٩١٨ - ٩٢٦ (١٥١٢ - ١٥٢٠) يعتبر عهده نقطة تحول في تاريخ العثمانيين، وبه ابتدأ عهد الخلفاء الذين عبروا مرحلة جديدة امتازت بالاهتمام بأمر الأمة الإسلامية والعمل على توحيدها والوقف أمام القوى المعادية لها صفاً واحداً. ذلك أن العثمانيين وجدوا أنفسهم أقوى دولة إسلامية في مطلع القرن السادس عشر الميلادي بالمقارنة مع الدولة الصفوية في إيران وقسم من العراق، ودولة المماليك

في مصر وسوريا والجزيرة العربية، إضافة إلى بعض الإمارات والسلطانات الصغيرة في شمال أفريقيا.

ونظروا حولهم فوجدوا أن هناك قوى خارجية تهدد الوطن العربي المتاخم لحدودهم، سواء من شماله أو جنوبه، متمثلة في البرتغال وأسبانيا وفرسان القديس يوحنا في البحر المتوسط، بالإضافة إلى قوة البرتغال البحرية في المحيط الهندي ومداخل الخليج العربي والبحر الحمر، وإزاء هذا الوضع كان لا بد لواحدة من القوى الإسلامية الثلاث أن تفرض وجودها على المنطقة بكمالها.

ولما كانت الدولة العثمانية قد وصلت إلى أقصى حد يمكن أن تصل إليه في جهة الغرب، وحيث وجدت نفسها الأقوى بين الدول الإسلامية المعاصرة لها اتجهت أنظارهم إلى الشرق متوجبة زيادة رقعتها العمرانية وبسط سلطانها على مساحات أوسع من جهة والتصدي للأعداء المحبيطين بها من جهة أخرى.

وكان أول محطة لها إزاء هذا الوضع الاستيلاء على سوريا، بعد أن انتصر العثمانيون بقيادة السلطان "سليم الأول" على المماليك بقيادة "قانصوه الغوري" في موقعه "مرج دابق" قرب مدينة حلب في شمال سوريا سنة ١٥١٦ ثم أكمل الاستيلاء على باقي مدن سوريا واحدة بعد الأخرى.

بعد ذلك تم له الاستيلاء على مصر بعد مقتل "طومان باي" – نائب الغوري – إثر موقعة الريدانية – قرب القاهرة – سنة ٩٢٣ هـ – ١٥١٧ هـ.

وبذلك انتهت الدولة المملوكية التي طالما دافعت عن الشرق الإسلامي أحذار الصليبيين والمغول، وكان لها دور بارز ومميز في التاريخ الإسلامي ككل.

وهكذا أصبحت مصر بعد الشام ولالية عثمانية، ثم ضمت الحجاز تلقائياً إلى العثمانيين لكونها تابعة لمصر، وأعلم شريف مكة ولاءه للسلطان سليم، وأرسل ابنه إلى القاهرة حاملاً مفاتيح الحرمين الشريفين فأكرم السلطان وفادته، وأعطاه لوالده

بالبقاء في الحكم والاحتفاظ بمكانته الدينية كشريف لمكة وجعل مصر تم الحجاز بالمال والمؤن سنوياً.

وبسقوط مصر في أيدي العثمانيين انتقلت الخلافة العباسية من القاهرة إلى القسطنطينية عاصمة الدولة العثمانية. حيث اصطحب السلطان سليم معه إلى دار السلطنة آخر خليفة عباسي، وهو المتوكل على الله الذي تنازل له عن الخلافة، وبقي هناك حتى أعاده السلطان سليمان القانوني ابن سليم إلى مصر سنة ١٥٤٣ وتوفي بها، وبذلك انتهت الخلافة العباسية رسمياً وأصبحت الخلافة عثمانية.

وتبع العثمانيون بسط سيادتهم على شبه جزيرة العرب وعلى العراق ومعظم أقطار المغرب العربي.

وهكذا دخل الوطن العربي برمه "باستثناء مراكش" تحت حكم الدولة العثمانية وقد ساعد على ذلك عدة عوامل منها:-

- ١ - قوة العاطفة الدينية لدى العرب الذين رأوا في الدولة العثمانية دولة إسلامية قادرة على تخلص الوطن العربي من الأخطار الخارجية التي هددته في السنوات الأخيرة من القرن الخامس عشر.
- ٢ - حالة الضعف التي عاشها الوطن العربي بسبب الحروب الطويلة والتراك السياسي.
- ٣ - لم يقاوم العرب الضم العثماني لأن حكم بلادهم لم يكن بأيديهم بل كان بأيدي عناصر غير عربية كما في سوريا والعراق^(١).

وقد ترتب على انضمام الوطن العربي إلى العثمانيين عدد من النتائج الإيجابية والسلبية سواء فيما يخص العرب أو فيما يخص العثمانيين وأهمها فيما يخص العرب ما يلي:-

(١) د . حسن ريان ومحمود طوالبة. مذكرة في تاريخ العرب الحديث.

- أعاد العثمانيون للوطن العربي وحده السياسي وبالتالي أفسح له فترة من الهدوء والاستقرار النسبي كان بأمس الحاجة إليها.
- استطاع أن يدفع الاستعمار الأوروبي عن الوطن العربي حتى أواخر القرن الثامن عشر.
- فرض العثمانيون العزلة السياسية والاقتصادية والحضارية عن الوطن العربي خوفاً من الاستعمار الغربي، فحالوا بينه وبين العالم الخارجي، مما أوجد فجوة حضاريةً واسعةً بين أوروبا والوطن العربي.
- بقي الوطن العربي على حالة الضعف والإعياء التي وجدها العثمانيون عليه مما سهل وقوعه فرسيمة في يد الغرب عند ضعف الدولة العثمانية.
- انتقلت عاصمة الوطن العربي إلى خارج الوطن وأصبحت لغته الرسمية غير اللغة العربية.

أما ما يخص العثمانيين فأهمها ما يلي :

- ترتب على ضم العثمانية للوطن العربي إليه أن صبغت الدولة العثمانية بالصبغة الشرقية.
- اتسعت حدود الدولة العثمانية اتساعاً عظيماً مما أوجد لها كثيراً من المشاكل السياسية مع الدول المجاورة المنافسة.
- إن انتقال الخلافة إلى العثمانيين، قد حمل الدولة العثمانية مسؤولية الدفاع عن الإسلام والمسلمين في كل مكان.

والباحث في تاريخ الدولة العثمانية لا بد له أن يضع نصب عينيه تدوين الملحم العامة لشخصيتين سياستين كان لهما أثر بارز في مجريات الأمور لحياة هذه الدولة إن سلباً أو إيجاباً ولعبا دوراً هاماً في تاريخها الحديث، وهاتان الشخصيتان هي:-

١- السلطان عبد الحميد خان الثاني.

٢- مصطفى كمال اتاتورك.

والسلطان عبد الحميد الذي لم ينصفه عصره، ولقي من أمه بشكل عام ومن الكثير من المؤرخين بشكل خاص. كل الحجود والنكران، وتعرضت سيرته سواء أثناء حياته أم بعد موته - إلى كثير من الدس والتحريف والهضم، في الوقت الذي أثبتت في الدراسات الحديثة والمخطوطات المكتشفة نصاعة سيرة هذا الخليفة الصالح، ويكتفي فخرًا أنه تصدى للمؤامرات اليهودية ورشاوايهم، ومنعهم من الهجرة إلى فلسطين حيث ذهب ضحية هذا الدور المشرف وضحية الظروف العامة السائدة للدولة العثمانية التي سبقت تقاده منصب الخلافة.

فمنذ منتصف القرن السادس عشر الميلادي بدأ الضعف يدبُّ في جسم الدولة العثمانية، وقد أخذت الأمور تسير بسرعةٍ فائقةً لمصلحة الغرب وفي مختلف النواحي العسكرية والسياسية والعلمية، وراحت الكثير من الولايات العثمانية المسيحية تسقط بيد الأوروبيين وتستقل استقلالاً تاماً عن جسم الدولة.

وهنا يبرز دور السلطان عبد الحميد الذي تقلَّد أمور الدولة في شعبان ١٢٩٣هـ الموافق سبتمبر ١٨٧٦م، واستلم مهام عمله بهمة ونشاط، وأظهر للوزراء رغبة في إصلاح الأمور، ونتيجة للأحوال السيئة التي سبقت ولايته وتكلَّب الدول الأجنبية على الدولة العثمانية رأى أن يتجه نحو العالم الإسلامي عليه يظفر بمساعدة المسلمين له، ولاسيما من كان منهم تحت سيطرة الدول الأوروبية المناوئة للعثمانيين. وقد رمى السلطان عبد الحميد بهذه الحركة إلى إيجاد رابطة قوية بين المسلمين، على أن هذه السياسية لم تصادف النجاح المطلوب وذلك لعدم مهارة رسالته إلى البلاد الإسلامية، وجهلهم لغاتهم، وتمسك أهل السنة بوجوب قيام الخلافة في قريش، ووقوع بعض الأمم الإسلامية تحت نفوذ الدول الغربية، مما

جعل توحيد المسلمين أمراً بعيد الاحتمال، وأخيراً ثار على هذا السلطان الأحرار الأتراك سنة ١٩٠٨ وخلعوه من السلطة.

وساءت حالة الدولة العثمانية بعد ذلك، واحتل الحلفاء سواحل "بحر مرمرة" و"إسطنبول" وفي أكتوبر سنة ١٩٢٢ عقدت هدنة "مودانيا" التي نصت على جلاء الحلفاء عن هذه البلاد، ثم أعلن المجلس الوطني الكبير إلغاء السلطنة العثمانية، وأعلنت الجمهورية التركية في ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣ وانتخب مصطفى كمال رئيساً لها كأول رئيس للجمهورية.

ومصطفى كمال هذا، أصله من يهود الدونمه - أي المتظاهرين بالإسلام - وهو صنيعة غربية، خططت له الصليبية العالمية واليهودية والماسونية وجهزته للإطاحة بالخلافة الإسلامية، ومن ثم الاستيلاء على الحكم، حيث تبنى له ذلك حكم تركيا وحده حكماً مطلقاً لا ينافيه فيه أحد حكماً دكتورياً يقوم على السحق والإبادة والدم والأشلاء^(١).

وقد ساعد الصليبية في تنفيذ مخططها الاستعماري، حيث استغل هؤلاء الفرصة بعد أن تم لهم الاستيلاء على أجزاء من تركيا بما فيها إسطنبول وعقدوا معه صلحاً أسفر عن هدم الوحدة الإسلامية، وبموجب معاهدة "لوزان" التي تمت بين الطرفين وضعت إنجلترا عدداً من الشروط وأكملت فيها على عدم الانسحاب من أراضي تركيا إلا بعد تنفيذ هذه الشروط وهي:-

- ١- إلغاء الخلافة الإسلامية. وطرد الخليفة من تركيا ومصادرته أمواله.
- ٢- أن تتعهد تركيا بإخمام كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.
- ٣- أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام.

(١) الدكتور عبد الله عزام. المنارة المفقودة.

- ٤- أن تخال لها دستوراً مدنياً بدلًا من دستورها الذي هو مستمد من أحكام المسلمين.
- ٥- إلغاء المحاكم الشرعية والمدارس والأوقاف وأحكام الميراث.
- ٦- جعل الأذان باللغة التركية بدلًا من اللغة العربية.
- ٧- استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية.
- ٨- جعل العطلة الرسمية يوم الأحد بدلًا من يوم الجمعة.

إلى غير ذلك من شروط الهدم والتدمر للإسلام وال المسلمين^(١).

وسقطت الخلافة الإسلامية، وترك سقوطها آثاراً سيئة في الأمة الإسلامية أبرزها:-

- ١- التركة الموروثة: حيث وجدت الصليبية العالمية والاستعمار الغربي، الدول الإسلامية والعربية لقمة سائغة.
- ٢- زرع إسرائيل في قلب الوطن العربي.

الحالة الإدارية والاجتماعية

كانت الدولة العثمانية إمبراطورية متراكمة الأطراف، تضم على أرضها رعايا من أجناس وبلدان شتى: من ترك وعرب وأكراد وببر وآرناووط وأرمن وسلاف وبنان وغيرهم، وكانوا مختلفي الديانات متعدد اللغات، ولكن ذلك لم يمنعهم من ضبط الأمور بفضل سياسة الحكم الإسلامي التي انتهجوها .. وكذلك بفضل سياسة التسامح التي سلكوها فقد دأبوا منذ البداية على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للشعوب التي خضعت لسلطانهم، فتركوا لهم حرية ممارسة

(١) د . فؤاد على مخيم. الفتنة المعاصرة و موقف المسلمين منها.

طقسهم الديني وعاداتهم وتقاليدهم ولغاتهم المحلية، وإن جعلوا اللغة التركية لغة رسمية للدولة وذلك بجانب اللغة العربية كلغة للدين والثقافة.

كان الطابع العام والجوهر الشامل للدولة عسكرياً جهادياً، - امتاز بالجد والانضباط وخاصة في مرحلة البناء والتشييد، وكانت مصلحة الدولة تقدم على مصلحة الرعية وذلك خلال ما يسمى بقرون القوة التي عاشتها الدولة في سائر الولاياتها، وتمتعت بأنظمة ممتازة من خلال حكمة مركزية، مركزها عاصمة الخلافة في "الأستانة" تتألف من السلطان - الذي يتمتع بسلطات مطلقة، فهو الرئيس الأعلى للدولة، و الخليفة المسلمين الذي لا يجوز الخروج عليه أو تحدي سلطاته، وهو أيضاً القائد الأعلى للجيش - وتتألف أيضاً من مجلس الوزراء الذي يرأسه الصدر الأعظم - ومهمته: تصريف الشؤون العامة للدولة، وديوان سلطاني مكون من الوزراء وكبار الموظفين، والقضاء الذي يرأسه شيخ الإسلام، بالإضافة إلى عدد من النواب عن الجيش.

أما في الولايات فكان يتولى أمر كل ولاية والي "الباشا" الذي يعين من قبل الخليفة - ويعاونه في أعمال إدارة الولاية "الديوان" ، أما القضاء فكان يتولاه "قاضي القضاة" وقاضي العسكر، وقد قسمت الولايات إدارياً إلى "سناجق" عين لكل منها حاكم سمى "بالسنجق" مهمته الإشراف على شؤون الأقاليم، والحفاظ على الأمن وجمع الضرائب، وفي كل ولاية كان هناك حاكم عسكري وحامية عسكرية تساعد البشا على حفظ النظام والأمن^(١).

والمجتمع العثماني ينقسم بشكل عام إلى طبقتين رئيسيتين ويترفع عن هاتين الطبقتين، وخاصة الطبقة الثانية طبقات متعددة ولكنها تؤلف فيما بينها مجموعة واحدة:-

(١) انظر: د . عبد الحليم عوishi. دراسة لسقوط ثلاثة دول إسلامية ص ١٨٤ .

١ - الطبقة الأولى:

الحكام الأتراك وهم: العائلة العثمانية الحاكمة (عثماني) وحاشيتها ومحسوبون عليهم، وكان بيدهم معظم السلطات السياسية والعسكرية والإدارية، وكان لهذه الطبقة بروتوكولاً خاصاً بها، ونظاماً معيناً بالقصر "والحرملك" وغير ذلك من العادات والتقاليد.

٢ - الطبقة الثانية:

طبقة الرعية المحكومة: وهو شعوب المجتمعات الخاضعة للدولة العثمانية بما فيهم الفلاحين من الشعب التركي، وتکاد ظروف هذه الطبقة الحياتية والاجتماعية تتشابه في كثير من الأمور، اللهم إلا في ما يتعلق بالرواسب الاجتماعية التي تميز جماعة عن جماعة.

ولما كانت البلاد العربية تعتبر جزءاً من الدولة العثمانية بل وأكبر أجزائها وولاياتها، وأن العرب ومنذ انضمامهم للحكم العثماني - وطيلة فترة فترة قرون القوة - قد رحبوا بالوحدة الإسلامية العثمانية ولم يعارضوها، حيث وجدوا في العثمانيين إخوانهم في الدين والعقيدة وذلك يؤلف قوة ودفعاً كبيرين، وقد أكد الباحثون والمؤرخون "أن هذا الالقاء بالعرب في ظل الدولة العثمانية، قد حمى العالم الإسلامي أكثر من أربعين عاماً من الغزو الصليبي الذي لم يلبث أن جاء بعد ضعف الدولة العثمانية^(١).

فقد تكونت فيها على مر السنين عدد من الطبقات الاجتماعية التي نجم عنها فيما يلي:-

١ - طبقة الحكام وكبار الموظفين، ومعظم هؤلاء من الأتراك.

(١) انظر: أنوار الجندي، تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث ص ٢٤.

-٢ طبقة الإقطاعيين: وقد نشأت هذه الطبقة من أصحاب الإقطاعات العسكرية الذين حولوها مع الزمن إلى قطاعات مدنية، يضاف إلى ذلك أن بعض الملتزمين كانوا بمثابة إقطاعيين يتلزمون مناطق معينة مدى الحياة ويورثون التزامهم إلى أبنائهم.

-٣ أصحاب العصبيات: وهم الزعماء والأمراء ورؤساء القبائل الذين أقرت لهم الدولة على مقاطعاتهم عند احتلالهم للبلاد، وكانوا يقدمون للدولة أموالاً مفروضة على مقاطعاتهم، كما كانوا يقدمون لهم الجنود وقت الحرب.

-٤ طبقة الشعب: وهم (الفلاحون ، الصناع ، والتجار) أو الطبقة المنتجة العاملة، وقد تأخرت أحوال هذه الطبقة بتأخر الأحوال الاقتصادية والعوامل الجوية وفترات الحروب، وما يتربّط عليها من فرض الضرائب المرهقة لهم في كثير من الأحيان، مما أدى إلى إهمال الزراعة والصناعة والتجارة، وكان ذلك من أسباب ضعف الدولة.

-٥ هيئة العلماء: وقد تم إغفاء هؤلاء من الضرائب، ومع أنهم لم يتقاضوا رواتب من الدولة، إلا أنهم كانوا يأخذون مخصصاتهم من عائدات الأوقاف.

-٦ الطوائف غير الإسلامية: كان لهذه الطوائف نظمها وتقاليدها الخاصة، كما كان لها رؤساؤها الذين يمارسون عليها سلطتهم ويجتمعون منها الضرائب، وقد أُغفت هذه الطوائف من الخدمة العسكرية.

وإذا ما خلصنا إلى وصف الحالة الاجتماعية في الدولة العثمانية وولاياتها وخاصة أيام الضعف الذي ساد الدولة في عهودها الأخيرة ، وذلك بعد أن تكالبت عليها الدول الاستعمارية ولم تستطع المقاومة ، وأفلت الزمام من يد معظم الخلفاء، فقد ساء النظام الإداري، وبدأت المظالم تنتشر من الولاية ، وفرضت الضرائب الباهظة، وظهر الجهل بسبب إهمال التعليم، وشاعت الخرافات والأهواء والبدع بين الناس، فعمت الفوضى، وانتشر قطاع الطرق وكثير الغزو، وانهار الاقتصاد في

البلاد، وساعت الحياة الاجتماعية، وماج الناس في الفتن والاضطرابات، وأثار حكام الولايات الشعب ضد الخلفاء، وكثرت معاول الهم، فاهتز مركز الخلافة مما ساعد على ضعفها وسقوطها.

الحالة الفكرية والثقافية

بعد أن سيطر العثمانيون على البلد العربية والإسلامية أصبحت الأستانة مركز الخلافة وقاعدة الإسلام الأولى، وأضحت بمازدها الشاهقة مؤئلاً للثقافة الإسلامية وداراً لطباعة المصحف الشريف، ومقرًا لشيوخ الإسلام، وقد نقل إليها السلاطين أعداداً كبيرة من نفائس المخطوطات والمؤلفات العربية والإسلامية المختلفة من الكثير من العواصم العربية والإسلامية، كما اختاروا أفضل العلماء وكبارهم بقصد الانتفاع منهم ومن علمهم، فنشطت حركة التأليف في اللغات التركية والعربية والفارسية، وخاصة باللغة العربية التي تعتبر لغة الدين والثقافة، وقد تأثرت اللغة التركية بهاتين اللغتين، وأخذت عنهما الكثير من الكلمات والأسباب اللغوية والأدبية، وظلت كذلك حتى تم استبدالها بالحروف اللاتينية من قبل مصطفى كمال بعد إلغاء الخلافة العثمانية.

وقد أكد العثمانيون منذ البداية أنهم لا ينتمون إلا للإسلام ولتراث الإسلام وحضارته المسلمين "وقد كان للعثمانيين من الثقافة الراقية والأدب الأخاذ ما جعل الترجمة منها إلى اللغات الأوروبية ملحوظة، وكانت اللغة العربية سواء قبل الفتح العثماني للبلاد العربية أو بعده هي لغة الثقافة والأدب والعلوم، فقد كتبوا كل شيء من كتب الفقه أو الفتاوى، واصطلاحات العلوم العثمانية كانت كلها عربية، كما كتبوا بها الترجم النعمانية "لشاشكير" زاده" وغيرها، وقد قرر العثمانيون اللغة العربية لغة أولى في جميع المعاهد التعليمية ودرسوها بها كافة العلوم واستقروا من العربية اصطلاحات علمية كثيرة"^(١).

(١) انظر: محمد حرب عبد الحميد، مجلة العربي العدد ٢٤٤.

كما درج العديد من الخلفاء والولاة أو الشعراء والأدباء العثمانيين على التأليف في اللغات الفارسية والعربية، وحاولوا تقليد الشعراء الفرس والعرب في منظوماتهم الشعرية بمختلف أنواعها^(١).

أما عن التعليم خلال هذا العهد بما فيه البلاد العربية فيمكن اعتباره امتداداً للعصور الإسلامية السابقة، وخاصة العصر المملوكي، المعاهد التي كان يشع منها العلم ويتعلم الدارسون^(٢):

- ١- المسجد: فقد توسع المسلمون في مهمته فهو بالإضافة إلى كونه مكاناً للعبادة فإنه مكان لإدارة شؤون الدولة ومجلس للقضاء ومنطلق للجهاد ومكان للعلم بمختلف فروعه الشرعية والأدبية والعلمية كالطب والفلك والحساب وغيرها.

ومن أشهر مساجد التعليم خلال هذا العهد - الأزهر الشريف وجامع الزيتونة والجامع الأموي والحرمين الشريفين والنجف الأشرف وغيرها التي كان يؤمها الطلاب من مختلف الأقطار العربية والإسلامية.

- ٢- الكتاب: ويدرس فيه الأطفال مبادئ القراءة والكتابة والحساب، ويتعلمون حفظ القرآن الكريم.

- ٣- المدرسة: فقد انتشرت المدارس في العديد من المدن الإسلامية والعربية ولم يكن في نظام التدريس امتحان أو شهادة، وجل ما في الأمر إجازة يمنحها الشيخ ل聆ميده فيصبح أهلاً للتعليم.

(١) د . عمر موسى باشا: تاريخ الأدب العربي في العصر العثماني.

(٢) د . بكري شيخ أمين، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني.

٤- المكتبات العامة والخاصة: وقد لعبت دوراً ملموساً في نشر الثقافة في البلاد الإسلامية ظهر العديد من الشعراء والعلماء الذين تتفقونا ثقافة ذاتية أثمرت العديد من الكتب والمؤلفات.

أما في مجال الأدب والأدب العربي بشكل خاص، فقد هبط مستوىه عما كان عليه في العصر العباسي، وظهر عليه التكلف والصناعة اللفظية، وخاصة في العصور المتأخرة لهذا العهد، فجمدت القرائح وتندى الفكر، وكثُرت السرفات الشعرية، وانعدم الإبداع والإبتكار.

وفي مجال التأليف قل إنتاج العلماء وصار علمهم في الغالب مقتصرًا على شرح المختصرات، أو التعليق عليها، أو إيجاز المخطوطات، كما تقضي الجهل بينهم فقل التحري والتوثيق، وشاعت الروايات غير المؤثرة، علاوة على المبالغات والأخطاء الكثيرة.

هذا ولم تمنع هذه الأحوال أو الظروف من ظهور بعض العلماء والمؤلفين الذين لا تتطبق عليهم أحكام عصرهم، ومنهم شهاب الدين الخاجي وأبن أبي وحاجي وعبد القادر البغدادي والصبان وغيرهم.

أسباب سقوط الخلافة العثمانية

لم تكن الدولة العثمانية أول دولة على وجه هذه البسيطة يعتريها الذبول والسقوط، ولن تكون آخرها بالطبع.

فمنذ العصور المغرقة في القدم وإلى أن بirth الله الأرض ومن عليها كانت هناك دول تقوم ودول تهوي، وحضارات تسود وأخرى تتبدىء، وهذه سنة الله في خلقه ﴿وَلَنْ يَحْدُثْ لِسْنَةَ اللَّهِ بَدِيلًا﴾ (١).

والخلافة العثمانية التي هي الحلقة الأخيرة من سلسلة الخلافة الإسلامية الغابرة، لم تسقط تماماً عندما أعلن مصطفى كمال أتاتورك إلغاءها سنة ١٩٢٤ م ولكنها بدأت رحلة السقوط حين أعلنت نفسها ومنذ بداية عهدها حاملة لواء jihad الإسلامي ضد البيزنطيين، ومن ثم أخذت تتغلب داخل البلاد الأوروبيّة حتى طرقت أبواب "فيينا" ووقفت بعدها سداً منيعاً في وجه الأوروبيّين الطامعين بخيرات الشرق، الأمر الذي نبه هؤلاء للخطر القادم إلى عقر ديارهم، فوفقاً صفاً واحداً يقاومون هذا الجسم الوافد الذي بدأت عوامل الضعف تدب في أطرافه منذ بداية القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، وعند ذلك أخذوا يطلقون عليه اسم "الرجل المريض" الذي أوشك في حينه على السقوط لو لا الخلافات التي نشبت بين الدول الأوروبيّة على اقتسام ممتلكات العثمانيين.

وفي نهاية القرن الثامن عشر (١٧٩٨م) غزت فرنسا مصر بقيادة نابليون - بونابرت ففتحت أعين الناس هناك على الفرق الشاسع بين الحضارة الأوروبيّة المتقدمة وبين التخلف العلمي والحضاري الذي تعيشه البلاد العربيّة في ظل العثمانيين، فقامت ثورات مسلحة بجانب الثورات الفكرية المتلاحقة، للاقتباس من

(١) سورة الأحزاب الآية ٦٢.

علوم الغرب الأوضاع الاجتماعية السائدة، ونشطت الحركات السياسية والعسكرية ومحاولات الاستقلال، وظهرت فكرة القومية العربية مقابل القومية التركية.

"و هنا نشطت مشاكل المسألة الشرقية. وأصبحت سبباً في خلافات دولية وحروب، وساهمت فيها الدول الأوروبيّة المهمّة بـ بـرـيـطـانـيـا فـرـنـسـا وـنـمـسا وـرـوـسـيـا، وـكـانـتـ تـرـكـيـاـ هيـ الـخـاسـرـةـ عـلـىـ الدـوـامـ بـالـرـغـمـ مـاـ كـانـ يـبـدـوـ فـيـ ظـاهـرـ المـعـاهـدـاتـ الـتـيـ تـنـهـيـ لـوقـتـ مـحـدـودـ هـذـهـ مـشـاـكـلـ أـوـ بـعـضـهـاـ، إـذـ كـانـتـ الدـوـلـ الـأـورـوـبـيـةـ تـعـمـلـ فـيـ كـلـ مـنـاسـبـةـ عـلـىـ اـقـطـاعـ جـزـءـ مـنـ أـمـلاـكـ الـعـمـانـيـينـ، وـتـمـكـنـتـ فـرـنـسـاـ أـنـ تـظـفـرـ بـحـصـةـ الـأـسـدـ فـيـ شـمـالـ أـفـرـيـقـيـاـ الـعـرـبـيـ، فـاحـتـلـتـ الـجـزـائـرـ (ـ١٨٣٠ـ) وـسيـطـرـتـ عـلـىـ تـونـسـ (ـ١٨٨١ـ) وـمـرـاـكـشـ (ـ١٩١٠ـ)، بـيـنـماـ اـحـتـلـتـ بـرـيـطـانـيـاـ "ـمـصـرـ" (ـ١٨٨٢ـ) وـبعـضـ سـوـاـحـلـ الـجـزـيرـةـ الـعـرـبـيـةـ، وـاقـطـعـتـ إـيطـالـيـاـ لـيـبـيـاـ (ـ١٩١١ـ)، وـكـانـ نـصـيبـ رـوـسـيـاـ وـنـمـساـ مـنـ تـرـكـةـ الرـجـلـ الـمـرـيـضـ -ـ تـرـكـيـاـ -ـ أـمـلاـكـ أـورـوـبـيـةـ غـيرـ عـرـبـيـةـ، وـاـكـتـفـتـ أـلـمـانـيـاـ الـإـمـبـرـاطـورـيـةـ بـالـنـفـوذـ الـمـبـاـشـرـ عـلـىـ سـلـاطـينـ آلـ عـشـانـ، وـنـيلـ الـأـمـتـيـازـاتـ الـاـقـتـصـادـيـةـ وـالـعـسـكـرـيـةـ، حـتـىـ إـذـ اـنـتـهـيـتـ الـحـرـبـ الـعـالـمـيـةـ الـأـولـىـ بـاـنـتـصـارـ الـحـلـفـاءـ .. أـطـبـقـ هـؤـلـاءـ عـلـىـ بـقـيـةـ الـبـلـادـ الـعـرـبـيـةـ وـخـاصـةـ الـقـسـمـ الـآـسـيـوـيـ مـنـهـاـ، فـاحـتـلـتـ فـرـنـسـاـ سـوـرـيـاـ وـلـبـنـانـ، وـبـرـيـطـانـيـاـ فـلـسـطـيـنـ وـالـأـرـدـنـ وـالـعـرـاقـ وـسـوـاـحـلـ الـجـزـيرـةـ الـعـرـبـيـةـ" (١).

وهـكـذاـ وـمـعـ بـدـايـةـ الـقـرنـ الـعـشـرـينـ وـقـبـلـ نـهـاـيـةـ الـرـبـعـ الـأـولـ مـنـهـ لـفـظـتـ الـخـالـفـةـ الـإـسـلـامـيـةـ الـعـمـانـيـةـ أـنـقـاسـمـهـاـ الـأـخـيـرـ.

جملة من الأسباب الداخلية والخارجية التي اتصلت بـ حـلـقـاتـهاـ وـتـشـابـكـتـ خـيوـطـهاـ وـخـطـوطـهاـ، قد سـاـهـمـتـ فـيـ إـضـعـافـ الـدـوـلـ الـعـمـانـيـةـ وـأـدـتـ بـالـتـالـيـ وـكـنـتـجـةـ طـبـيعـيـةـ لـاستـفـحالـ مـثـلـ هـذـهـ الـأـسـبـابـ وـالـعـوـامـلـ إـلـىـ سـقـوـطـهاـ وـمـنـ ثـمـ إـلـىـ إـلـغـاءـ آخرـ خـلـافـةـ

(١) تاريخ العرب والإسلام: أنور الرفاعي.

إسلامية كانت رمزاً للوحدة الإسلامية، وكتيبة الإسلام الأولى ضد الأطماع الصليبية والصهيونية، وظلت قرابة خمسة قرون تؤدي دورها في حماية الإسلام والمسلمين.

هذا وقد زخرت كتب التاريخ والمراجع التي تورخ للموضوع بدراسة أحوال ضعف الخلافة العثمانية وتحليلها وإرجاعها إلى عدد من الأسباب التي قد تقرب من الهدف أحياناً، أو تبتعد عنه أحياناً أخرى، وفقاً للأفكار والمعتقدات والأيديولوجية التي يحملها هؤلاء الباحثون والمؤرخون، ونستطيع أن نستخلص من هذه الدراسات والتحليلات، الأسباب الأساسية والفعالة التي أودت بالخلافة الإسلامية العثمانية - مع الأخذ بعين الاعتبار عدم إغفال العوامل الثانوية التي ساهمت أيضاً بدورها سواء بطريق مباشر أو غير مباشر في إسقاط هذه الخلافة ويمكن إجمالها كما يلي:-

أولاً - الخلافات السياسية والعصبية والصراع العنصري وتنافس الرياسة والجاه.

وذلك رغم التحذير الشديد الذي جاء به الإسلام، والتزاهيد في الإمارة، ولفت النظر إلى هذه الناحية التي هي سوس الأمم ومحطمة الشعوب والدول ﴿وَلَا شَرَّعُوا فَفَشَلُوا وَلَا هُبَّ رِيحًا مُّكْبَرًا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُصْرِفِينَ﴾^(١) ومع الوصيّة البالغة بالإخلاص لله وحده في القول والعمل، والتفير من حب الشهوة والجاه^(٢).

ويندرج تحت هذا السبب النزاع على العرش، ونظام ولادة العهد، حيث لجأ بعض السلاطين العثمانيين إلى قتل منافسيهم على العرش مبررين ذلك بالحرص على سلامة الدولة، وعدم تقسيمها بين المتنافسين، كذلك لم يكن نظام ولادة العهد

(١) سورة الأنفال الآية ٤٦.

(٢) الطريق إلى حكم إسلامي، محمد عليه ضناوي ص ١١٦.

محدداً تماماً في الدولة العثمانية، مما أوج مجالاً واسعاً للتفاف على العرش والصراع على السلطة بين الأبناء والإخوة.

هذا بالإضافة إلى ما كان يفرض على ولـيـ العهد من الإقامة بمعزل عن الناس، فلا يختلطون به، فقد ترتب على ذلك أن ارتقى العرش سلاطين لا يعرفون من السياسة شيئاً، ولا يهتمون بمصالح الدولة والشعب.

وكذلك نستطيع أن ندرج تحت هذا السبب يقطة القوميات المختلفة في الدولة العثمانية، إذا اشتملت الدولة على شعوب وقوميات غير متجانسة، ومع انتشار مبادئ الثورة الفرنسية في الحرية والإخاء والمساواة وما أعقبت ذلك من تحولات اقتصادية وسياسية واجتماعية، تمثلـ في حركة الانقلاب الصناعي وظهور المبادئ والأفكار والحركات القومية في أوروبا، تأثرـت القوميات الخاضعة للدولة العثمانية بهذه المبادئ والأفكار، فأخذـت تتحرك مطالبة بالتحرير من الحكم العثماني".

وقد كان لظهور الحركات القومية ومطالبـتها بالاستقلال عن جسم الدولة العثمانية، وما تبع ذلك من حروب طاحنة ومدخلـات دولـية معقدـة أثرـ كبيرـ في إضعاف الدولة العثمانية وتفكـكـها. كما كان لتعصبـ الحركة الطورـانية ممثلـةـ بـحزـبـ "الاتحاد والترقي" الذي حكمـ الدولة العثمانية منذـ سنة ١٩٠٨مـ أثرـ كبيرـ في دفعـ القومـياتـ الشرـقـيةـ إلىـ المـطالـبةـ بـالـاستـقلـالـ،ـ كماـ هوـ الحالـ بـالـنـسـبةـ لـالـقـومـيـةـ الـعـرـبـيـةـ^(١).

ثانياً - الخلافـاتـ الدينـيةـ والمـذهبـيةـ،ـ والـانـصـرافـ عنـ الـدـينـ كـعقـائدـ وـأـعـمالـ إلىـ الـأـفـاظـ وـمـصـطـلـحـاتـ مـيـتـةـ لـاـ رـوحـ فـيـهاـ وـلـاـ حـيـاةـ،ـ وـإـهـمـالـ كـتـابـ اللهـ وـسـنـةـ الرـسـولـ^(٢)ـ،ـ وـالـجـمـودـ وـالـتعـصـبـ لـلـآـرـاءـ وـالـأـقوـالـ،ـ وـالـولـعـ بـالـجـدـلـ وـالـمـناـذـراتـ وـالـمـرـاءـ،ـ

(١) مذكرة في تاريخ العرب الحديث. د . حسن ريان ومحمد طوالبة.

وكل ذلك مما حذر منه الإسلام ونهى عنه أشد النهي حتى قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) "ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل"^(١).

والمتتبع لتاريخ الخلافة الإسلامية يجد بوضوح أن بقاء الدولة قوية مهابة الجانب مر هون بتطبيق شرع الله عز وجل في هذه الأرض، لأنه شرعيه بقاء هذه الدولة إنما هو بتطبيقها هذا الشرع الذي اكتسبت به ولاء المسلمين وقيادتهم.

ولقد مرت على الدولة الإسلامية عهود تكتب فيها الحكم والولاية جادة الصواب والهدى، وحل الظلم والجور والتفرق محل العدل والإنصاف والوحدة، وقد تتغطى بعض الأحكام الشرعية لظروف يمر بها المجتمع المسلم أو كيف في التطبيق إلا أن هذا التعطيل ظل تعطيلا جزئيا سرعان ما يلائم ويعود إلى وضعه السليم، الأمر الذي جعل ولاء المسلمين القبلي لهؤلاء الحكم والخلفاء مستمرا رغم تلك المنعطفات الخطأة، إلا أن تعطيل شرع الله عز وجل كلية بحيث يصل الأمر إلى الفصل بين الدين والدولة ويصبح الخليفة روحيا فقط للمسلمين - وتتوالى اختصاصاته دولة كافرة، فإن ذلك لم يحدث في تاريخ الخلافة الإسلامية إلا في أواخر خلافة آل عثمان في عهد السلطان عبد المجيد بن عبد العزيز.

ثالثا - المكر الصليبي واليهودي والماسوني:

ويعتبر هذا العامل من أهم العوامل التي ساعدت على سقوط الخلافة العثمانية، فمنذ أن تم فتح القسطنطينية، والدولة العثمانية تخوض غمار الحروب الخارجية، وتتعرض للمؤامرات الداخلية، ثم أصبحت تقاسي الأمرين من التقاء أطماع وأحقاد النصارى، بأطماء وأحقاد اليهود والماسونيين بالاشراك مع يهود الدونمة - الذين يحملون الجنسية العثمانية ويتصرفون بالإسلام - وقد كانت باريس في فرنسا وسالوفيك في تركيا .. مركزا لهذا التعاون المشبوه، ومسرحا لذلك المكر والتخطيط.

(١) حديث شريف.

ونتيجة لهذه الأطماء الاستعمارية السافرة، والمؤامرات اليهودية الماكراة، وحالة الضعف التي كانت تعيشها الدولة العثمانية، وعدم مواكبتها للنهضة العلمية التي كانت مزدهرة في أوروبا، وذلك بسبب انغلاق الدولة على نفسها حذرا من تسرب الأفكار الغربية والمبادئ الهدامة إليها، فقد تكونت الجمعيات السرية والعلنية منها مثل جمعية "الاتحاد والترقي" في باريس، والتي تسيرها اليهودية وال MASONIYAH، واستطاعت أن تدبر ثورة شرسة خلعت فيها السلطان عبد الحميد الثاني عن الخلافة، وكانت هذه البدارة نقطة تحول فاصلة في القضاء على الخلافة الإسلامية.

٤- سوء الأحوال الداخلية والخارجية:

إن أحوال دولة الخلافة لم تكن مرضية في كثير من النواحي، فالإنقسام في الأقطار الإسلامية كان على أشدّه، وانشغال الآستانة بأحوالها وتدبّر شؤونها أمام المؤامرات والدسائس، شغلها عن بقية الأقطار فساعمت الإدارة داخل الآستانة وخارجها، وفي الولايات التابعة لها، وقد تفرد كثير من حكام الولايات بحكم مطلق، فلم تكن هناك رقابة أو متابعة، وظهرت أمارات الترف على طبقة الحكام، وسلعت أحوال الرعية، فلا عنابة بصحة أو تعليم، وكثُرت الديون الخارجية، وتدھورت الأحوال الاقتصادية، وثارت فتنة القوميات بين شعوب وجنسيات الدولة المختلفة مطالبة بالاستقلال. وظهر البون الشاسع من حيث الحركة العلمية والت الثقافية والتقدم العلمي بين الدولة العثمانية مقارنة بالدول الأوروبية، الأمر الذي زاد أطماء هذه الأخيرة تجاه دولة الخلافة، استفادوا من ضعف الدولة العثمانية والتأخير العلمي في بلادها والقوة الأوروبية والنهضة العلمية فيها مع دعم الفئات النصرانية المقيمة في البلاد العثمانية والأقليات الأخرى، مع من استغرب من المسلمين وقلد النصارى ورغب في السير على منهجهم، وهذا ما أثر على نفسية السكان، وبدأت الهزيمة تظهر وتنسخ مع الزمن وتزداد الدولة ضعفاً والعلم تأثراً، وتزداد أوروبا قوة و العلم تقدماً حتى الحرب العالمية الأولى، فهزمت أوروبا الدولة العثمانية، ودخل

الصلبييون أجزاء منها بعد أن تقاسموها حتى وصلت إلى الحضيض، فساعد هذا في إلغاء الخلافة^(١).

٥- الامتيازات التي كانت تمنح للأجانب اعتباطاً، وسخاء وكرم لا مبرر لهما - بل كانت تمثل التفريط بحق الوطن في أقبح صورة، فقد منحت الدولة امتيازات لدول أجنبية كتأسيس البنوك ومد السكك الحديدية، وإقامة الموانئ، ومد خطوط الهاتف والكهرباء، وتأسيس المدارس التبشيرية، وأعطتها الفرصة للإشراف المباشر على هذه الامتيازات، وتدخل السفارات والقنصلات بهذه الأمور.

٦- إهمال اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم والحديث الشريف وهي المصدر الرئيسي للتشريع، وعدم معرفتها المعرفة الجيدة بسبب عدم الفهم الصحيح لأحكام الإسلام، وكان يجب الاهتمام بها الاهتمام البالغ حيث كان الاتجاه نحو اللغة التركية أكثر منه إلى اللغة العربية بصفة أن الخلفاء والحكام يجيدون التركية وهم من أبنائهما، وفي هذا جهل لأن اللغة العربية لغة الإسلام، وصحيح أن بعض السلاطين والخلفاء سعوا وعملوا على إقامة المدارس باللغة العربية واهتموا بالعلم الشرعي، إلا أن ذلك كان دون المستوى المطلوب، وأقل ما يجب أن يكون بكثير، وكان على الخلفاء أن يتعلموا العربية ويشجعوا عليها. ومع عدم تعلم اللغة العربية قل الفهم الصحيح وساد الجهل في الأمسكار التي تتكلم العربية وأثر هذا على الضعف والتأخر العلمي^(٢).

٧- زواج السلاطين بالأجنبيات:

وسلط هؤلاء الأجنبيات على عواطف أزواجهن، وتصريفهن في سياسة بلادهن الأصلية، وتحكمهن بمقدرات الدولة.

(١) أنظر / تاريخ الدولة العلية العثمانية / محمد محمود حرب.

(٢) المرجع السابق.

أـ وقد كثُر تعدد الزوجات والمحظيات اللواتي كان الأجانب والحكام يقدمونهن هدية للسلطان، مما نتج عنه حصول العديد من المشاكل من جراء الزواج بهؤلاء الأجنبيةات، وأدى وبالتالي إلى تفكك روابط الأسرة السلطانية، علاوة على تدخل نساء القصر بالسياسة لدى أزواجهن السلاطين برفع الخدم إلى منصب الوزارة، أو إيصال المترافقين إلى مراتب الحل والعقد، كرئاسة الوزراء وقيادة الجيش، وفي كثير من الأحيان لا يكون لهؤلاء الرجال من ميزة يمتازون بها إلا هذه الصفات المذكورة.

- أسباب أخرى:

إضافة إلى الأسباب السابق بيانها، والتي ساهمت في إضعاف الدولة العثمانية وبالتالي إلى سقوط الخلافة، فهناك ثمة أسباب أخرى تعرض لها المؤرخون وكانت لها آثار واضحة في هذا الشأن نستعرض منها:-

أـ غرق السلاطين والأمراء في الترف والملذات، وتبذير بعض الملوك حتى بلغت نفقات القصور الملكية في بعض الأحيان ثلث واردات الدولة.

بـ خيانة الوزراء: إذ إن كثيراً من الأجانب المسيحيين كانوا يتظاهرون بالإسلام ويدخلون في خدمة السلطان ويرتّقون بالدسائس وال التجسس حتى يصلوا إلى أعلى المراتب ومنها رئاسة الوزارة، وبهذا الخصوص قال معموثر أنقرة في المجلس العثماني "لو رجعنا إلى البحث عن أصول الذين تولوا الحكم في الدولة العثمانية وارتکبوا السيئات والمظالم باسم الشعب التركي لو جدنا نسعين في المئة منهم ليسوا أتراكا" ^(١).

جـ ضعف الجيش العثماني وتدحرج الروح العسكرية:

(١) المرجع السابق.

كان الجيش العثماني يعتمد على ثلاثة أنواع من القوة العسكرية هي:-
- الجنود الإقطاعيون، والإنشارية، والجند الخاص المرتزقة.

أما الجنود الإقطاعيون لقد فقدوا روحهم العسكرية مع الزمن فارتبطوا بالأرض وأخذوا يتهربون من الاشتراك في الخدمة العسكرية، فلم تعد الدولة تعتمد عليهم، وأما الإنكشارية فقد فقدوا انصباطهم العسكري وأخذوا يتمرسون على السلاطين والولاة، بل ويعزلونهم أحياناً، وكثرت تعدياتهم على السكان، وتخلوا عن واجبات الجندية، وعجزوا عن حماية الأمن والتصدي للغزوات الخارجية، وتحولوا إلى قوة هدم بعد أن كانوا قوة بناء.

ولإذاء انهيار الإنكشارية اعتمد الولاة على الجند الخاص من المرتزقة الذين لم يكونوا قادرين على دفع الأخطار الخارجية والاشتراك في الحملات العسكرية.
وهكذا أصبحت القوات العثمانية عاملًا من عوامل ضعف الدولة وسبباً من أسباب انهيارها.

الباب الثاني

شعر الأصداء

تمهيد الشعر: مفهومه ووظيفته العامة

- توطئة:

الفصل الأول :- رثاء الخلافة الإسلامية والتحسر عليها.

الفصل الثاني :- الوقوف على موقع الخلافة والمدائن والأثار

الفصل الثالث :- الصورة الزاهية للخلافة ورموزها.

الفصل الرابع :- أسباب سقوط الخلافة.

الفصل الخامس:- آثار ونتائج سقوط الخلافة.

الفصل السادس:- الحنين إلى إحياء الخلافة والدعوة إلى
الوحدة الإسلامية.

رَفِعٌ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبَخْرَيِّ
أَسْكَنَهُ اللَّهُ الْفَزُورَ كَسْ

www.moswarat.com

الباب الثاني
شعر الأصدائ

تمهيد:

الشعر ... مفهومه ووظيفته العامة:

مسألة تعريف الشعر مسألة صعبة وشائكة، وعملية تحتاج إلى كثير من التروي والبحث، وقد اضطربت آراء العلماء والنقاد حول هذه المسألة، فلم يستقروا على تعريف جامع مانع له، نظراً لصعوبته تحديد ذلك، بسبب أن الشعر عملية ذهنية تتأبى على الضوابط والقوانين وتعلو على القواعد والمعايير، لأنّه وليد الشعور وحليف المعاناة، ومجاله هو العواطف والأحساس.

ولكن ورغم تلك الصعوبات فإن هناك بعض التعريفات المختارة التي تستعرض منها ما يلي:

((الشعر منظوم القول غالب عليه لأنّه يشعر ما لا يشعر غيره أي يعلم، وشعر الرجل يشعر شعراً وشعراً، وشعر قال الشعر، وشعر أجاد الشعر، ورجل شاعر والجمع شعراً، وفي الحديث قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ) : ((إن من الشعر لحكمة، فإذا أليس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر فإنه عربي))^(١).

أما ابن خلدون فإنه يعرف الشعر بأنه ((الكلام البلبل المبني على الاستعارة والأوصاف المفصل بأجزاء متفرقة في الوزن والروي، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به))^(٢).

(١) لسان العرب ج ٤

(٢) مقدمة ابن خلدون ج ٢ ص ٧٤٣.

ويعرفُ الشعرُ كذلك بأنه ((الكلام الموزونُ المفقى المعبرُ عن الأخيلةُ البدعيةُ، والصورِ المؤثرةُ البلاغةُ، وقد يكون نثراً كما يكون نظاماً، والشعرُ أقدمُ الآثارِ عهداً، لعلاقته بالشعورِ وصلته بالطبعِ، وعدم احتياجه إلى رقى العقلِ أو تعمق في العالمِ أو تقدم في المدينة))^(١).

ويعتبرُ الشعرُ من الفنونِ الجميلةِ الراقيةِ إن لم يكنْ أرقاماً على الإطلاقِ، وذلك لأنَّ النفسَ تستمتعُ بنظمِه وموسيقاهِ، والفكرُ يتلذذُ بأخيلتهِ وصورهِ، علاوةً على الدورِ الذي يلعبُه في تعريفِ الرغباتِ المكبوتةِ والعواطفِ المحبوسةِ في قرارةِ النفوسِ.

والشعرُ - كما يصفُه النقادُ - سلاحٌ من أسلحةِ الأدبِ، وهو وسيلةٌ حياديَّةٌ بذاتها، إن استُخدِمت في الخيرِ كانت خيراً وإن استُخدِمت في الشرِ كانت شراً.

هذا وقد واكبَ الشعرُ حياةَ الإنسانِ بصورةٍ عامَّةٍ منذُ أرْتقائهِ في عالمِ البشريةِ وتفاعلَ معها في مختلفِ مستوياتها وأنماطِها المعيشيةِ، كما أنه لعبَ دوراً هاماً وبارزاً في حياةِ العربِ سواءً في الجاهليةِ أو في الإسلامِ، فقد كانَ الشعرُ لديهم يسمى عنوانَ الأدبِ، وديوانَ العربِ، وكانَ أيضاً مخزنَ معلوماتِهم، ولسانَ حالِهم، وسجلَ مفاخرِهم، والمصوَّرُ لآلامِهم وأمالِهم، وقد أُودعوهُ وقائعَهم وذكرياتِهم، وكان له في نفوسِهم منزلةً أخرى؛ لأنَّه تعبيرٌ عن المشاعرِ والأحساسِ وخوالجِ النفوسِ البشريةِ، وهو لغةُ العاطفةِ والوجدانِ قبلَ أن يكونَ لغةُ العقلِ والعرفانِ.

وكانَ للشعراءِ مكانةً كبيرةً بينَهم، فالشاعرُ عندَهم هو صوتُ القبيلةِ، ولسانُ القومِ، والمدافعُ عن الشرفِ والأحسابِ والأنسابِ، والناطقُ بمجدهمِ، والمصوَّرُ لمفاخرِهم، إلى غيرِ ذلكَ من الألقابِ والصفاتِ.

(١) أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي ص ٤٨.

الإسلام والشعر:

ولما جاء الإسلام، لم يذم القرآن الكريم الشعر بإطلاقه، كما لم يذم الشعراء بعامتهم، ولكن الذي فعله القرآن الكريم هو تقسيم الشعراء إلى فريقين: فريق مع الله إيماناً وطهراً وصدقأً وتضحية ، وفريق مع الشيطان كفراً وفجوراً وزيفاً وضياعاً، ومميز في الشعر اتجاهين : أحدهما يدعو إلى الشر وإشارة النعرات، ويشهر بالأعراض، ويقتحم المنكرات، والأخر يدعو إلى الخير، وينشر السعادة، وينتصر للمظلومين، وينافح عن عقيدة الدين.

كما أن الرسول ﷺ وجه الشعراء الذين أسلموا وجهة جديدة وجعل للشعر وظيفة نبيلة هي المنافة عن الحق والرد على أعدائه، والوقوف في طريق أولئك الذين أطلقوا ألسنتهم افتراء على الله ورسوله ﷺ وال المسلمين. إذن فقد اهتم الإسلام بوظيفة الشعر ودوره الكبير في حياة الإسلام والمسلمين، واعتنى بتوجيهه مضمونه، فأراد بذلك أن يسمو بالشعر والشعراء وأن يجعلهم أدلة بناء وسعادة بعد أن كانوا من قبل أدلة هدم وشقاء^(١).

ثم حصلت بعض التطورات على الشعر والشاعر وهذه سنة الله في الكون، ولكننا لا نستطيع أن نستقصي مجالات هذا التطور ومراحله في هذا التمهيد الموجز ، اللهم إلا فيما يمس هدف الشعر ووظيفته، وذلك أن الشعر كان يعتبر من أبرز وسائل الاتصال بين القبائل العربية ويلعب دوراً إعلامياً أشبه بما تمثله الصحافة في هذا العصر .

وبعد أن انحصر دوره الإعلامي نسبياً، وذلك لما طرأ على الساحة واستجذ من وسائل الإعلام المختلفة السمعية وبصرية والمقرؤة، أصبح الشاعر في وضع

(١) أحمد عبد اللطيف الجدع، حسني أدهم جرار/ شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ج. ١.

جديد ودور جديد، فما هو دور الشاعر اليوم؟ وما هو هدف الشعر؟ وهل ما يزال يؤدي دوره كما كان يفعل من قبل؟

لا شك أنه لا يزال للشاعر دور، ودور مميز أيضاً، ولا يزال كذلك للشعر دور كبير، وله هدف ووظيفة فاعلة ومؤثرة شأنه شأن الفنون الكبرى والإبداعات العظيمة.

وظيفة الشعر وفائده:

وظيفة الشعر هي وظيفة الأدب الملزם، وعلى ذلك (فإن الشعر والفن بصورة عامة يجب أن يكون صورة للحياة وتطور البشرية الحضاري، وليس صورة محدودة للبيئة الضيقـة؛ لأن أوجاع الإنسانية ومشكلاتها النفسية تـكاد تكون واحدة، فالألم والحب والبغض، والثورة على الظلم، والاحتـاج على الطغيان، والعودة إلى الخير ومحاربة الشر، تـنقل الشاعر من عالمه المحدود إلى عالم واسع، ويصبح مضمونه الشعري أكثر فهما وأعمق أثراً في الفوسـوس متى خـرج من المحيط الضيق إلى العالم الرحـيب، وأن الشاعر المبدع نبع صافي الماء فـمتـى وصف بـعـاطـفـتهـ الموارـةـ المعـانـاهـ الإنسـانـيـةـ سـيـطـورـ المـضـمـونـ وـيـأـخـذـهـ إـلـىـ الـحـيـاةـ الـحـقـيقـيـةـ) (١).

والالتزام بشكل عام كما جاء في المعاجم الأدبية هو ((حرـمـ الـأـمـرـ عـلـىـ الـوـقـوفـ بـجـانـبـ قـضـيـةـ سـيـاسـيـةـ أوـ اـجـتمـاعـيـةـ أوـ فـنـيـةـ، وـالـاـنـتـقـالـ مـنـ التـأـيـيدـ الدـاخـلـيـ إـلـىـ التـعـبـرـ الـخـارـجـيـ عـنـ هـذـاـ المـوـقـفـ بـكـلـ مـاـ يـنـتـجـهـ الـأـدـبـ أوـ الـفـنـانـ مـنـ آـثـارـ، وـتـكـونـ هـذـهـ الـآـثـارـ مـحـصـلـاـ لـمـعـانـاهـ صـاحـبـهـاـ، وـلـإـحـسـاسـهـ الـعـمـيقـ بـوـاجـبـ الـكـفـاحـ، وـالـمـشـارـكـةـ الـفـعـلـيـةـ فـيـ تـحـقـيقـ الـغـاـيـةـ مـنـ الـالـتـرـامـ)) (٢).

(١) التجديد في الشعر الحديث، بواعته النفسية وجذوره الفكرية، د/ يوسف عز الدين.

(٢) المعجم الأدبي، جبور عبد النور.

أما مفهوم الالتزام الإسلامي فهو ((أنه يستمد مقومات وجوده من الإسلام ذاته، فينطلق من قاعدته العريضة ويسير فوق منهجه المستقيم، فبقدر وضوح أصول الإسلام الثابتة لدى المسلم، وبقدر إدراكه لحكم الإسلام العظيمة ومقداصه السامية، يكون الالتزام ذا وضوح أكثر، وهذا سمت مميز، وعكس ذلك صحيح))^(١).

إذن فوظيفة الشعر عند الشعراء الملزمين ليست أقل من أن تعكس الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية بجانبيها الفكري والعاطفي، تمتزج فيها الرؤية المعمقة والنظرية الشاملة، مع مسحة عالية من الإحساس الغامر والشعور الفياض، مزاوجاً بين الواقع والمثال؛ لنقل فكرة، أو موضوع واقعي أو متخيّل، لتصبح صورة طبق الأصل عن الشاعر والكون ولتنبّه مشاعر الذات في وجдан المجتمع، وعلى الشاعر أن يتحسس مشكلات مجتمعه وأن يتفاعل مع هذا المجتمع لمعالجة هذه المشكلات بكل صدق و موضوعية وذلك بعرضها بطريقة فنية توحّي ولا تقول، وتلمح ولا تصرح، حتى تؤدي دورها بكل توافق وانسجام.

هذا ويرى الشاعر محمد حسن عواد^(٢) أن وظائف الشعر تتمثل فيما يلي^(٣):

- ١- تعميق فهم الحياة الإنسانية بصفة عامة.
- ٢- تبسيط هذا المعنى للأخرين، والصمود بالتفكير الإنساني فنسفياً إلى مستوى أرقى.
- ٣- تصوير الحياة نفسها بالصورة التي يريد الشاعر لها أن تعيش في نفوس الآخرين.
- ٤- نقل التصوير الإنساني والأفكار الإنسانية من اتجاه آخر.
- ٥- تجسيد عطاء الطبيعة لتزداد به متعة الإنسان.

(١) الالتزام الإسلامية في الشعر، ناصر بن عبد الرحمن الخين.

(٢) محمد حسن عواد.

(٣) الرؤية الإبداعية في شعر العواد.

أجل فهذه بعض وظائف الشعر وليس كل وظائفه بالطبع، ولما كان الشعر هو أحد أركان الأدب الأساسية، فإن وظيفته هي وظيفة الأدب عينه كما ذكرنا آنفاً، وأقصد بذلك الشرع الملزם المهدف، وعليه فإن من وظائف الأدب أيضاً ما يلي^(١):

- ١ - تهذيب الإنسان وتصوير ما في نفسه من فكرة وعاطفة، أو حادثة هامة لها مغزاًها.
- ٢ - النهوض ببعض الثقافة العامة والعمل على إسعاد الإنسانية، ورفعها من وحده عميقه مظلمة إلى شاهق عال مرتفع مليء بالنور والحياة.
- ٣ - حمل رسالة الدعوة، وإشاعة الفضائل الدينية، وإذاعتها في نفوس البشر عن طريق العواطف الصادقة والأخيلة الجميلة.
- ٤ - والأدب عماد النهضات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والفكريّة، يسجلها ويسايرها ويغذوها ويأخذ بيدها إلى سبيل النجاح.

للشعر أيضاً رسالة، وما دام الشعر فنا فرسالته هي رسالة الفن نفسه، ورسالة الفن هي تعميق الحياة - والحياة هنا هي الحياة العامة وليس الحياة الإنسانية وحدها - وإنما ثروتها في النفوس، والصمود بالأدمية إلى أفق سام من آفاق الخلود.

والشعر كذلك نافع ومفيد في حياة الإنسان، ويهدف إلى إشاعة الخير وتزينه في أواسط المجتمع، ويحارب البدع المنكرة، والأفكار المنحرفة، والعادات السلاقطة بين الناس. لأن الشعر كما ذكرنا رسالة إنسانية ((وبدهي أن هذه الرسالة الإنسانية تقتضي من الشاعر الفنان أن يتضمن فنه قيمًا سامية ومثلاً رفيعة تستحق الوصف بأنها إنسانية؛ ذلك لأن المبدع الحق هو الذي يتبنى قيمًا إنسانية رفيعة))^(٢).

(١) أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب ط ٧٦٤ بتصريف.

(٢) مجلة الأمة القطرية.

وللشعر أيضاً فائدة عظيمة، ونفع كبير في حياتنا الاجتماعية، وذلك لإثارة النفوس عند الحاجة في هيجانها، لتحصيل كثير من المنافع في مقاصد الإنسان، فيما يتعلق بانفعالات النفوس وإحساساتها في المسائل العامة، من دينية أو سياسية أو اجتماعية، أو في الأمور الفردية ويمكن تلخيص أهم فوائده في الأمور التالية:

- إثارة حماس الجندي في الحروب.
- إثارة حماس الجماهير لعقيدة دينية أو سياسية، أو إثارة عواطفها لتجيئها إلى ثورة فكرية أو اقتصادية.
- تأييد الزعماء بالمدح، وتحفيز الخصوم بالذم والهجاء.
- هيجان لذة الطرف، وبعث السرور والابتهاج لمحض الطرف والسرور كما في مجالس الغناء.
- إهاجة الحزن والبكاء والتوجع والتآلم كما في مجالس العزاء.
- إهاجة الشوق إلى الحبيب، أو الشهوة الجنسية كالتشبيب والغزل.
- الالفاظ عن فعل المنكرات وإخmad الشهوات، أو تهذيب النفس وترويضها على فعل الخيرات كالحكم والمواعظ والأداب^(١).

وبعد فما هو الشعر الذي نريده في مثل الظروف الراهنة التي تعيشها أمتنا؟ وهل هو رسالة هادفة أم أنه ترف ذهني ممحض؟

والجواب على ذلك أن الشعر المطلوب ليس هو الشعر الممسوخ - الذي يقاد التيارات الغربية - عن مجتمعنا العربي والإسلامي، المدرج تحت مقوله (الفن للفن)، الغارق في النظريات المحدودة والحكم الجافة، النابع بالغواية والخطيئة، المثير لغراائز الإنسان، الحافل بالعبث والفوبي والفساد، وإنما الشعر المطلوب هو الشعر الأصيل الهداف والملتزم، الباعث للفائدة والمنفعة والمتاعة، الداعي إلى مجد

(١) الشيخ محمد رضا المصفر، المنطق ط ٢١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م ص ٤٢٥.

وكرامة الإنسان، الغائص في جذور التراث، المترجم لوجдан الأمة وأحلامها وطموحاتها ووحدتها، والحامل لرسالة إنسانية سامية تثير الطريق لأجيال المستقبل، وتضع لهم النقاط على الحروف.

توطئة:

لم يكن إلغاء الخلافة العثمانية الإسلامية سنة ١٩٢٤ م مفاجأة للأمة الإسلامية بشكل عام، وللمفكرين والأدباء والشعراء بشكل خاص، وذلك بسبب الظروف الفاسية التي مرت بها دولة الخلافة، وكثرة المعاول التي تهدم جدارها المهزوز، ولكن المفاجأة كانت أن يأتي هذا الإلغاء على يد القائد التركي الكبير – كما كان يبدو حينذاك – مصطفى كمال أتاتورك، الذي كان قبل سنوات بل شهور قليلة مليءاً السمع والبصر، وأدى من الانتصارات على أعداء الخلافة التقليديين ما جعل أبناء الأمة الإسلامية، ومنهم الشعراء، يلهجون بذكره ويشيدون ببطولته، وهذا ما حدا بالشاعر الكبير : أحمد شوقي أن يقرنه بالقائد الإسلامي الشهير : خالد بن الوليد (رضي الله عنه)، في شجاعته وإقدامه وانتصاراته وذلك في قصيدة التي يقول فيها^(١):

الله أكبر كم في الفتح من عجب
حذوت حرب الصرحين في زمان
تحية أيها الغازي .. وتهنئة
يا خالد الترك .. جدد خالد العرب
فيه القتال بلا شرع ولا أدب
باية الفتح .. تبقى آية الحث

(فهذا القائد المظفر هو في نظرة مجموع العناية الإلهية لإقالة عترة الخلافة، وإحياء مجد الإسلام، فمقامه من الترك هو مقام خالد بن الوليد من العرب، كلاهما قد قاد جيوش المسلمين متقللاً بها من نصر إلى نصر، ثم هو يشبه في جهاده

(١) ديوان شوقي ط

جيوش النصرانية بصلاح الدين الأيوبي في الحروب الصليبية إذا قورنت شهامته وإنسانيته بوحشية الجيوش الأوروبية وانتهاكها للحرمات^(١).

و كذلك الشاعر محمد عبد المطلب^(٢)، ينبري بشعره لتسجيل انتصار الترك على أعدائهم معتبراً أن انتصارهم كان انتصاراً للمسلمين جميعاً فيقول على لسان الأتراك^(٣):

فف القريض على أجل معلم
عادت صوارمنا إلى أغمادها
ضحك الهلال له الغداة وربما
هذا مقامك شاعر الإسلام

هذا ولم تكن الأحداث والحروب بين الدولة العثمانية وأعدائها متتابعة على نمط واحد، ولكنها كانت سجالاً بينهما، وإن كانت كفة النصر تميل كثيراً نحو جهة الأعداء، وهذا ما جعل الشعراء والمفكرين يستشعرون ويتوقعون قرب سقوط الخلافة، وذلك منذ أن بدأت أطرافها تتحسر ومدنها تتسلط الواحدة إثر الأخرى في يد الأعداء والطامعين.

وها هو شوفي يرثي مدينة (أدرنة)^(٤) التي كانت من أمّات المدن العثمانية في (مقدونية)^(٥) إثر غلبة (البلغار)^(٦) عليها في الحرب سنة ١٩١٢م، يقول شوفي في قصيده بعنوان (الأندلس الجديدة)^(٧):

هوت الخلافة عنك والإسلام يا أختَ أندلس عليك سلام

(١) د/ محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢٦/٢.

(٢) محمد عبد المطلب.

(٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر.
(٤) أدرنة.

(٥) مقدونية.

(٦) البلغار.

(٧) ديوان شوفي ١/٢٨٧.

نزل الهلال عن السماء فلَيَّها طويت .. وعم العالمين ظلام
صبراً أدرنة .. كل ملك زائل يوماً ويبقى المالك العلام
وكأني به وهو يخاطبها بأخت أندلس - فردوس العرب المفقود - إنما ينعيها
نعي الشعراء من قبل قرطبة، وإشبيلية، وغرناطة، من مدن الأندلس الشهيرة،
ويدعوها إلى الصبر والاحتساب مطمئناً إليها أن كل ملك صائر إلى الزوال ولا
يبقى إلا الله المالك العلام.

ولا أطيل هنا الحديث عن الواقع التي حلت بالدولة العثمانية قبل إعلان إلغاء
الخلافة رسمياً، وما قام به الشعراء في ذلك الوقت من مشاركات وتفاعلات تجاه
هذه القضايا، فإن في شعر الأصداء، وما أفرغته مواهب الشعراء، إثر سقوط
الخلافة وإلى اليوم ما يسد الحاجة، ويقوم بالمهمة المرجوة خير قيام.

و قبل أن نرصد انفعالات الشعراء حيال تلك المأساة التي هزت العالم
الإسلامي، وجوت عليه من الأحداث ما يزال يتجرعها إلى اليوم .. فإننا نذكر طرفاً
من ردة الفعل التي ظهرت على أفراد الأمة الإسلامية بشكل عام.

يقول الدكتور إحسان حقي^(١): (فلمَّا ألغى أتاتورك الخلافة سنة ١٩٢٤م هاج
العالم الإسلامي وماج، وقام كثير من الناس في كل البلاد الإسلامية يستنكرون هذا
العمل، ويدافعون عن الخلافة، ويطالبون بإحيائها، وذلك لما كانوا يدركون ما لها
من تأثير على العالم الإسلامي أولاً، ثم على العالم المسيحي ثانياً، ولو لا أن الذي
ألغي الخلافة كان مسلماً لما تجرأ أحد على ذلك. صرخ العالم الإسلامي من هذا
العمل، ولكن لم يكن في العالم الإسلامي بلد واحد مستقل بكل معنى الكلمة ليدافع
عن الخلافة، ولذا فإن صوت الاحتجاج لم يصل إلى بعيد، ولعل الهند كانت أكثر
البلاد الإسلامية حماية للخلافة، وتشكلت في الهند جمعية باسم (جمعية الخلافة)
برئاسة الأخوين: مولانا محمد على ومولانا شوكت علي، وقد اتخذوا لنفسهما شعاراً

(١) د/ إحسان حقي، آراء في محاضرات، مؤسسة الرسالة ط ١٩٨٥م ص ٨٧.

هو الهمال العثماني الذي كان يضعانه على لباس الرأس، وقاما بطالبان بإعادة الخلافة في الشرق وفي الغرب حتى في عصبة الأمم، وعملاً كثيراً ل بهذه الغاية، ولكن جهودهما ذهبت أدراج الرياح لأن الذي ألغاهما لم يلغها لكي يعيدها، والدول الغربية كانت تحرص على هذا الإلغاء للتخلص من كابوس إسلامي كان يجثم على صدورهم.

وهكذا يتضح أن وقع سقوط الخلافة الإسلامية على المخلصين من أبناء الأمة الإسلامية كان شديداً ومؤثراً، وقد انبرى الشعراء للتنديد بأولئك الذين عبثوا بمصير الخلافة، فراحوا يرثونها ويتغفون بما ثرثروا وذكرياتها ويرسمون ملامحها وصورها الزاهية، أو يبيّنون ما أمكنهم - بالتمليح أحياناً وبالتصريح أحياناً أخرى - الأسباب التي أدت إلى ضعف الخلافة وانهيارها، ثم آثار هذا الانهيار والسقوط على العالم الإسلامي ككل، أو يتطلعون ويستشرفون إلى إحياء الخلافة الإسلامية والدعوة إلى الوحدة الإسلامية الشاملة.

هذا وقد قمت باستحضار الأشعار التي أسفرت عنها قرائح الشعراء بعد سقوط الخلافة وحتى هذا التاريخ - علماً بأنني لا أزعم أنني قد استقصيت كل ما قيل في هذا الموضوع للعديد من الأسباب الموضوعية والفنية - ثم عمدت إلى تقسيم الباب ستة فصول وهي كالتالي:

الفصل الأول: رثاء الخلافة الإسلامية والتحسر عليها.

الفصل الثاني: الوقوف على مواقع الخلافة والمداهن والآثار.

الفصل الثالث: الصورة الزاهية للخلافة ورموزها.

الفصل الرابع: أسباب سقوط الخلافة.

الفصل الخامس: آثار ونتائج سقوط الخلافة.

الفصل السادس: الحنين إلى إحياء الخلافة، والدعوة إلى الوحدة الإسلامية.

رَفِعٌ

بعن الرَّسْمِ الْجَنْوِيِّ
الْكُلُّ لِلَّهِ الْفَزُورُ كَوْنٌ

www.moswarat.com

الفصل الأول

رثاء الخلافة الإسلامية

والتحسر عليها

توطئة:

الرثاء موضوع هام وأساسي من مواضيع شعرنا العربي، وهو قديم قدم الشعر نفسه، ومتعدد كنوع أساليبه وأهدافه، وللرثاء أنواع مختلفة: فهناك رثاء الأموات ب مختلف الأجناس والأنواع، وهناك رثاء المدن، وكذلك رثاء الدول والأوطان.

والرثاء بشكل عام هو المدح إلا أنه في ميت، نحو تعداد مناقبه، وتبيان مآثره، أما رثاء المدن فيكون بالبكاء والتقطيع الشديدين عليها، وخاصة حين تنزل بها الحوادث الفاصلة، أو تتعرض للنهايات المؤلمة فينبدها الشعراً بقلوب محزونة ونفوس مكلومة، فقد يستغيثون ويستصرخون ويستهضون هم أنفاثها، أو من يرون فيه النجدة والعون لها، والخلافة الإسلامية التي تعرضت للسقوط وتم إلغاؤها سنة ١٩٢٤م كما أسلفنا، رثاها الشعراً وتحسروا على مجدها الغابر، وبكوا على ماضيها الجامع لشبات هذه الأمة والموحد لكيان أوطانها وبلدانها، كما أنهم عدوا وأوضحاوا ما أسف عن هذا السقوط من ضياع هويتها، وتمزق أقطارها، وتكلب الدول الاستعمارية عليها وطمعهم بخيراتها.

وفي هذا الفصل سأقوم - بمشيئة الله تعالى - بإيراد النماذج الشعرية السابقة في هذا المجال وهو (رثاء الخلافة الإسلامية والتحسر عليها) محاولاً شرحها شرعاً أدبياً مستوفياً، ومسلطاً الضوء على ما تحمله في ثناياها، وتطوي عليه بين سطورها من مضامين وأفكار، ثم معقباً ومعلقاً على ما ترمي إليه من مقاصد وأهداف، تاركاً مجال النقد ورصد الظواهر الفنية والبلاغية إلى الباب الثالث والأخير، وسوف ينطبق منهجي هذا على كل الأبواب والفصوص في هذه الدراسة والله من وراء القصد.

رثاء الخلافة الإسلامية والتحسر عليها

بادئ ذي بدء أود أن أقول أنه قد ظهر عدد من الشعراء كان لهم قصب السبق في رثاء الخلافة الإسلامية، وكان لشعرهم الأثر الكبير في إحياء مشاعر الأمة التي هالها الحدث وفجعها النبأ، وأثر وما زال يؤثر على من جاء بعدهم من الشعراء.

في مقدمة هؤلاء الشاعر الكبير أحمد شوقي حيث نظم قصيدة (خلافة الإسلام) "يرثي فيها الخلافة وينبه ممالك الإسلام إلى إصداء النصح لهذا الرجل مصطفى كمال)؛ لعله يبني ما هدم وينصف من ظلم "^(١) يستهل الشاعر قصيده بالدخول إلى الموضوع مباشرة دون اللجوء إلى التمهيد أو المقدمات، ناعياً الخلافة نعياً مريراً وحاملاً على مصطفى كمال - والذي طالما تغنى بمدحه وترنم ببطولاته - بإلغائه الخلافة، ولكن كل شيء بحساب وكل مقام مقال ...

يتخيل الشاعر الخلافة (عروساً ماتت فجأة فتبدل العرس مائماً، والفرح

^(٢) حزناً) فيقول:

عادت أغاني العرس رجع نواح	ونعيت بين معالم الأفراح
كفت في ليل الزفاف بثوبه	ودفنت عند تلّاج الإصباح
شييعت من هلع بعيرة ضاحك	في كل ناحية وسكرة صاح

وبعد أن يفرغ الشاعر من وصف حالة الخلافة عند سقوطها ورسم الصورة المفجعة التي آلت إليها، يتحول فجأة إلى تصوير حال الأقطار الإسلامية ((وقد

(١) الشوقيات ٢٠٦ / ١

(٢) د/ عبد العزيز الثبيان، الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث . ١٤١

حالها الأمر وأمضها الخطب فلبست على الخلافة ثوب الحزن وأقامت لفقدها
الماتم^(١)) يقول:

وبكت عليك ممالك ونواح
تبكي عليك بمدمع ساح^(٢)
أمحى من الأرض الخلافة ماح
فقطعدن فيه مقاعد الأنواح^(٣)

ضجت عليك مآذن ومنابر
الهند والهبة .. ومصر حزينة
والشام تسأل وال العراق وفارس
وأنت لك الجمع الجلائل مائما

بعد ذلك يتوجه الشاعر بالخطاب إلى رجال الأمة الإسلامية، نادبا الخلافة،
مستشيرا همهم، طالبا نجدهم، وناعيا على الذين غدروا بها وخلعوا عن أطافهم
أجمل حلية وأثمن وشاح، يقول:

قتلت بغير جريرة وجناح^(٤)
قتلتك سلمهم بغير جراح^(٥)
موشية .. بمواهب الفتاح^(٦)

يا للرجال لحرة م المؤدة
إن الذين أست جراحك حربهم
هتكوا بأيديهم ملاعة فخرهم

((ولقد أبدى الشاعر عجبه من هدم هذا المجد العظيم بهذه السرعة، ونبذ تلك
الرابطة الوثيقة التي تجمع القلوب وتوحد الصفوف))^(٧). فيقول:

حسب أتى طول الليالي دونه
كانت أبهر علائق الأرواح

قد طاح بين عشية وصبح^(٨)
وعلاقة فصمت عرى أسبابها

(١) الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث.

(٢) الوالهة: الحزينة أو التي ذهب عقلها حزنا، ساح: كثير السح وهو أن يسيل الماء من أعلى إلى أسفل.

(٣) الجمع: واحدة جمعه، الأنواح: النائحات.

(٤) المؤودة: التي تدفن حية في التراب، الجناح: الإثم.

(٥) آست جراحك: دواتها، السلم: الصلح والسلام.

(٦) هتك الستر ونحوه: خرقه، موشية: منقوشة منمنمة.

(٧) الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث.

(٨) طاح: ذهب.

جمعت على البر الحضور وربما
 نظمت صفوف المسلمين وخطوهم
 في كل غدوة جمعة ورواح
 بعد ذلك يحمل الشاعر على مصطفى كمال ((الذي عبّث بالشرع، وأثار فتنة،
 وأتى ضلالاً، وجاء بکفر بواح، ثم يبدو له أنه قد ناقض نفسه فكم مدح هذا الذي
 يهجوه اليوم، ولكنه كان يرى أنه لا يمدح ولا يلوم إلا على الحق، فذلك الذي أحيا
 الجماعة هو نفسه الذي ألغى الخلافة وأمات في الجماعة أقوى الروابط))^(٢) يقول:
 بالشرع عربيد القضاء وفاح^(٣)
 وأتى بکفر في البلاد براح^(٤)
 خلقوا لفقه كتبة وسلاح
 أو خطبوا سمعوا بصل رماح
 من كنت أدفع دونه .. وألا حي^(٥)
 قلته المأثور من أمداحي؟
 وقريع شبهاء وكبس نطاح^(٦)
 وأقول من رد الحقوق إباحي
 وأحق منك بنصرة وكفاح
 أو خل عنك موافق النصائح
 هرم غليظ مناكب الصفاح^(٧)
 ترك الصراع مضعفع الألواح^(٨)
 بكت الصلاة وتلك فتنة عايش
 أفتى خز عبلة .. و قال ضلاله
 إن الذين جرى عليهم فقهه
 إن حدثوا نطقوا بخرس كتابه
 أستغفر الأخلاق لست بجاحظ
 مالي أطوقه الملام .. وطالما
 هو ركن مملكة وحائط دولة
 أقول من أحيا الجماعة ملحد
 الحق أولى من وليك حرمة
 فامدح على الحق الرجال لهم
 ومن الرجال إذا انبريت لهدمهم
 فإذا قذفت الحق في أجلاذه

(١) البر: الصلة والرفق. التزاح: البعيد، جمع نازح.

(٢) د/ Maher Hossen Fehmy, Shouqi (شعره الإسلامي) ص ١٣١.

(٣) العربيد: الشرير، الكثير العريدة. الوقف: ذو الواقحة وهي قلة الحياة.

(٤) الخز عبلة: الفكاهة والمزاح. براح: بين وجهاء.

(٥) أدفع دونه: أرد عنه بالحجفة. ألا حي: من الملاحة وهي الملاعة.

(٦) القريع: الغالب في المقارعة. الشهباء: الكتبية العظيمة الكثيرة السلاح.

(٧) مناكب: الجوانب والنواح. الصفاح: حجارة عريضة رقيقة.

(٨) الأجلاد: جسم الإنسان.

ويتابع الشاعر قصيده متوجهاً بالخطاب إلى أهل النصح والمشورة من أبناء المسلمين، وإلى أهل الحل والعقد منهم، ليقدموا النصيحة (المصطفى كمال) لعله يرتدع عن طيشه وغروره ويعود إلى رشده وصوابه فيقول:

أدوا إلى الغازي النصيحة ينتصـح
إن الغرور سقى الرئيس براـحـه
نقل الشـرائـعـ والعـقـائـدـ وـالـقـرـىـ
تركـتـهـ كالـشـبـحـ المـؤـلـهـ أـمـةـ
همـ أـطـلـقـواـ يـدـهـ كـفـيـصـرـ فـيـهـمـ
غـرـتـهـ طـاعـاتـ الـجـمـوـعـ وـدـوـلـةـ
وـإـذـاـ أـخـذـتـ الـمـجـدـ مـنـ أـمـيـةـ
إـنـ الجـوـادـ يـثـوـبـ بـعـدـ جـمـاحـ
كـيـفـ اـحـتـيـالـكـ فـيـ صـرـيـعـ الـراـحـ
وـالـنـاسـ،ـ نـقـلـ كـتـائـبـ فـيـ السـاحـ(٢)
لـمـ تـسـلـ بـعـدـ عـبـادـةـ الـأـشـبـاحـ
حـتـىـ تـنـاـولـ كـلـ غـيرـ مـبـاحـ
وـجـدـ السـوـادـ لـهـاـ هـوـيـ الـمـرـاحـ
لـمـ تـعـطـ غـيرـ سـرـابـهـ اللـمـاحـ(٣)

ويبدو أن شوفي هنا أراد أن يدافع عن نفسه في هذه الأبيات، ويبرز موقفه بسبب تناقض بعض المواقف التي أجبرته على مدح الكماليين تارة عندما ظهر منهم ما يوجب المدح، ومهاجمتهم عندما تغير موقفهم، وأنه وإن انخدع فيهم مرة، فلا يجب أن يبقى منخدعاً بهم على الدوام، فهو يعرיהם ويكتشفهم للملأ، وخاصة زعيهم المصطفى كمال الذي شبهه بشبح أو صنم تسلق سدة الحكم في ظروف مشبوهة، استطاع أن يغرس بأمة شبه أمية، مجده وأعْطَته أكثر مما يجب، فبغى وطغى واستطاع أن يقلب الموازين، ويبيح الحرمات ويطيح بخلافة إسلامية دامت قرابة خمسة قرون، بينما وأن هذه الخلافة في نظر شوفي ومعظم شعراء العربية في ذلك الوقت شيء مقدس لا يصح المساس به، وأنه لا يصح لمصطفى كمال - ولا لغيره - أن يفتى في الدين فيبقى الخلافة أو يلغيها، كما كان يفتى في الحرب، لأن الحرب شيء آخر غير عالم السياسة^(٤).

(١) جماح: تقوّر.

(٢) الساح: جمع ساحة والمراد ساحة الحرب.

(٣) اللماح: اللماع.

(٤) انظر: دولة الخلافة وشعر الوطنية. د/ عبد الرشيد عبد العزيز سالم.

بعد ذلك يخلص الشاعر إلى إظهار ما في نفسه من تمجيد لمحمد الخلافة وتعظيم لرجالاتها، كيف لا وهو المغني بأمجادها، الغير على مصالحها، الدائز في فلكلها والمناهض لمن يعاديها، وأنه سوف يبقى محباً لها، مخلصاً لأيامها ونذكرياتها حتى آخر لحظة من حياته، وها هو أخيراً (يحذر المسلمين من المحن والمصائب والفتن التي ستحل ببلاد المسلمين حين يتصارع الملوك على الخلافة وحين يصبح هذا الرمز الديني العظيم مطمحأً لمن يستحق ومن لا يستحق) ^(١) فيقول:

لِمْ يُوحَّهَا غَيْرُ النَّصِيحَةِ وَاحْ
عَنْ حَوْضِهَا بِرَاعِيهِ نَصَاحٌ ^(٢)
وَهُوَ لِذَاتِ الْحَقِّ وَالْإِصْلَاحِ
حَتَّى أَكُونَ فَرَاسَةَ الْمَصْبَاحِ
وَفَتوْحَ (أَنُورٍ) فَصَلتْ بِصَفَائِحِي ^(٣)
وَشَبَّا يَرَاعِي غَيْرَ ذَاتِ بَرَاجِ ^(٤)
عَزْلٍ .. يَدْافِعُ دُونَهُ بِسَالَارَاحِ
وَالْيَوْمِ مَذَلَّهُمْ يَدُ الْجَرَاحِ
يَدْعُوا إِلَى (الْكَذَابِ) أَوْ لِسَاجَحٍ ^(٥)
فِيهَا يَبَاعُ الدِّينُ بِيَعْ شَمَاحٍ
وَهُوَ لِنَفْوَسِهِ وَحْقَدُهَا الْمَلَاحِ ^(٦)

مِنْ قَائِلِ الْمُسْلِمِينَ مَقَالَة
عَهْدُ الْخِلَافَةِ فِيِّ أُولَئِكَيْ
حُبِّ لِذَاتِ اللَّهِ كَانَ وَلَمْ يَزُلْ
إِنِّي أَنَا الْمَصْبَاحُ لَسْتُ بِضَائِعٍ
غَزَوَاتِ (أَدْهَمْ) كَلَّتْ بِذَوَابِلِي
وَلَتْ سَيِّفُهُمَا .. وَبَانَ فَنَاهِمَا
لَا تَبْذِلُوا بَرْدَ النَّبِيِّ لِعَاجِزٍ
بِالْأَمْسِ أَوْهِيَ الْمُسْلِمِينَ جَرَاحِهِ
فَلَتَسْمَعُنَّ بِكُلِّ أَرْضِ دَاعِيَاً
وَلَتَشَهَّدُنَّ بِكُلِّ أَرْضِ فَتَنَّةٍ
يَفْتَيُ عَلَى ذَهْبِ الْمَعْزِ وَسَيِّفِهِ

(١) دولة الخلافة وشعر الوطنية ص ١٨٨.

(٢) الذائد: الحامي، الدافع. النصائح: الدافع أيضاً.

(٣) الذوابل: صفة للرماح. الصفاح: جمع صفيف وهو عرض السيف. أدهم وأنور: هما القائدان التركيان الكبيران. والمراد بالرماح والسيوف هنا الأقلام.

(٤) القنا: جمع قناة. الشبا: جمع شباء وهو حد كل شيء. البراج: الزوال.

(٥) الكذاب: مسيلمة الكذاب. سجاج: امرأة كانت قد أدخلت النبي.

(٦) المعز: هم المعز لدين الله الفاطمي في مصر، والمراد بذهبة وسيفه المال الذي كان يبذل له من أطاعوه والعقارب الذي كان يصيب من خالفوه.

وهكذا قام شوقي في تأدية رسالته الدينية والشعرية على أكمل وجه وعبر عن شعوره الإسلامي الفياض أجمل تعبير، واستطاع أن يرثي الخلافة الإسلامية الملغاة أبلغ رثاءً بأسلوب قوي وعاطفة جياشة يكاد ينفطر فيها أسى ولوحة على تراث المسلمين الخالد وجامعتهم التالية، مندداً بأوئل النفر الذين استغلو ثقة المسلمين الكبيرة بهم وأعطوه فوق حقهم من الثناء والتقدير، ولكنهم استنكروا لكل القيم الإسلامية والأعراف الاجتماعية، وقاموا بهدم الخلافة التي كانت الدوحة الوارفة التي تظل المسلمين. وشوقي وإن كان إحساسه بشكل عام إحساساً انتباعياً، وأسلوبه وصوته يتغير بتغيير المواقف التجارب التي تعيشها سبيله، والذي استطاع أن يوظف شعره وعقريته في العديد من القصائد التي قد لا تتم عن تجربة جيدة وإحساس صادق، إلا أنه كان موفقاً في هذه القصيدة وخرج فيها عن تجربة عميقة وإحساس صادق وفن رائع أصيل.

أما الشاعر أحمد محرم فقد أنشأ أيضاً قصيدة في رثاء الخلافة الإسلامية بعنوان (الخلافة الإسلامية ونوبة آل عثمان) ^(١) يصور فيها المأساة التي حلّت بالأمة، ويحصد الواقعه بعمق ومرارة راسماً بواقعية مبدعة شدة الصدمة عليه وعلى كل من هاله نبأ السقوط.

في مطلع القصيدة يسأل الشاعر (فروق) ^(٢) عن نبأ الخلافة - وهي بالطبع أدرى منه بما حصل فيها - وهذا هو سؤال العارف إذ أنه سرعان ما يجيئها عما حل بالخلافة من الخطوب الجسام والأمور العظام، ويدركها بالمجد الباذخ والجاه العظيم الذي انتظم البلاد والعباد، ثم زال هذا المجد عنها بزوال الخلافة، ثم يطلب إليها أن تبر وتوفي الجميل.

(١) ديوان محرم / السياسيات ج ٢ ص ٢١ نشر مكتبة الفلاح - الكويت.

(٢) فروق: اسم من أسماء الأستانة.

لهم لا الخلفاء الراحلين بل ويريد منها أن ترحل معهم، ولكن أني لها ذلك؟
فيقول:

أجبي يا (فروق) فتى حزينا
بركن الدين واستعليت حينا
ولتهم الكثائب والمحصونا
وإن جعل السماك له سفيننا^(١)
وبينظم الفياصير أجمعينا
وكيف بقيت وحدي؟ خبرينا
إذن لطعنت إثر الظاعنينا
أعن خطب الخلافة تسألينا؟
هوى العرش الذي استعصم منه
فأين البأس يقتاح المنايا
وأين الجاه يغمر كل جاه
تدفق يأخذ الأقطار طردا
مضى الخلفاء عنك فأين حلوا؟
ولو أوريت برأ أو وفاء

بعد ذلك يتوجه الشاعر بالخطاب إلى (يلدر) - قصر الخلافة الشهير - والذي أصابه ما أصاب عاصمة الخلافة من كوارث ونكبات، إذ تبدلت القوة ضعفاً والنور ظلاماً، والمنعنة ذلاً، ثم يطلب إليها أن تذرف الدموع الغزار على الماضي المشرف، والشرف العظيم الذي ذهب أدراج الرياح، غير أنه سرعان ما يرفع عنها مغبة اللوم والعتاب معللاً أن ما حل بها هو من تقدير الله العظيم الذي يعز من يشاء ويمل من يشاء، وأن الدنيا يوم لك ويوم عليك ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ تُذَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٢).

(١) السماك: السحاب.

(٢) سورة آل عمران، الآية/ ١٤٠.

يقول:

رماك، فهـ سؤـدكـ المـكـيـناـ
حمـىـ الخـلـفـاءـ يـأـيـ أـنـ يـدـيـنـاـ^(١)
يـفـيـضـ عـلـىـ شـعـوبـ الـمـسـلـمـيـنـاـ^(٢)
تـقـلـبـ فـيـ جـوـانـبـكـ العـيـونـاـ^(٣)
وـتـخـشـيـ أـنـ تـذـلـ وـأـنـ تـهـوـنـاـ^(٤)
لـقـدـ ظـنـتـ حـوـادـثـهـ الـظـنـوـنـاـ
وـسـلـوـىـ عـنـ فـطـيـنـكـ أوـ حـنـيـنـاـ
وـأـصـدـقـ ذـمـةـ .. وـأـجـلـ دـيـنـاـ
وـلـاـ تـدـعـيـ التـوـجـعـ وـالـأـنـيـنـاـ^(٥)
أـصـابـكـ فـيـ ذـوـيـكـ الـأـوـلـيـنـاـ
إـذـاـ نـطـقـواـ وـكـانـ لـهـمـ يـمـيـنـاـ
وـيـنـتـزـعـ الـعـرـوـشـ وـمـاـ وـلـيـنـاـ
جـوـانـبـهاـ .. وـكـانـواـ الـمـوـسـيـنـاـ
وـكـانـواـ لـلـمـمـالـكـ مـنـكـرـيـنـاـ
وـمـاـ زـالـتـ عـرـوـشـ الـمـالـكـيـنـاـ
أـهـانـ الـعـزـ وـالـشـرـفـ الـمـصـوـنـاـ
فـمـاـ تـغـنـيـ شـكـاـةـ الـجـازـعـيـنـاـ
بـأـقـدـارـ يـرـحـنـ وـيـقـتـدـيـنـاـ
وـرـاحـوـاـ سـوـقـةـ مـسـتـضـعـفـيـنـاـ

أـ (يلـدـزـ)ـ مـاـ دـهـاـكـ؟ـ وـأـيـ رـامـ
خـفـضـتـ لـهـ الـجـنـاحـ وـكـنـتـ قـدـمـاـ
وـجـلـلـكـ الـظـلـامـ وـكـنـتـ نـورـاـ
تـزـاـورـتـ الـكـوـاـكـبـ عـنـكـ وـلـهـيـ
وـتـجـفـلـ تـقـيـ عـقـبـيـ الـلـيـالـيـ
تـحـيرـ فـيـكـ هـذـاـ الـدـهـرـ حـتـىـ
فـصـبـراـ إـنـ أـرـدـتـ أـوـ التـيـاعـاـ
ظـلـمـتـ هـوـاـكـ أـنـتـ أـبـرـ عـهـدـاـ
أـفـيـضـيـ الدـمـعـ تـوـكـافـاـ وـسـحـاـ
لـقـدـ فـجـعـ الـمـرـوـءـةـ فـيـكـ دـهـرـ
أـلـيـسـ الـدـهـرـ كـانـ لـهـمـ لـسـانـاـ
تـمـرـدـ يـنـفـضـ التـيـجانـ عـنـهـمـ
تـولـواـ فـيـ الـبـلـادـ تـضـيقـ عـنـهـمـ
إـذـاـ وـرـدـواـ الـمـمـالـكـ أـنـكـرـهـمـ
عـجـبـتـ لـهـمـ يـزـوـلـ الـمـلـكـ عـنـهـمـ
أـذـلـ جـبـالـهـمـ حـدـثـ ذـمـيـمـ
روـيـدـاـ إـنـهـاـ الـدـنـيـاـ وـصـبـرـاـ
تعـالـىـ اللـهـ مـحـدـثـ كـلـ أـمـرـ
أـنـهـمـ أـمـرـهـ ..ـ فـغـدـوـاـ مـلـوكـاـ

(١) يـدـيـنـاـ: يـذـلـ.

(٢) جـلـلـكـ: غـطـاـكـ.

(٣) تـزـاـورـتـ: مـالـتـ.

(٤) تـجـفـلـ: جـفـلـ الـقـومـ ..ـ هـرـبـوـاـ مـسـرـعـيـنـ خـوـفـاـ وـفـرـقـاـ.

(٥) تـوـكـافـ: مـنـ وـكـفـ الـدـمـ إـذـاـ سـالـ قـطـرـةـ قـطـرـةـ.ـ وـالـسـحـ: مـنـ سـحـ الـدـمـ إـذـاـ سـالـ وـاشـتـدـ اـنـصـابـهـ.

وبعد أن يصور الشاعر فداحة الخطب الذي حل بالخلافة والخلفاء، وأنهم أصبحوا من عامة الناس، وأن الدنيا قد غدرت بهم، يتحول نحو السياسة فيصفها بأنها ليس لها مبدأ ونظام مستقر تسير عليه، بل إنها مجموعة من النقائص والمتناقضات، وأنها تتلون بتلون أصحابها ومحترفيها ... فيقول:

ولم أر كالسياسة فيي أذها
وفي أذارها ترجي مئينا^(١)
تغير على الأسود فتحتوها
وتزعم أنها تحمي العرينا
وتبتدع الطرائق والفنونا
تريد فتضبغ الأصباغ شتاً
تنظن ذعافه الماء المعينا^(٢)
وتتخذ اللدم المسفوک ورداً
أذاة الغدر، ما حفظت ذماماً
ولا احترمت خليطاً أو قريناً

وبعد أن تفتح لنا فلسفة الشاعر في ما يتعلق بالسياسة وخاصة المنحرفة منها والخادعة، وما يكتنفها من الغموض والالتواء وما ترتديه من ثياب المكر والدهاء، ويبين لنا كيف أبدى شديد ضيقه على ما تقوم به وتؤديه من أدوار مغرضة وتتعبه من أساليب غير منهجية؛ لتحقيق أهدافها وماربها.

بعد ذلك يتوجه الشاعر بالخطاب للعثمانيين، مسدياً لهم النصيحة، ويدعوهم للتحلى بالصبر والرضى بقضاء الله وقدره، ثم ما يجب عليهم فعله في مسقبل الأيام عند مواجهة مثل هذه المصائب والأحداث، وذلك ريثما تستقر الأمور، وتتضاح الرؤيا، وتستبين نوايا أئتكورك على حقيقتها، فيكون - بنظر الشاعر - معدوراً فيما قام به وأقدم عليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر ...

يقول:

(بني عثمان) إن جزاً فحق
وإن صبراً فخير الصابرين
أعدوا للنواب ما استطعتم
من الإيمان ولدرعوا اليقينا^(٣)

(١) ترجي : نحرك.

(٢) الورد: الماء الذي يورد. الذعاف: السم الذي يقتل من ساعته. المعين: الجاري.

(٣) أدرع: ليس الدرع.

حياة الملك ضنَّ بها أبَيْ
له عذر الأمين فإن رضيَّتم
قضى (الغازي) الأمور فلا تعيبوا
ولا شك أن الأمور اتضحت والنوايا استبانَت، وأثبتت الأيام أن ما قام به
(مصطفى كمال) من إلغاء الخلافة الإسلامية، وما ترتب على إلغائها من تقسيت
وحدة المسلمين وتکالب الدول عليهم، كان جريمة نكراء لا تغفر بحق الإسلام
وال المسلمين.

وبعد أن يسوق الشاعر ما يراه من وجهة نظره الخاصة، مبرراً لما أقدم عليه
مصطفى كمال، أخذ يواسِي نفسه ويقنعها بعدم جدوى مثل هذه الخلافة التي ستُصبح
غير ذات شأن، بسبب المؤامرات التي حيكت ضدها من أبناء المسلمين أنفسهم
وتحالفهم مع المستعمرِين أعداء دينهم على الرغم من المواقف المشرفة التي وقفَتْها
الخلافة معهم، حيث يذكر من هذه الأسباب التصدي للأعداء والمستعمرِين، وإغاثة
المنكوبين ونجدة المحتاجين ... فيقول:

حديث خرافَة للـهازلينا
على أيدي الدهاء الماكرينَا
وتتصرون على المستعمرِينَا
قوى الأعداء ترمي الناصريِّينَا
فحانونا .. وكانوا الظالمِينَا
فإن تعجب .. فذلك ما لقينَا
وما نفع (الخلافة) حين تمسي
ثوت تجرع الأيام شتى
تغيث المسلمين إذا استغاثوا
فلما جذَّ جذَّ الحرب كانوا
منعنا الظلم أن يطغى عليهم
نصاب لأجلهم .. ونصاب منهم

وهكذا نجد أن الشاعر في خاتمة القصيدة يلقى باللائمة على الشعوب
الإسلامية التي تنكرت للعثمانيين وتحالفت مع أعدائهم، في الوقت الذي كانت هذه
الخلافة تظلم بظاهر العُمُّيم، وتمدُّهم بكل أسباب القوة والمنعنة والنماء، ولعل الشاعر
أراد أن يعبر في هذه القصيدة على أن التنكر للقيم والمبادئ ومحالفة الأعداء هو

سبب رئيس و مباشر لسقوط الدول و خراب العمران، وهو ما حصل بالعطل للدولة العثمانية، وهذا مصداقاً لقوله تعالى في النهي عن موالة غير المسلمين بقوله:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَبَذَّرُوا إِلَيْهُو وَالنَّصَارَىٰ أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلَاءُهُ بَعْضٌ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١) وهذا يعني أن الولاء والبراء لا يكون إلا الله سبحانه و تعالى.

ويشارك الشاعر التونسي محمد الشاذلي الخزنه دار الشعراء الذين رثوا الخلافة الإسلامية بقصيدة مؤثرة بعنوان (الانقلاب الكمالى) يستهلها باستكار العمل الذي قامت به الحكومة التركية - ممثلة برئيسها مصطفى كمال - من إلغاء الخلافة، مشيراً إلى أن مثل هذا العمل تأبه الشعوب الإسلامية بما فيها الشعب التركي، وهي التي كانت في الوقت نفسه تأمل من هذه الحكومة الكمالية كل معانٍ للنصر وأمارات الخير، وذلك بعد ما لمسوه من انتصاراتها على أعداء الدولة العثمانية، ويعتبر هذا الصنيع من أفح الأمور وأعجب الأعاجيب ... فيقول:

لا الترك ترضى بما أجرت حكومتها في المسلمين وحاشاها ولا العرب
كنا نؤمل منها الخير فانقلبنا تلك الأماني ولما يسكن الغضب
هذا الزمان أرانا من حوالته شتى العجائب حتى ينقضى العجب
بعد ذلك يفند الشاعر مزاعم الكماليين ودعاويهم من أن الخلافة كانت عليهم وبالاً وعيتاً ثقيلاً، بل إنه يذكر فضلها عليهم وأنهم لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من تسلن سدة الحكم إلا بسببيها وتحت ظلالها، ثم يندب أمجاد آل عثمان، وينبع على الكماليين ثانية عدم مراعاتهم لحرمات الخلفاء، وخاصة محمد الفاتح الذي سطر من الأمجاد ما لا يمحوه الدهر، ويدرك أخيراً ما لهؤلاء الخلفاء في أعناق الأمة الإسلامية الأمر الذي يجب الاعتراف به وتأدبة حقوقه، فيقول:

قالوا الخلافة عباء قد أضر بهم لو لا الخلافة ما نالوا الذي رغبوا

(١) سورة المائدة آية (٥١).

أقوا بها بين أيدينا مدرجة
في آل عثمان بن المجد مندرساً
هلا رعوا فيهم المفضل فاتحها
لآل عثمان في أعناقنا من
عار على الأمة السمحاء إضاعة من

وبالطبع فإن مثل هذه الدعوة التي يطلب فيها الشاعر إحقاق الحق لأصحابه، لا يصدر فيها عن شعور ذاتي، وإنما يصدر عن شعور العديد من المسلمين.

وهذه قصيدة أخرى للشاعر أحمد شوقي نظمها في أحد المؤتمرات العامة المطالبة بإحياء الخلافة الإسلامية، فعندما انفرط عقد الخلافة الإسلامية العثمانية سنة ١٩٢٤ م كما هو معروف، وبعد عامين من هذا الحدث حاول عدد من رؤساء المسلمين وعلمائهم عقد مؤتمر في القاهرة لإحياء الخلافة الإسلامية، وقد سجل الشاعر أحمد شوقي قصيده بهذه المناسبة بعنوان (الخلافة) نشرتها مجلة السياسة في ٧ يونيو ١٩٢٦ م^(١)، وقد مهدت المجلة لقصيدة بمقدمة قالت فيها ((منذ أقصى الأتراك الخليفة من الأستانة وأقاموا في أنقرة جمهورية زمنية، فكر المسلمون في مسألة الخلافة والخلافة تفكيراً جدياً، والمسألة كثيرة الشعب دقة، لوقوع كثير من الدول الإسلامية تحت نفوذ غير إسلامية، واستقلال كل بشؤونها استقلالاً يحول دون تمكن الخليفة من أن يكون أميراً للمؤمنين بالمعنى الشرعي، ولما كانت الخلافة تحتاج عدا كل ما تقدم إلى قوة مسلحة لنذوذ عن حياض المسلمين فإن كل من الدول الإسلامية تفكر كثيراً قبل أن تقبل إقرار الخلافة فيها، وقد أحاط أمير الشعراة شوقي بك بهذه الشؤون إحاطة دقيقة وأبدى فيها من صائب الآراء ما يحسن بكل مسلم أن يعني بال الوقوف عليه أثم العذابية...))

(١) الشوقيات المجهولة / ٢٠٠٢.

يستهل شوفي قصيدته بالحديث عن المؤتمرين لإحياء الخلافة الإسلامية وينعى عليهم عدم ملائمة الظروف لإقامة هذه الخلافة بسبب سوء أحوال المسلمين وضعفهم وعدم اجتماع كلمتهم وأنه لا سبيل إلى إقامتها إلا بتتوفر المنعة والقوة الكفيلة بحمايتها والحفاظ عليها...

فيقول: (١)

أين المبaidu بالإمام ينادي
لم يلق غير خلافة الصياد (٢)
بين القواصب والقنا المياد (٣)
يفري السماء بجنة مراد (٤)
تغنى ولا بيض الضبا بعتاد (٥)

بعثوا الخلافة سيرة في النادي
من بات يلتمس الخلافة في الكرى
ومن ابتغاها صاحباً فمحطها
أوفي جناحي عبكري مارد
اليوم لا سمر الرماح بعدة

بعد ذلك يتساءل الشاعر عن الفائدة المرجوة من اجتماع هؤلاء القوم، وما الغاية من التقاء دول عفا عليها الدهر وأخنى عليها الزمان، فكيف تسقّم لهم الخلافة وهم ضعاف متشتتون ولم تستقم أمورهم، وهم بكلّ قوتهم واجتماعهم، يقول شوفي:

قل: فيم يأمر الرجال؟ وما الذي يبغون من دول لحقن بعاد
ما لم يبد منها على يد أهله أخنى عليه تطاول الآباء
لم تستقم للقوم خلف عمادهم هل تستقيم .. وهم بغیر عماد
بعد ذلك يغوص الشاعر في ذاكرة التاريخ ويستعرض ما لحق بالخلافة من
مأسى وما تعرضت له من نكبات على يد أبنائها منذ عهد الراشدين وحتى يومها

(١) المرجع السابق...

(٢) يشير إلى قصة خليفة الصياد في كتاب ألف ليلة وليلة.

(٣) القواصب: السيفون. القنا: الرماح.

(٤) مراد: جمع مارد. ويفري السماء يشقها ... يشير في البيت كله إلى سلاح الطيران.

(٥) الضبا: جمع ضبة وهي حد السيف.

الأخير، ثم يأخذ بإبراز دوره في ذكر محسن الخليفة والتغنى بأمجادها يوم كان لها أمجاد ورثائها عندما سقطت وأصبحت خبراً من الأخبار .. يقول:

* * *

وأنا الذي مرضتُها في دائِها
غُنِيَّتها لخُنَّا تَلْفَلْ في البَكَا
ونصرتُها نَصْرَ الْمُجَاهِدِ فِي ذَرَا
وَدَفَنتُها .. وَدَفَنتُ خَيْرَ قَسَائِدِي

وَجَمِعْتُ فِيْهِ عَوَاطِفَ الْعَوَادِ
يَا رَبَّ بَاكِ فِي ظَواهِرِ شَادِي
(عَبْدُ الْحَمِيدِ) وَفِي جَنَاحِ (رَشَادِ)
مَعَهَا وَطَالَ بَقِيرَهَا إِنْشَادِي

نعم فلطالما تعنى الشعراء بالخلافة والخلفاء ودجعوا القصائد الطوال في مدحهم والإشادة بمواصفاتهم وأمجادهم.

وأخيراً يلتفت الشاعر مرة أخرى إلى المؤتمرين محذراً إياهم من سوء نوایا المتربيسين والمتصدّين في الماء العكر، ثم ينصحهم بانتهاج سبيل الإصلاح وجمع الكلمة وعدم الجمود والتقوّع داخل حلقه مفرغة..

فِي قُول:

فَعَدُوا لِصِيدٍ وَلَا يَةً أَوْ زَاد	فَأَشْفَوْا الْمَمَالِكَ مِنْ قَضَاهَةِ صِيدٍ
مَرْعَى مِنَ الْأَوْقَافِ وَالْأَرْصَاد	وَنَدَارِكُوهَا مِنْ عَمَائِمِ صَادِفَتْ
رُوحُ الزَّمَانِ هُوَ مَدِ الأَجْسَاد	وَخَذُوا سَبِيلَ الْمُصْلِحِينَ وَأَقْبَلُوا

(١) السجاد: عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) جلق: دمشق.

(٣) الهدى: النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) الذرا: الملحا، شاد: السلطان، محمد، شاد.

ردوا إلى الإيمان أجمعوا عليه
أمم كملوم القطيع ترى لهم
يدعون أبناء الزمان وإنما
وإلى مراسده أضل سواد^(١)
شمل الجميع وفرقة الآحاد
جمدوا وليس أبوهم بجماد

وبهذه الخاتمة يكون الشاعر قد أفرغ ما في نفسه من معانٍ تصرع الآذان
وتستثير العواطف والوجدان، منبهاً فيها المسلمين من الوقوع في الزلل والأخطاء،
ومحذراً إياهم بعدم تسليم الخلافة لمن يطلبها من هب ودب، من الذين لا يصلحون
لها بل يعتبرونها مغناً من مغاناً هذه الدنيا الفانية، وأن عليهم التأني والتريث في
ذلك، ريثما يهيء الله لها الرجال المصلحين القادرين على حملها والإرتقاء بها من
يقومون بالحمل خير قيام، ويؤدونه أجمل أداء.

والشيخ محمد الخضر حسين قصيدة مؤثرة في رئاسة الخلافة الإسلامية
مطلعها:

ما خطب قوم طالما وصلوك
واعتز باسمك عرشهم هجروك؟
حرسوك أحقاباً وحق صيتهم
في الخافقين لأنهم حرسوك

حيث يستذكر الشاعر على أهلها هذا الجفاء والمجران الذي انتاب الخلافة،
وهم الذين طالما تفيفوا ظلال العز والمجد بسببها وبسبب حراستهم لها، والحفاظ
على حرماتها، ثم يرسم الشاعر لها عدداً من الصور الزاهية .. فتصفها بأنها كانت
مثالاً للأمن والأمان، ورمزاً للبطولة والفاء والنصر، وأنها وإن تخلي هؤلاء القوم
عنها فما زال هناك من أمم الإسلام من يغديها بالنفس والنفيس والغالي
والرخيص ...

(١) عليه القوم: جلتهم.

فيقول:

والأمن إن نظروا بعين ضحوك
والنصر يعقد بالقفى المشبوك
أمم بأغلى فدية تفديك

كنت الوقار على وجوه غزاتهم
كنت البطولة تزدري نار الوغى
ما زلت سلط قلادة خرزاتها

وبعد هذا الوصف الجميل الذي خلعه الشاعر على الخلافة يدل إلى تأنيب مصطفى كمال ويلومه على فعلته الشنيعة التي قسمت ظهر المسلمين، وفرقت جميعهم، وشنت كلمتهم، عندما قام بإلغاء الخلافة وجنى عليها، وهو الذي لم يسطع نجمه يعلوا مقامه إلا بسببها وإلا لكان نسيانا منسيا ... يقول الشاعر وهو يتحدث

عنه:

رمت الثرى بجناحها المفكوك
لو لا اسمها ما صال صول ملوك
ناطوا به أمل النهوض بدولة
نهض الزعيم وما رعى عهد التي
وأخيراً يلجاً الشاعر إلى إطلاق حكمة تهم المسلمين في كل عصر ومصر
وهي أن سعادة المسلمين وعزتهم لا يتأنيان إلا بالتمسك بأهداب الدين والنهل من
المعين النبوى العذب، وإذا حادوا عن الطريق المستقيم فقد افتقموا الصعب ويتمموا
شطر المهالك والأخطار ... يقول:

والقوم قوم محمد إن رحزحوا عن هديه افتقموا شعاب النوك

وليس من شك أن في بيت الشعر هذا من الحق والصواب ما لا يخفى على أحد، ذلك أن التاريخ الإسلامي وخلال مسيرة الطويلة قد أثبت أن المسلمين لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من العز والمنعنة إلا بفضل التمسك بأهداب هذا الدين، وتطبيق الشريعة الإسلامية على أفضل وجه، وأنهم لم يتعرضوا للمصائب والنكسات إلا عندما حادوا عن الطريق المستقيم، وأن وضعهم الحالى وما يتعرضون له من تكالب الدول عليهم وهو انهم على الأمم والشعوب لخير دليل على ذلك.

ومن الشعراء الذين عزفوا على وتر العروبة في وقت مبكر، ونادوا بأحقية العرب للخلافة .. الشاعر أبو الفضل الوليد الذي طالما تغنى في فصائده بامجاد العرب، يعتبر أن الخلافة هي أحدي مكتسباتهم، وأنها قادمت على أكتافهم وترعرعت بين ظهرانهم، ولهم عليها نمة وعهود توجب العودة لهم، وفي فصيدة له بعنوان (الجهادية) ^(١) يحن فيها الشاعر ويتحسر على الخلافة العربية التي غابت شمسها بعد عصر العباسيين، ورأى بأم عينه سقوط الدولة العثمانية، وما تبع ذلك من تكالب الدول الإستعمارية على بلاد المسلمين ومنها البلاد العربية، واقتسم هذه البلاد فيما بينهم، فالشام والعراق وفلسطين والقدس هي من ضحايا هذا التقسيم الذي ذهب ضحيته أيضا الكثير من مداين الإسلام الأخرى ومقدسياته ورموزه، وأصبح المسلمون في حالة من الضعف والهوان لا يحسدون عليها ... يقول

الشاعر :

فالل يوم لا عرب ولا إسلام والمسلمون بلا هم أقسام تلك الربوع أمانة وذمام فبكى عليها منبر وحسام فالمؤمنون جميعهم أيتام فأهانها زرق العيون طعام فالجيش من كل الجهات لفهم	الشام يقهر وال伊拉克 يضم أين العروبة والخلافة منهما لبني أمية أو بني العباس في ذهب خلافتهم وضاع سريرها إن الخلافة بسان عنها ربها شق الحجاب فلا حجاب لقدسها زحفت جحافلهم إلى أرض الهدى
---	--

ثم يتتسائل الشاعر بمرارة وأسى - وهو في قمة انفعاله وشدة اندهاشه - عن مصير مكة والمدينة بعد ما ضاعت بلاد الشام وال العراق بين الفرنسيين والإنجليز، وسقطت فلسطين بما فيها من المقدسات بيد اليهود، ثم يحتدم السؤال في نفسه ويرتفع خطه البياني مستكرا وضع هؤلاء المسلمين العام تحت هذه الهيمنة

(١) ديوان أبو الفضل الوليد.

الاستعمارية البغيضة خاصة وهم ليسوا بعيدين عن مثوى الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وماذا سوف يقوله لهم عليه السلام في يوم العرض أمام الملك الواحد القهار .. يقول:

سقطت دمشق وحرام الإحرام؟
حيث الفرنجية واليهود قيام
وعليهما ينكالب الأقوام
أهل البلاد العرب لا الأعجمان
بين الأعارات فتنة وخصام
والمسجد الأقصى عليه ظلام
والأولياء قبورهم أردام
ولأهلها فوق النجوم مقام
وسلاхهم .. وكأنها مسقام
لأن المالك بالملوك ضخام
وخلاعة .. حيث الهوان يسام
ملك بناء باسل وهم سام
فيه لطاغية العدى استحکام
هم مجرمون بهم طحا الإجرام
وهي الفريسة فوقها الهمام
ملكاً لهم منه جداً وزمام

ما حال مكة والمدينة بعد ما
أوَ هل تصح خلافة وإمامية
الشام نهب والعراق غنيمة
والحق يصرخ قائلًا في ضعفه
سقطت دمشق ولم تقف لسقوطها
الجامع الأموي فيه جنازة
ومضاجع الخلفاء زال وقارها
وقف العلوج بها وداسوا تربتها
فالأرض تشكو شدة من وطئهم
المسلمون تساقطت أعلامهم
لا دولة فيهم ولا ملك لهم
هل ينبت الإسلام بين ضلاله
الدين لا يعتز مالم يحمه
ماذا يقول نبيهم وجواره
الشام أرهقه الفرنسيس الأول
والإنكليز على فلسطين ارتموا
وتتكلوا أرض العراق فأصبحت

ثم يختتم الشاعر قصيده صارخاً بأعلى صوته ومستغيثًا بجموع المسلمين
الذين أموا بيت الله العتيق والعاكفين حول زرم و الحطيم^(١) أن يهروا لنجد إخوانهم

(١) الحطيم: جدار الكعبة

المستضعفين، داعياً إياهم إلى الجهاد المقدس موحدين صفوفهم وجامعين كلمتهم وقوتهم، فإنما النصر والعز والسؤدد وإنما الشهادة والجنة والخلود .. يقول:

يا عَفَّاً حَوْلَ الْحَطِيمِ تَحْطُمُوا
هَلَا بَطْشَتُمْ بَطْشَةً كَبِيرَى لَهَا
فَإِلَى الْجَهَادِ إِلَى الْجَهَادِ تَصَارُخُ
صَفَوْا كَتَائِبَكُمْ وَرَوْضُوا خَيْلَكُمْ
وَتَعَاوَنُوا مَتَعَارِفِينَ بِرَأْيَةٍ
فِي ظَلَّهَا نَيْلُ الشَّهَادَةِ وَالْعَلَا
الْحَسْنِيَانِ .. وَقَدْ عَلِمْتُمْ نَصْرَةَ
غَيْظَا وَكُلَّ فِي الْوَغْيِ حَطَامَ
تَحرُرِ الْأَوْطَانِ وَالْأَحْرَامَ
وَعَلَى الْجَهَادِ عَلَى الْجَهَادِ زَحَامَ
وَنَفُوسَكُمْ فَالظَّافِرُ العَزَامَ
حَفْتُ بِهَا الْأَمْلَاكَ وَالْأَعْلَامَ
وَأَمَّا مَهَا الْجَنَّاتُ وَالْإِكْرَامَ
وَشَهَادَةَ فَالْمُؤْمِنِ الْمَقْدَامَ

ولا شك أن الشاعر يتطرق في هذه الأبيات لأمر هو من أمس الواجبات والفرض التي تهم أمر المسلمين - ولكنهم للأسف عطلوه - ألا وهو الجهاد في سبيل الله، الذي يعتبر بحق ذروة سنام الإسلام وأعلى درجاته؛ وذلك لما فيه من البذل والتضحية وحماية ممتلكات المسلمين وأعراضهم والدفاع عن حرياتهم وأوطانهم، وفي هذا إيقاظ للروح القتالية الجهادية لدى المسلمين لدفع الظلم الواقع بهم واسترداد عزتهم وكرامتهم، والحقيقة أن هذه الأبيات التربية بالعواطف والأحساس والتي هي في مجموعها صرخات ونفثات يدعو فيها الشاعر المسلمين لإعداد الجهاد وضم الصفوف، فإنها تجمع بين الوجدان العاطفي والحس الوطني الذي ملك على الشاعر حواسه وانفعالاته.

وعلى هذا الغرار من رثاء الخلافة الإسلامية والتحسر على مجدها الضائع وعزها الغابر، والدعوة إلى إقامة الدول العربية الموحدة التي ترصن فيها الصفوف وتوحد بها القلوب والأهداف، قصيدة جديدة للشاعر أبي الفضل الوليد بعنوان (المكية) ^(١) ومطلعها:

(١) ديوان أبو الفضل الوليد ص ٨٥.

برزت وقد شقت حجاب الأعصر

يقول فيها:

بعد الخلافة للسفه المفترى
وهي المهانة عند علجم زدري
شمل البنين التائبين النضر
فانحل .. واسفاه عقد الجوهر
وأنا القوي أنا العلي أنا الجري

كل المحسن والمكارم عرضة
كان الخلائق يحفظون عهودها
بإله أيتها الخلافة جمعي
قد كنت عقداً .. للجواهر ناظماً
وأقول هذى أمتى أو دولتى

ثم يمضي الشاعر مركزاً على الدور العربي في توحيد الأمة العربية ويدعو
إلى جمع الكلمة ولم الشمل، وأن يكون المسلمون كالبنيان المرصوص يشد بعضه
بعضًا، مستلهمين رموز هذه الوحدة من معالم الدين الحنيف ومعاني اللغة العربية
الخالدة، وسوف يصبحون والحالة هذه من القوة والمنعنة بحيث لا يتسلل إليهم عدو
ولا ينفذ إليهم طامع...

فيقول:

ولكم تعود على العجاج الأكدر
لجمو عكم فخذوا برأي مدبر
فالملك أعظم بالعديد الأكثـر
بعضاً فيأمن كل ريح صرـر
ولسانكم فتمسـكوا بالجوهر

الدولة العربية الكـبرى بـكم
توحـيدكم الله منهـ وحدـة
وتـجمـعوا أـمـمـا وصـيرـوا أـمـة
كونـوا كـبـنيـانـ يـشدـ بعضـهـ
لاـ شـيءـ يـفصـلـكمـ وـهـذاـ دـينـكمـ

ونحن إذا تأملنا البيت الأخير من القصيدة سوف نلاحظ الحكم الباهرة التي
قصدـهاـ الشـاعـرـ وهيـ أهمـيةـ تـمـاسـكـ عـرـىـ الـدـينـ وـرـوـابـطـهـ بـيـنـ كـافـةـ شـعـوبـ الـمـسـلمـينـ،ـ
وكـذـاكـ أـهمـيـةـ اـنتـشـارـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ وـالـلـسـانـ الـعـرـبـيـ بـيـنـ أـفـرـادـهـ وـجـمـاعـاتـهـ ...ـ

فالدين هو ما يتدبر به الإنسان من حيث أنه ((وضع إلهي يرشد إلى الحق من الاعتقادات والخير في السلوك والمعاملات)) واللغة التي ((هي مجموعة من الألفاظ والقواعد التي تتعلق بوسيلة التخاطب والتفاهم بين جماعة من الناس، وهي تعبر عن واقع الفئة الناطقة بها، ونفسيتها وعقليتها وطبعها، ومناخها الاجتماعي والتاريخي)) ...

هذا المصطلحان يشكلان قضيتان مصيريتان من قضايا المسلمين في العصر الحاضر؛ نظراً لما لهما من صلة وثيقة بوحدة أمتنا الإسلامية، وللعبان دوراً بارزاً في سبيل استعادة عزتها وكرامتها.

ومن القصائد التي قيلت في رثاء الخلافة الإسلامية القصيدة التي نشرتها صحيفة الفتح القاهرة بعنوان (دموعة على الخلافة)^(١) لشاعر لم تذكر اسمه ومطلعها:

رحمة الله علينا أجمعين قد أضعننا الدين والدنيا معاً

حيث نعي فيها الشاعر نفسه كما نعي جميع المسلمين جراء ما فعلوه بالخلافة حين لاذوا بالصمم عندما تم إلغاؤها من قبل الكماليين، ثم يترحم عليهم ويقرر أنهم أضاعوا دينهم ودنياهم، ثم يخلص الشاعر إلى الموضوع الرئيس للقصيدة وهو رثاء الخلافة الإسلامية، فيندبها بحزن بالغ وأسف عميق آخذًا على المسلمين وحاملاً عليهم تهاونهم بحقها ولائماً عدم اكتراثهم بما جاء في كتاب الله الكريم وسنة رسوله المطهرة من معاني الوحدة والاعتصام بحبل الله الوثيق، ومن نبذ للتفرق والعنصرية والتمزق .. فيقول:

يا لقومي يا لدنيٍ .. ضربوا أمرة الإسلام في مقتلها
صبروها شعبتين انقلبوا يهدمون الأصل من معقلها

(١) الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث عن صحيفة الفتح (٨٦) / ٩ / رمضان / ١٣٤٦ هـ.

فرية منهم لا نقاها
لا عصيًّا .. لا ولا مبتدعا
بكتاب الله أو ما شرعا
زعموها بدعة قد كذبوا
طردوا عنهم أمير المؤمنين
أغوا الإمارة لا مكريين

ثم يختتم قصيده بالتحذير من سوء العاقبة التي تنتظر المسلمين من مغبة العمل الذي افترفوه بحق الخلافة الإسلامية، ثم بعد ذلك يعترف الشاعر بمرارة وأسى ويقرر أن العالم الإسلامي أصبح مطية للغرب تابعاً له وتحت سيطرته، وأنه لن يسترد مكانته ويستعيد دوره القيادي إلا بالرجوع إلى الله وتطبيق شريعته والتمسك بكتابه وسنة نبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول:

ما رأى التعذيب إلا قد أتانا
داؤه الغرب خضوعاً واقتساما
فسينجينا .. كما أنجى سوانا
لن ترى من دونها متسعا
صار دين الله فيهم ضائعا
ويل لنفسي ويل قومي من لنا
عالم الإسلام أعياه الضنى
إن نعد الله عوداً حسناً
سنة الله مضت في الأولين
قد تخلى الله عن أمر الذين

وهكذا فإننا نلاحظ في القصيدة شعور الانتماء لدى الشاعر إلى جماعة المسلمين، وتحديثه بلسانهم بكل مرارة وأسى عن هذا المصير المؤلم وهذه الأوضاع السيئة التي فرضها عليهم الغرب والذي يعتبره بحق أصل كل داء وبلاء، وأنه لا فكاك من هذه الأوضاع إلا بالرجوع إلى دين الله القويم وتطبيق شريعته المطهرة، وهذه سنة الله في خلقه والله في خلقه شؤون.

وروح الفكر الاتحادية لأمتنا والتطلع إلى راع يقودها ويأخذ بيدها إلى مراقى الفلاح، ويعود بالإسلام إلى منابعه الصافية وأيامه الخالدة، ما فتئت تراود العديد من الشعراء المسلمين وتشكل علامة بارزة في تطوراتهم وتطلعاتهم ...

ومن هذا المنطلق قصيدة للشاعر محمود غنيم بعنوان ((وقفة على طال))^(١)
 يصف الشاعر فيها سوء حالته وينظر أن عينيه أصبحتا لا تألفان النوم بسبب ما
 يؤرقه ويقض مضجعه من الحالة المفجعة التي آلت إليها أمتنا العربية، وأصبحت
 منقسمة على نفسها بعد أن كان العالم مسرحها والدنيا تحت سيطرتها، وهو كذلك
 مهموم وحزين من أمر المسلمين الذين تناوشهم الأحداث وتتازعهم الأمم لضعفهم
 وقلة حيلتهم، ونراه هنا يصفهم بالطيور المقصوصة الأجنبية التي لا تقوى على
 الطيران، وترضخ للأمر الواقع دون أن تحاول الانفصال أو الثورة على هذا
 الواقع الأليم ... يقول الشاعر:

أمسى كلانا يعاف الغمض جفناه مجدًا تلیداً بآيدينا أضعناه تجده كالطير مقصوصاً جناحاه فأصبحت توراي في زواياه وبات يملكتنا شعب ملكتناه	مالي وللنجم يرعاني وأرعاه؟ إني تذكرت والذكري مؤرقه أني اتجهت إلى الإسلام في بلد وبح العروبة كان الكون مسرحها كم صرفتنا يد كنا نصرفها
--	--

ويستمر الشاعر على هذا النهج موضحاً ومسططاً الضوء على دور الإسلام
 في تاريخ أمتنا وأنه ليس مجرد دين سماوي لا علاقة له بالسياسة كما يدعى بعض
 المغرضين من شوادز هذه الأمة^(٢) ، ولكنه دين ودولة وجامعة شاملة تستظل بظلاها
 أمّة الإسلام قاطبة، لا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى، تتلاقى أرواحهم من
 خلاله جذل مستبشرة كأنها النحلة هائمة بين الخلايا العاملة بالطيب والشهد، ثم
 يلقى الشاعر بعض الظلال الموحية على الإسلام فيصفه بأن دستوره القرآن الكريم،
 والمصطفى المختار صلوات الله وسلامه عليه هو نبيه ورسوله، وأن المسلمين
 الأبرار هم أهله ورعاياه وكفى بذلك فخرا ... يقول:

(١) ديوان محمود غنيم

(٢) العلمانيين وما شابههم من الأحزاب المنحرفة عن جادة الإسلام.

لِلشَّرْقِ لَا مُحْضٌ دِينٌ سَنَةُ اللَّهِ
 كَالنَّحْلِ إِذْ يَتَلَاقِي فِي خَلِيلَاهُ
 وَالْمُسْلِمُونَ وَإِنْ شَتَّوْا رَعِيَاهُ

إِنِّي لَأَعْتَبُ الْإِسْلَامَ جَامِعَةً
 أَرْوَاحُنَا تَتَلاقِي فِيهِ خَافِقةً
 دَسْتُورَهُ الْوَحِيُّ وَالْمُخْتَارُ عَاهِلَهُ

وَفِي خَتَامِ الْفَصِيدَةِ يَتَوَجَّهُ الشَّاعِرُ بِالْدُعَاءِ إِلَى اللَّهِ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَرْحَمَ
 هَذِهِ الْأُمَّةَ الَّتِي أَصْبَحَتْ مَزْقًا وَغَدْتْ عَلَيْهَا عَوَادِيَ الدَّهْرِ فَتَوزَّعَتْ أَهْوَاؤُهَا وَتَمَرَّقَتْ
 أَقْطَارُهَا، وَيَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَبْسُرَ لَهَا رَاعِي مُحَمَّدٍ السَّيِّرَةَ طَاهِرَ السَّرِيرَةَ يَعْيَدُ لَهَا مَجْدَهَا
 وَهَبَبَتْهَا، وَيَرْدُ لَهَا الدِّينَ رُوحَهُ وَعَزَّتْهُ فَيَقُولُ:

لَا هُمْ قَدْ أَصْبَحَتْ أَهْوَاؤُنَا شَيْئًا
 فَامْنُنَ عَلَيْنَا بِرَاعِيَ أَنْتَ تَرْضَاهُ
 رَاعِي بَنْيَهُ وَعَيْنَ اللَّهِ تَرْعَاهُ
 يَرْعَى بَنْيَهُ وَعَيْنَهُ إِلَيِّ الْإِسْلَامِ سَيِّرَتَهُ

وَبِهَذَا الدُّعَاءِ الَّذِي اخْتَمَ بِهِ الشَّاعِرُ فَصِيدَتَهُ، وَتَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَبْسُرَ
 لَهَا مِنْ يَدِهِ أَمْرَهَا لِتَقْفَزَ إِلَى الْوَاجْهَةِ، يَبْرُزُ لَدِنَّا أَهْمَيَّةُ الْحَاكِمِ الْمُسْلِمِ وَدُورُهُ
 الْعَظِيمِ، مِنْ حِيثُ كُونَهُ مَرْكَزُ التَّقْلِيلِ وَمَوْطِنُ الْأَمْلِ، وَصَاحِبُ الصَّوْتِ الْمُرْفَعِ
 وَالْمَوْقِفِ الْحَاسِمِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْهِ أَنْ ((يَتَحَمَّلُ أَمَامَ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ أَمَامَ
 الْأُمَّةِ وَأَمَامَ التَّارِيخِ مَسْؤُلِيَّةَ الْفَيَامِ بِحَقْوقِ الْأُمَّةِ كَامِلَةً، وَالسَّهْرُ عَلَى مَصَالِحِهَا
 وَإِقْلَامُهَا مَا يَحْقِقُ عَزَّتَهَا وَكَرَامَتَهَا وَرَفْعَتَهَا وَسَيَادَتَهَا، وَإِنْ مِنْ أَعْظَمِ حَقَوقِ هَذِهِ الْأُمَّةِ
 عَلَى رَعَاتِهَا السَّعْيُ إِلَى تَحْقِيقِ وَحْدَتِهَا، وَاجْتِمَاعُ كَلْمَتَهَا، وَحُكْمَانُ هَذِهِ الْأُمَّةِ هُمُ الَّذِينَ
 يَمْلُكُونَ ذَلِكَ بِالدَّرْجَةِ الْأُولَى، وَيَتَوَجَّهُ إِلَيْهِمُ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الْفَرْضِ الْعَيْنِيِّ،
 الَّذِي لَا يَعْفِيُهُمْ مِنْ مَسْؤُلِيَّتِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى أَيُّ اعْذَارٍ أَوْ تَبْرِيرٍ))^(١).

وَيَنْظُمُ الشَّاعِرُ (إِبْرَاهِيمُ أَحْمَدُ عَبْدُ الْفَتَاحِ) ^(٢) فَصِيدَةً بِعِنْوَانِ الرَّاِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
 سَنَةَ ١٣٦٣ هـ - يَرْثِي فِيهَا الْخَلَافَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَيَتَقْطَعُ أَلْمًا وَحَسْرَةً عَلَى عِلْمِ الْإِسْلَامِ
 الَّذِي أَصَابَهُ الْذُلُّ وَالْتَّمَرُّقُ وَهُوَ إِلَى الثَّرَى تَحْتَ أَقْدَامِ الْأَعْدَاءِ الْحَاقِدِينَ وَتَمَرَّقَ

(١) وجوب وحدة المسلمين، عبد المجيد البیانوی، ط ١٩٩٣ م / ١٤١٣ هـ ص ١٥٤.

(٢) شاعر مصری معاصر.

يتمزق دولة الإسلام الواحدة إلى دوليات مقطعة متاخرة، وهو إذ يذكر ذلك فإنه يتطلع بشوق ويتربّب بأمل ذلك اليوم الذي تتوحد فيه دولة الإسلام في دولة واحدة عزيزة الجانب عظيمة الشأن تحتل مكانها الرائد بين دول العالم أجمع فيقول:

لهي على علم مال الزمان به
إلى الرغام ذليل الشأن متضعا
داسست على رأية الإسلام حاقدة
أعدام أعدائه حتى غدت قطعا
متى نرى دولة الإسلام شامخة
بين الأنام وشمل الشرق مجتمعا

نعم متى تقوم هذه الدولة الإسلامية التي تلم شتات المسلمين وتجمع شملهم، وتطلع إليها أفرادهم بكل تلهف وشغف، ويعتبرونها المنفذ الوحيد لحل مشكلتهم ورد اعتبارهم، وما ذلك على الله بعزيز.

وفي الحقيقة أن هذه الدعوة وأمثالها التي تطالب بقيام دولة إسلامية موحدة أو قُل خلافة إسلامية، ليست مستحيلة أو ضرب من ضروب الخيال، وأقرب مثال على مصاديقها أن أمتنا الإسلامية ظلت تستظل بظل خلافة إسلامية منذ تأسيسها حتى تم إلغاؤها سنة ١٩٢٤ م.

أما من خارج واقعنا الإسلامي ((فإن ما نراه من واقعنا المعاصر من قيام دولة كبرى تضم شعوباً متعددة واحدة كالاتحاد السوفياتي^(١) والولايات المتحدة، وما نراه من تكتلات إقليمية وتحالفات سياسية وأسواق تجارية تجمع دولًا متعددة تربطها مصالح مشتركة يؤكد لنا أن الخلافة الإسلامية مكاناً في عالمنا، فلا بد لنا أن نسعى من جديد ليكون لل المسلمين ما ينظم شملهم، ويحقق مصالحهم، ويحفظ وجودهم، ولن نجد مثل ذلك إلا في الخلافة))^(٢)

(١) لا شك أن انهيار الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٩٠ م كان لأسباب شتى من أهمها علمانيته وبعده عن الدين.

(٢) د / أحمد فرحتات، الخلافة في الأرض ط ١٩٨٦ م ص ٥٦.

وبعد فهذا تمّ لنا في هذا الفصل إبراز وعرض قصائد الرثاء المباشرة للخلافة الإسلامية، والتي كان لها قصب السبق والأثر الكبير فيما جاء بعدها من قصائد الرثاء واستهانة الهم والحنين إلى إحياء الخلافة الإسلامية .. إلى غير ذلك من الأغراض، والتي أجزم أن التوفيق قد صاحبها في كثير من الأحيان؛ نظراً لما اتسمت به من الصدق والواقعية، وما امتلأت به من الحزن والأسى والألم على بلاد المسلمين وما حوم حولها من أشباح الغربة وأطياف الشتات والفرقة، ثم ما رسمته أخيراً من خطوط واضحة ومعالم ثابتة على طريق أمتنا الإسلامية للنهوض بها من كبوتها واستعادة مجدها وكرامتها وصحوتها.

الفصل الثاني

الوقوف على مواقع الخلافة والمدائن والآثار

توطئة:

رفع

عن الرَّحْمَنِ لِلْجَنَّيِّ
أَسْكَنَنَّا اللَّهُ لِلْفَزُورِ كَسْرَى
www.moswarat.com

كان لسقوط الخلافة الإسلامية كما ذكرنا أثر كبير على نفوس الشعراء، سواء الذين عاصروا هذا السقوط أو من تلاهم حتى يومنا هذا، وكان يجرفهم الحنين وتعصف بهم الذكريات إذا ألمتهم الأيام أو اضطرتهم الظروف إلى الوقوف على موقع من موقع الخلافة، أو مدينة من مدنها أو أثر من آثارها الشهيرة، فيغدون بأمجاد هذه المواقع ويشيدون بذكر الواقع والبطولات العظيمة، ويترنمون بذكر أولئك الأبطال الذين صنعوا هذه الأعمال الجليلة وكانوا رموزاً لها، ومن ثم يمجدون بطولاتهم ويسجلون انتصاراتهم والافتخار بها.

وقد حفلت دواوين الشعر التي بين أيدينا بالعديد من القصائد التي وقف فيها الشعراء على عدد من هذه المدائن والمواقع والرموز الإسلامية سواء ما كان منها داخل عاصمة الخلافة أو ما كان خارجها، وقد سجلوا فيها أحاسيسهم وانطباعاتهم تجاه هذه المواقع، ونستطيع أن نلم إلماً سريعة بعدد من هذه القصائد وخاصة فيما يلائم أهداف هذه الدراسة ويتافق مع مضمونها، بحيث تتتنوع هذه المعالم وتتعدد وتشمل أكثر من جهة وفي أكثر من قطر من أقطار المسلمين.

الفصل الثاني

الوقوف على موضع الخلافة والمدائن والآثار

باديء ذي بدء نود أن نشير إلى عدد من المواقع والمعالم التي وقف عليها الشعراء داخل عاصمة الخلافة (الأستانة) وكان لها شهرة كبيرة وأهمية بالغة في تاريخ الخلافة الطويل، وأول هذه المواقع هو مسجد (أيا صوفيا) الذي تحول بعد إلغاء الخلافة إلى متحف وذلك مما أثار حفيظة الشعراء ودعاهم إلى تسطير العديد من القصائد في هذه المناسبة والتي تتعلى على المتسببين في هذه العملية الشنعاء، وتقلب لهم ظهر المجن خاصة (مصطفى كمال) الذي طالما مدحه الشعراء بسباب افتراقه لبعض الأعمال التي أوهم الناس أنها بطولية؛ وذلك ليتسنى له إلغاء الخلافة فيما بعد، ثم ما تبع ذلك من أفعال شنيعة بحق الإسلام والمسلمين يندى لها جبين التاريخ.

وأيا صوفيا كما هو معروف مسجد من مساجد المسلمين المشهورة، ورمز من رموز الإسلام الخالدة، وقد كان قبل أن يتحول إلى مسجد عبارة عن كنيسة للنصارى تسمى (كنيسة القدس صوفيا)^(١) في مدينة القدس عاصمة البيزنطيين، وذلك قبل أن يتم فتحها على يد السلطان العثماني محمد الفاتح في سنة ٤٥٣ هـ حيث قام بتحويل هذه الكنيسة إلى مسجد جامع للمسلمين وبقي كذلك إلى أن استولى كمال أتاتورك على الحكم وتم تحويله إلى "متحف" وما زال حتى الآن.

وقد وقف الشاعر أحمد شوقي على المسجد قبل أن يتحول إلى متحف فنظم قصيدة يعلل فيها تحويل الكنيسة إلى مسجد، ويعتبر أن ذلك التحويل عبارة عن

(١) تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك المحامي ص ١٦٤.

هدية من نبی هو المسیح علیه السلام إلى نبی هو نبینا محمد ﷺ يقول بهذا
الخصوص^(١):

هدیة السید للسید
بنصرة الروح إلى أحمد
على مثال الهرم المخلد^(٢)
من الأسود الرکع السجد
يصطدم الجلد بالجلد^(٣)
واختلط المشهد بالمشهد

كنيسة صارت إلى مسجد
كانت لعیسی حرمًا فانتهت
شیدها الروم و "أقیالهم"
قد جاءها (الفاتح) في عصبة
رمى بهم بنيانها مثتما
فكبروا فيها وصلوا العدا

وينظم كذلك الشاعر حافظ إبراهيم قصيدة بعنوان (أيا صوفيا) وقد قالها
((حين خيف على الأستانة أن تمتلكها دول الحلفاء وتتزعمها من يد الأتراك وذلك
عقب الحرب العظمى، وكانت جيوش تلك الدول قد احتلت هذه المدينة، وقد تأخر
نشر هذه القصيدة إلى سنة ١٩٣٣ م))^(٤) يقول الشاعر:

عهود كرام فيك صلوا وسلموا
وحل نواحيك المسيح ومریم
من الروم في محاربہ يتزمر
على الله من عهد النوافیس أکوم

(أيا صوفيا) حان التفرق فلاذكري
إذا عدت يوماً للصلیب وأهله
ودقت نوافیس .. وقام مزمر
فلا تذكری عهد المآذن إله

ونستطيع أن نلاحظ في هذه الأبيات أن نزعة الخوف والإشراق على مصير
"أيا صوفيا" من أن يستردها الصليبيون ويعيدونها إلى سيرتها الأولى، كانت هذه
تسسيطر على الشاعر ومتلك عليه حواسه، ولكن ما أثبته التاريخ وصنعته الأحداث

(١) الشوقیات، أحمد شوقي ٢ / ٢٧.

(٢) الأقبیال: الملوك.

(٣) الجلد: الصخر.

(٤) دیوان حافظ إبراهيم ٢ / ٨٨.

أن الضربة القاصمة التي وجهت إلى مسجد أيا صوفيا لم تأت من قبل الأعداء وإنما جاءت من قبل الأهل والأصدقاء وتم تحويله كما ذكرنا آنفاً إلى متحف يغص بالتحف والآثار.

أما عن وقوف الشعرا على أيا صوفيا بعد أن تم تحويله من مسجد إلى متحف، فكثيراً ما وقف الشعرا عليه، وتقطعوا ألمًا وحسنة حزناً على ما آل إليه، وكان من أوائل هؤلاء الشعرا الذين وقفوا على متحف (أيا صوفيا) وتأملوا لما حل به الشاعر محمد صادق عرنوس الذي هاله ما رأه من تغير حاله وتبدل مآلته، فها هو المسجد الذي كان درة مساجد عاصمة الإسلام (إسلام بول) والذي اكتسب شهرة عمت الآفاق، وطالما ارتفع فيه اسم الله عاليًا وأقيمت به الجمع والجماعات، يصبح مجرد مستودع للتحف والآثار، وممراً للسواح والزوار.

وقد استهل الشاعر قصيده بالتعبير عن حزنه وحزن إخوانه من أبناء المسلمين الذين دهمتهم المأساة وعمّهم الحزن، فيبكي المسجد - أو الذي كان مسجداً - ويشاطره الحزن والأسى فيقول^(١) :

فَقَدْ بَدَلْتِ إِيمَانَ بُشْرَكِ
فَلَيْسَ سُوا هَمَا شَيْءَ بِمَلْكِي
مَصَابَ الْمُسْلِمِينَ بِدُونِ شَكِ

"أيا صوفيا" على مأساته أبكى
أشاطرك الأسى والدموع أيضًا
مسابك رغم ظاهرة التجاوز

ثم يخاطب الشاعر "أيا صوفيا" متسائلاً ومحسراً على أيام العز والسؤدد الذي درس خرس، وعن نور الإيمان الذي خبا وطمس فيقول:

تَرَنْمَ فِيكَ دَهْرًا فَوْقَ أَيْكَ
لَهَا قَالَ الغُواةُ الْيَوْمَ قَدْكَ
"أيا صوفيا" بربرك أين طير
ماذنك التي هفت قرونًا

(١) صحيفة الفتح: العدد (٤٣٥) / ٢٤ ذو القعدة / ١٣٥٣ هـ.

(٢) قدك: يكفيك.

وفي نهاية المطاف وعندما يرى الشاعر أفواج السياح والزوار، ومن مختلف المشارب والأهواء والأجناس، يرثون ويغدون في أنحاء المسجد ورداته، يوجه الشاعر اللوم إلى المسجد؛ لأنه لم يهُوَ ويندك على رؤوس هؤلاء العصاة والمارقين الذين لم يؤمنوه إلا للتشفي والتعبير عن فرحتهم بما آل إليه حال المسجد، ويستذكر الشاعر ما لحق بالأئراك من الضيم والذل نتيجة لذلك وهم المعروفون بالغيرة الإسلامية والدفاع عن حياض الإسلام، ثم يستسلم أخيراً للأمر الواقع ويقر بأن ما ينسحب على أيا صوفيا، وما حصل له، ليس بغريب ولا بعيد عن تاريخ الإسلام، فمن قبل ذلك سقطت الأندلس، وتحولت مساجدها وخاصة مسجد قرطبة العظيم إلى كنيسة، وما زال يعاني مرارة الأسر والتحويل حتى هذا التاريخ ... يقول الشاعر:

فمالك لم تدك على رؤوس
أنت لا للصلة كأمس لكن
تساءل بعضهم دهشاً حزيناً
أيا صوفياً أنياس من هناء

والشاعر هنا وهو يجتاز الأحداث المرة ويربط حاضر مسجد أيا صوفيا في
مدينة اسطنبول، بغابر مسجد قرطبة في الأندلس، إنما يحاول لفت الأنظار إلى
تولي الحوادث والنكبات على المسلمين إثر سقوط الخلافة الإسلامية في الأندلس،
والخلافة الإسلامية في اسطنبول، وإلى أن هذين الحدثين كفيلاً بـإثارة همم
ال المسلمين وشد عزائمهم إلى التفكير بمصيرهم المؤلم والعودة إلى وحدتهم
وتناسقهم.

ومن أجل "أيا صوفيا" أيضاً بكى الشاعر محمد حسن النجمي الحال الذي وصل إليه المسجد، ثم يتعجب متسائلاً: كيف وصل به الأمر إلى ما وصل إليه في بلدة هي السبب في وجوده وازدهاره، والشاعر هنا يعرض بفتح القسطنطينية على يد السلطان العثماني محمد الفاتح الذي حول كنيستها "أيا صوفيا"

إلى "مسجد أيا صوفيا" ، وها هو اليوم وعلى يد فئة باغية من أبناء الترك يتم تحويله من مسجد إلى متحف، لكن شتان بين ذلك الفاتح العظيم وعلمه الرائع، وهؤلاء المفسدين وعلمهم المزري المشين، وهذا برأي الشاعر منتهى العجب والأمر المضحك المبكي ...

يقول الشاعر عن "أيا صوفيا"^(١) :

ونشكوا الدهر علَّ الله يشكي أفاء السيف قد منيت بذلك على أكتافه نعمت بملائكة بها عبروا البحار بغير فlaw ^(٢) لعمرِي ضاحك بالدموع يبكي	قفا أيامها الغراء نبك ونندب حضها شماء مما أيشقى دينَ أَحْمَدَ فِي بلاد ويرغب عن هدايته أناس ضحكت وأدمعي تجري، وبداع
--	---

وحقاً صدق المثل القائل "شر البلية ما يضحك" فأي بلية أعظم بل وأي مصيبة أكبر من أن تتحول رموز المسلمين ومقدساتهم وأماكن عبادتهم إلى متاحف أو إلى ملاهي عامة يؤمها السواح والمتفرجون، فيستحلون حرماتها، ويدنسون شرفها ومقدساتها.

(وفي موقف إيجابي تأثيري يطالعنا الدكتور أمجد الطرابلسي^(٣) بأصداء وجيعة حزينة متأثراً لصمت "أيا صوفيا" التي تنكر لها أتاورك فأخمد فيها صوت الأذان وتلاوة القرآن بعد أن كانت تغص بالمصلين وتتصعد بالتهليل والتوكيد لله، وخلف للضياع تراثاً إسلامياً قد عقد محرباً للخلافة الإسلامية أعصرا) ^(٤).

(١) مسجد في تركيا كانت كنيسة بزنطية.

(٢) سفينة

(٣) أمجد الطرابلسي: شاعر لبناني معاصر.

(٤) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سوريا، محمد عادل الهاشمي عن مجلة الرسالة العربية

يقول الشاعر :

"أيا صوفيا" تذري الدموع وتسفح
تتكر أهلوها لـها وأذاقها
وهانت على من كان بالأمس مشففاً
أيهجرها أبناؤها دون رحمة
الم تك محراب الخلافة أعصرا
إذا سمع الناس الأذان رأيتها
إذا ظل القرآن فيها رأيتها

يتضح مما تقدم أن الشاعر الطرابلسي استطاع أن يرسم لنا صورة حزينة مؤثرة للحالة التي آل إليها مسجد "أيا صوفيا"، ثم استطاع أيضاً وهو يسكب عواطفه الإسلامية المتوهجة أن يذكر بالعهد الظاهر الميمون للمسجد أيام كان يغص بالمصلين وتنجذب بأنحائه آيات القرآن الكريم فتتعطر الأجواء وتنمايل فرحاً وسروراً من روعة الإحساس والتأثير، وبهذا يكون الشاعر قد رسم لنا صورة رائعة الجمال حيث وصف جوانب المسجد وهي تنمايل طرباً وحبوراً.

وفي قصيدة أخرى من النماذج الشعرية الجميلة الصادقة، التي تمثل الوقوف على عاصمة الخلافة السابقة اسطنبول، هي قصيدة (اسطنبول) أو (إسلام بـول) والتي نظمها الشاعر الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني حيث وقف على المدينة في شهر شوال سنة ١٤٠٤ هـ فأذهله ما رأى من آثار العظمـة وشواهد التاريخ التي لا تزال تتطـق بروائع المجد وتعـق بشـذى الإفتخار ...

يستهل الشاعر قصيـته بتوجيه الخطاب إلى الطائرة التي سـقطـه ويدعـوها أن تحـطـ الرحال - وهي في غـاـية الفـرـح وـالـنـشـوـة وـالـسـرـور - في مدـيـنة اـسـطـنـبول .. دـارـ الخـلـافـة وـالـمـجـدـ التي كانـ أـهـلـها حـمـاةـ الإـسـلـامـ وأـبـطالـهـ، وـالـمـتـحـكـمـونـ فيـ مـصـيرـ الشـرقـ وـالـغـربـ عـلـىـ السـوـاءـ.

يقول :

إذا وصلت إلى اسطنبول نشوانا
للترك إذ نصروا الإسلام فرسانا
تطاع في الأرض إجلالاً وإذاعانا
فلا يرى فيه مللي الحظ عصيانا
فكان فتحاً وإصلاحاً وبيانا

يا ذا الجناحين حط الرحيل مزداننا
قد كان يوماً هنا عز وسلطنة
قد كان يوماً هنا قصر أوامره
الشرق والغرب كالقرطاس في يده
من هنا انطلق التكبير في حقب

بعد ذلك يأخذ الشاعر في وصف مساجد اسطنبول والتي هي أشبه ما تكون
بعقد جميل يطوق شاطيء البحر، وكأنها الرماح المشرعة التي لا تزال حافلة بكل
معاني الشموخ والزهو؛ لكونها منارة دعوة ونداء للمسلمين لتأدية شعائرهم الدينية،
وتصريف أمورهم الدنيوية من جهة، وشوكة في قلوب الأعداء وقدى في عيونهم
وغصة في صدورهم من جهة أخرى ... يقول :

ماذن العز في البسفور أذهانني
شموخها في الروابي الخضر مرانا^(١)
أم الأذان بها قد شمع إيماناً؟
أهي الرماح بأكباد العادة قدى؟
كالتاج والعقد إيماناً وبنيانا
جوامع المجد حول البحر قد نظمت
دللت على عزة الإسلام في بلد
ففي هذه القصيدة التي تنسم بالاعتزاز والفاخر استطاع الشاعر وبكل حماسة
معهودة أن يستمد مقومات هذه المآثر والصفات من المزايا العظيمة والبطولات
الرائعة التي حققها العثمانيون أيام حكمهم الراهن الطويل، وما هذه المساجد والمآذن
والآثار الحضارية الزاهية إلا أكبر دليل على ذلك العز والمجد.

(١) المران: الرماح.

ويقف الشاعر الدكتور / جميل علوش^(١) على فروق (مدينة القدسية) التي زارها ١٩٨٥م، وبعد جولة متأملة في معالمها الطبيعية والتاريخية نظم هذه القصيدة والتي هي بعنوان (سلاماً فروق)^(٢) ومطلع القصيدة:

تولى زمان الهوى والشباب وزهو الصبا وجنون التصابي

ثم يبدأ الشاعر قصيده بالتعبير عن الحضارة البالغة والإستقبال الرائع الذي شملته به معالم المدينة وأثارها وأحيائها، وراح يصف روعة هذه الآثار المجيدة التي لا تزال مائدة للأنتظار، تشهد لها الأيام والسنين بالعظمة والخلود ... يقول:

و هشت سهول وبشت روابي دخلنا "فروق" فرفت ظلال
تفاوت في البعد والاقتراب أرى قمماً في عنان السماء
و منها الذي غاب بين السحاب فمنها الذي مد للنجم كفأ
تشع سنى من وراء الحقب وكم في المتاحف من طرفة

ثم راح الشاعر يحقق بخياله ويسرح بفكيره إلى البعيد، إلى الأيام الزاهية التي عاشت أمجاد آل عثمان وخلفائهم العظام وفرسانهم الأبطال الذين دأبوا على خوض المعارك الفاصلة دفاعاً عن حياض الإسلام وحوزة المسلمين، ثم بعد ذلك يستفيق الشاعر من حلمه ويستيقظ من غفوته الآسرة، ويرجع إلى نفسه فيجدها وهي رهينة الأسى وحليفة العذاب، عذاب الواقع الذي حمله معه في رحلته الجديبة فيقول:

رأيت الخلايف في عزهم وقد حكموا سطوة في الرقاب
وإذ عرش عثمان عالي الأسس وإذ ملك عثمان ثبت الأساس
و ما أسلفوا من صنيع عجب رأيت خلائقهم في القصور
على صهوات الخيول العرب رأيت الفوارس في المعمان

(١) شاعر فلسطيني معاصر

(٢) ديوان مواكب الربيع، د. جميل علوش ط ١٩٨٥م.

وأن الجيوش بساح القتال
وأن مغاويرهم في افتراض
وأن المدافع راحت تدوي

بعد ذلك يعبر الشاعر بما في نفسه من حسرة وألم لهذه الحياة الطويلة
الجدياء التي انعدم فيها الصدق الصدوق، وخلا منها الصاحب الوفي، وتركت
عليه المصائب، وأشدتها وقعاً وأثراً على النفس احتلال اليهود لبلادنا وإضاعة
مكتسباتنا وحقوقنا وتكميم أفواهنا حتى أثنا لا نستطيع إنكار الباطل أو دفع الظالم
والاغتصاب، وهذا هو منتهى الذل والمهانة فيقول:

وبي من صروف زمانى مابى
ولكن فقد الضمير مصابى
فأسمع مثل طنين الذباب
إذا رحت أشكو اليهود عقابى؟
ودمغ التجبر والاغتصاب؟

شدت (فروق) إليك الرحال
وليس مصابي تعس الحظوظ
وصحب اهزهم للفعال
أضاع اليهود حقوقى ففي
وفيم يحرم دفع الأذى

وفي أبيات تطفح باللوم والعتاب، وتقطر بالأسى والحزن، وتمتزج بالحماسة
والفخر وتشف عن ماض مشرف وواقع أليم، راح الشاعر يذكر مدينة فروق) بأيلم
العز والقوة والمنعة، أيام الدفاع عن بلاد المسلمين وصون محاربهم، ويعاتبها على
هذا السكون العميق والجمود البالغ حيال العرب المسلمين، وتحولها عن نصرتهم
والدفاع عن حقوقهم كسابق عهدها، تجاوباً مع ما يربطها بهم من أواصر الدين
والتراث والتاريخ المشترك، والأذى يفرض عليها ويلزمهها - وهي ترى مقدساتهم
تسباح وحرماتهم تتنهك - أن يهبو لنجدتها ويفزعوا لنصرتها وإغاثتها إذا كانوا
جديرين بالانتماء لهذا الدين القوي ويهتدون بهدي الكتاب المبين ... يقول:

سلاماً (فروق) ولو تسمعين
عناب تناهى إليك عنابي
وصنت محارمنا من نهاب
وصلت على الشر صول الأسود

حميت الثغور السينين الطوال
ولم تتركي منفذًا للذئاب

ففيم سكنت السكون العميق
 هبى أننا قد خفرنا العهود
 فلأين أو أصر دين حنيف
 أمن يقتدون بنهج الرسول
 يررون مساجدنا تستباح
 وأنسىت عهد الوعى والظراب؟
 وأنا ضللنا طريق الصواب
 وماض عريق و Mage لباب
 ومن يهتدون بهدي الكتاب
 ولا يسهمون بعود ثقاب
 وهكذا استطاع الشاعر أن يعبر بما يخليج في نفسه ويعتمل في خاطره بكل
 صراحةً وصدقً أبلغَ تعبير، في أبيات قليلة تحمل معانٍ كثيرةً بل تنقلَ تصوّراً
 شاملًا للعلاقات الآتية بين الأتراك والعرب، والتي تتضح من رؤية الشاعر بأن
 جسورها قد تصدعت وأشلاءها قد تمزقت، خاصةً وهو يرى هذا الجفاء الحاصل
 من قبل الأتراك وعدم مبادرتهم لنصر القضايا العربية واسترجاع الحقوق المغتصبة
 في فلسطين أو المساهمة في حلها، ثم يذكرهم بدورهم العظيم يوم كانوا خلفاء هذه
 الأمة، واضطلاعواً بحماية الإسلام ونصرة المسلمين.

ومن مسجد (أيا صوفيا) في مدينة "استنبول" إلى قصر "دولما" في المدينة
 نفسها، الذي وقف عليه الشاعر الدكتور عدنان علي رضا النحوي سنة ١٤٠٦هـ
 وتتجول في أنحاء القصر ورداته، ثم في إحياء المدينة ومعالمها، وخرج منها بعدة
 انتطاعات وذكريات تحمل في طياتها العديد من الرؤى الحالمة المضمخة بعبير
 التاريخ وقد أسررت عن قصيدة وعنوان (ملحمة التاريخ) ^(١)

(١) د / عدنان علي رضا النحوي، ديوان جراح على الدرب ط ٢٤٠٧ هـ.

وقد استهل الشاعر الملهمة بمخاطبة القصر ووصف ما رأى فيه من العجائب والآثار، وما يحتويه من الزيادات والزخارف المتمثلة في الآثار واللوحات المصنوع أكثرها من الذهب الخالص وقد اعتبر الشاعر أن هذه نوع من الترف والإسراف حيث يقول ((وتضلل الأمة في عزة الإيمان تعلو وتمو، وهي تمضي في جهاد وخضر ودعوة غنية، أما إذا أقبلت الدنيا بفتنتها وزخرفها، ومالت النفوس لها وتحرك الهوى، وضمراً للجهاد، وانحرست الدعوة، تهبط الأمة عندئذ حتى يطمع فيها كل طامع))^(١)

يقول الشاعر:

ونصرة لم تزل في عودها الرطب
ورونق الصدق أم من زخرف الكذب
ما عاد في خاطري أو هي من العجب
من زينة الأرض أو من زينة الحقب
دنيا تموج ورفت نشوء الطرب
يا قصر "دولما" وحق غير محتجب
وفتنة من فجور اللهو واللعب
وحطمته من حصون المعقل الأشيب^(٢)

يا قصر "دولما" جلال الهدي لم يغب
نور من الحق .. أم ومض من الذهب
أجول فيه .. فألقى من عجائب
كأنما بهجة الدنيا هنا جمعت
يا قصر "دولما" على قاعاتك ائتلت
شتان ما بين وهم أنت تدفعه
هذي زخارف من كبر ومن سرف
كأنها هدمت بنيان مملكة

لكن الشاعر وهو في غمرة الاندهاش من هذا البذخ والإسراف الذي شاهده في ردهات القصر وأروقتها، واعتبره علامة غير مرضية في تاريخ الخلافة، يلتفت حوله في أحيا وروابي المدينة، فيرى أمجاد آل عثمان وسلطانينهم ترفرف عليه من كل حدب وصوب وهي تحمل صوراً زاهية ونكريات طيبة، وذلك مما رد الاعتبار إليه وأدخل في نفسه الرضا والزهو والخيالاء ...

(١) شاعر سعودي معاصر من أصل فلسطيني .

(٢) المنبع.

يقول الشاعر وهو ما يزال في مخاطبة قصر "دولما":

لها من الدين صدق الوشى والقشب
لله من راية خفافـة العذب
نوراً من الحق أو برقاً من القصب
 فأسلمت أو تلقت عـزة الأدب
 وكبـري واسجـدي الله واقتـربـي
 وزينـي الدار من جـلي ومن قـشبـ

يا قـصر هـذـي ربـى "اسـطـامـبـولـ" زـاهـية
هـذـي الـديـار "بنـى عـثـمـانـ" كـم رـفـعـتـ
هـنـا السـلاـطـينـ كـانـتـ فـي مـجاـلسـهـا
هـنـا الـوـفـودـ التـيـ جـاءـتـ مـسـلـمـةـ
قـسـطـنـطـيـنـيـةـ هـذـا النـورـ فـاـنـقـضـيـ
وـهـلـلـيـ يـاـ ربـىـ "اسـتـمـبـولـ" وـاقـتـربـيـ

وبمزيد من الصور التي تتسم بالحركة والحيوية، والنفاذ إلى حواسنا بيسر وسهولة، استطاع الشاعر أن يصف لنا مجموعة من المعالم الحضارية والأماكن الأثرية التي تعج بها مدينة اسطنبول، والذي يميزها غناها بالمعاني الراقية، المثيرة لأفكار الشاعر والمغذية لخياله، وذلك بأسلوب يقطر رقة وعذوبة مكنته من أن يوحى إلينا بالرضى والاطمئنان على أوضاع هذه المعالم والآثار.

وعلى متحف "طوب قابي" وقف الشعر أحمد محمد الصديق^(١) في سنة ١٤١٢هـ وشاهد بأم عينه الحالة التي آلت إليها المعالم الإسلامية في دار الخلافة وما اعتراها من الضياع والنسيان، ويبدو أن الشاعر هنا أصيب بحالة من الذهول والارتباك وغاص في بحر من الذكريات المفجعة والجراح الموجعة؛ لأن كل ما رأه من معالم الشموخ والعظمة التي كانت تتطق بمعاني العز والكرامة، أصبحت لا تمثل في الوقت الحاضر سوى كونها معالم سياحية، وأماكن ترفيهية تسر الناظرين، وهو يتتساول بمرارة والألم يخترق جسده والأسى يلف محياه عن مصير السلاطين والخلفاء العظام، حماة الدين والديار، وعن مآل هذه المآذن الشامخة التي شق عنان السماء، والتي كان ينبعث منها صوت الحق ونداء السماء في كل مكان وإلى كل اتجاه، شاهدة على عظمة هذا الدين وعلى وحدة هذه الأمة وتماسكها وترابطها.

(١) شاعر معاصر.

يقول الشاعر من قصيدة بعنوان (في دار الخلافة متحف طوب قاري) ^(١):

وَقُصُورُهُمْ لِلسَّائِحِينَ مَزَار
شَخْصِي .. وَطَرْفِي ذَاهِلٌ مَحْتَار
أَلْمٌ وَيَنْكَأُ جَرْحِي التَّذَكَّار
بَلْ أَيْنَ أَبْطَالُ الْمَعَارِكَ سَارُوا
مَلْكًا لَهُ بَيْنَ النَّجُومِ نَار
أَمْ شَيْعَتْ مِنْ حَوْلِ الْأَصْارِ

أَمْجَادُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ آثار
عَجَابًا أَفِي دَارِ الْخَلَافَةِ مَاثَل
حَلْمٌ أَرَاهُ حَقْيَقَةً وَيَمْضِي
هَذَا الْعَرَى فَأَيْنَ أَسَادُ الشَّرِّي
أَيْنَ السَّلَاطِينُ الْأَلَى قَدْ شَدِيدُوا
وَالَّذِينَ أَيْنَ حَمَاتُهُ وَرَعَاتُهُ

بعد ذلك يدقق الشاعر إلى ما حوله من التحف والآثار التي يغص بها المتحف، وبرؤية شعرية فاحصة تتساب بعفوية وطلقة وقد جلالها الأسى وظهورتها الدموع، يتواصل البث وتتأطر الشكوى وقد أدهشه واقعها الأليم واستفزته حقيقتها المرة التي أفرزتها الظروف الجبرية، فراح ينقل إلينا الحالة التي آلت إليها مكتسبات الخلافة الإسلامية العاطرة وشوادرها الحضارية الرائعة، وماضيها العاطر المجيد، وأوضح كيف أنها أصبحت مجرد أدوات وسلح يزخر بها المتحف وقد تجللت بأثواب الغربة واكتفتها الحزن والذبول:

يقول:

وَتَشَبُّ في صَدْرِ الْمُتَرَّمِ نَار
عَبْرِ الزَّمَانِ تَقْصَهَا الْأَثَارِ
مَا يَجْتَلِيهِ الْعُقْلُ وَالْأَبْصَارِ
خَفِيَّتْ وَرَاءَ جَلَالِهَا الْأَسْرَارِ
مِثْلُ الرَّمَاحِ .. وَرَوْعَةً وَفَخَارِ
وَتَكَادُ تَعْجَزُ مِنْ دُونِهَا الْأَفْكَارِ
أَسْفُ الْجَهَادِ وَمَنْ عَلَيْهِ يَغَارِ

أَرْنَوْ فَتَخَلَّطُ الرُّؤْيِ بمَدَامِعِي
ذَهَبُوا وَمَا تَرَكُوا سُوَى الذَّكْرِ لِنَـ
قَفْ لَحْظَةً وَانْظَرْ فِي آيَاتِهَا
هَذَا الشَّمُوخُ كَأَنَّهُ أَسْطُورَة
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مَا ذَنَ شَرَعَتْ
بِجَلَلِ النَّعْمَانِ تَنْطَقُ كُلُّهَا
هُوَ ذَا عَتَادُ حَرُوبِهِمْ تَحْفَ فِيـ

(١) جريدة المسلمين عدد (٣٤٧) ١٤١٢/٣.

والخيل خرس مالها مضمamar
عربية قد هاجها استعبار
وتکاد تبكي الآي والأشعار
بالحزن مضروب عليه إسار

سيف هنا .. درع هناك وخوذة
وزخارف تحت الضباب وأحوف
تشكو هنالك غربة وكآبة
والعرش في قفص الحديد مجلل

وهكذا استطاع الشاعر أن يرسم هذه اللوحة الحزينة للواقع الذي تعشه هذه الآثار الإسلامية في متحف "طوب قاي" وقد أصيب بحالة من الذهول والارتباك، وغاص في بحر من الذكريات المفجعة والجراح الموجعة، حيث أن ما رأه من معالم الشموخ والعظمة والتي كانت تتطق بكل معاني العز والكرامة، وأصبحت لا تمثل في الوقت الحاضر سوى كونها معالم سياحية وأماكن ترفيهية تسر الناظرين، ثم يتتساع الشاعر بمرارة عن حال هذه المآذن الشامخة التي تشق عنان السماء والتي كان ينبعث منها صوت الحق في كل مكان، ويحز في نفسه ويقلق خاطره أنها أصبحت اليوم مجرد شواهد حضارية على فترة سادت ثم بادت.

والحقيقة أن الشاعر استطاع أن يؤثر فينا وأن ينقلنا إلى هذا الجو المفعم بالحزن والملبد بالغيوم، مستعملًا ألفاظاً وتعابير هادئة تتاسب بعفوية ويسر، مفصلاً لنا المشاهد وموضحاً الجزيئات راسماً إياها بريشة فنان قدير سكب عليها من فنه ونفسه الكثير.

هذا ولو أردنا أن نتبع كل ما قيل من الشعر في الوقوف على موقع دار الخلافة ومعالمها، أو استقصينا جميع ما أبدعته قرائح الشعراء في هذا الموضوع، لطال بنا المقام، ولتشعبت بنا السبل، ولكننا سنكتفي بما قدمناه من النماذج السالفة، والتي أعتقد أنها تسد الحاجة وتفي بالغرض.

أما عن الوقوف على الواقع والمآذن والآثار خارج دار الخلافة، فلسوف يطول بنا المقام أيضاً إذا ما رحنا نستعرض جميع الأشعار التي قيلت في هذا الصدد سواء ما وقع منها تحت أيدينا أو لم يقع مما هو مخطوط منها، أو لم نتمكن من الإحاطة به للعديد من الأسباب والملابسات.

لكن ذلك لن يمنعنا من اختيار العديد من النماذج الشعرية الرائعة التي وقفت على الموضع الإسلامية الخالدة ، وترمز بشكل أو باخر إلى معانٍ الخلافة الإسلامية وتتغنى بامجادها الغابرية وماضيها العزيز .

وكلثرة هي الموضع والمدائن والأثار الإسلامية التي وقف عليها الشعراء خارج دار الخلافة وهي تتمثل في العديد من العواصم الإسلامية الشهيرة، مثل مكة المكرمة والقدس الشريف ودمشق وبغداد وغيرها من المدائن الشهيرة، وما تضمنه في ثياتها من المساجد والأثار .

لكن الوقوف على المدائن الفلسطينية وخاصة القدس الشريف والمسجد الأقصى المبارك كان له نصيب الأسد واستأثرت هذه الموضع بكثرة كاثرة من وقوف الشعراء عليها وبكتها، سيما وأنها أصبحت بعد سقوط الخلافة الإسلامية وما زالت حتى هذا التاريخ تعاني من مرارة الأسر وضرراوة الاحتلال الصهيوني الغاشم .

في بداية هذه المواقف التي وقفها الشعراء على موقع الخلافة الإسلامية ومدائنها، نذكر قصيدة "البغدادية"^(١) للشاعر أبي الفضل الوليد الذي نظمها في وقت مبكر إثر سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية مباشرةً بعد أن تعرضت البلاد العربية والإسلامية للغزو الصليبي الحاقد .

في مقدمة القصيدة ينصح الشاعر العرب بالتجدد لإحياء الخلافة القرشية العربية، واستعادة الأمجاد الضائعة والعز الغابر، وذلك بأسلوب يختلط فيه الحزن والعاطفة بالحنين، والذكريات بالأنفة والمجد لتصب كلها في بوقة واحدة هي استعادة الخلافة والتصدي للأعداء، يقول فيها:

بغداد يا ثكلى الخلافة رجعي نوح الله تتفت الأكباد
أتعود فيك خلافة قرشية كانت بياضاً والشعار سواد

(١) ديوان أبي الفضل الوليد.

لطيّب فيك النظم والإنشاد
ملك تقىه أسد وسداد
وبين الجحاف تبرز القواد

هلا تعبدن الخلافة والعلا
وعلى المنابر يجلس العلماء في
وعلى المحافل تتطلع الخطباء

بعد هذا الحماس الذي يظهره الشاعر تجاه إحياء الخلافة العربية، يتبع العزف على وتر هذه الحماسة فتوجه الخطاب إلى الأمة العربية لتصدى لأعدائها الدخلاء الأعاجام، ثم يبحث أفراد هذه الأمة على حمل السلاح، وإعلان الحرب ضدهم، ومن ثم طردتهم من البلاد ليتسنى لهم بناء دولة عربية إسلامية خالصة .. يقول:

شر الدخيل فدأبه الإفساد
دون الحدود البيض وهي حداد
يتحكمون فتحكم الأحقاد
يرجى لها بعد الفناء معاد

يا أيها العرب الأحams حاذروا
وتجردوا للمركمات وجروا
لا خير فيكم والأعاجم بينكم
شدوا وشيدوا دولة عربية

ولا شك أن مثل هذه الحماسة من الشاعر تحرك المشاعر وتهز العواصف وتدفع المخلصين من أبناء الأمة العربية لإحياء الدولة العربية والإسلامية واللتان هما في الحقيقة وجهان لعملة واحدة، فالعربية هي الإسلام والإسلام هو العربية، ولا انقسام بهما إلا في عرف الشعوبين والمارقين.

ويقف الشاعر محمد مصطفى البلخي على "جبل عرفات" في "وقفة يوم عرفة" فيرى جموع المسلمين يقفون أمامه على صعيد واحد وقد جاؤوا من كل حدب وصوب، فلم يجد أنساب من هذه الفرصة ليبيثم عواطفه ويبين حرارة مشاعره تجاههم، ولنعبر بلسان الأمة الإسلامية بما يجيشه في صدرها وتقاسيه من أسباب الشتات وعناصر التفرق، نتيجة ما رماها به أعداؤها من وسائل الغدر والخيانة حتى سقطت خلافتها وسقطت بسقوطها مدينة القدس والمسجد الأقصى المبارك، وأغتصبت فلسطين ومناطق أخرى حول فلسطين وتخاذل المسلمين وتفرقوا شيئاً متباعدة ودولًا متناصرة وتخلوا عن تطبيق شرع الله إلى القوانين الوضعية الجائرة

والمبادئ العلمانية الفاسدة .. يقول الشاعر من قصيدة بعنوان "من وحي يوم عرفة"^(١) ومطلعها:

مشوقين لأكرم النفحات
يا أخوتي في الله يا أخواتي

يا واقفين اليوم في عرفات
طbeam مقاما .. في رحاب طاهر

ثم يقول:

بلسان أمتنا أبى شكاتي
فتمزقت جهلا إلى أشتات
بنبال حاخام .. عات
وتتالت الأيام بالنكبات
وعرى العقيدة أونق العروات
يعدو عليها سائغ النزوات

يا إخوتي في الله في قلبي أسى
أنا أمة لعب العدا بمصيرها
وتر الصليب لرميها .. فأصابها
سقطت خلافتها فضاعت قدسها
قطعوا جبال الدين فيما بيننا
حتى غدت للكفر طعما سائغا

وفي مثل هذه المواقف لا يستطيع الشاعر المسلم الملزوم أن يكتفي بعرض المشكلات أو الحوادث التي تتعرض سبيل المسلمين وحياتهم وظروفهم دون أن يسهم في إسداء النصيحة لهم أو المشاركة في إيجاد الحلول التي يراها مناسبة من غير أن يخرجه هذا العمل من الدائرة الفنية للشعر، كاعتبار ذلك التدخل من الشاعر نوعا من المواقع التقريرية أو النصائح المكرورة، ففي مثل هذا المقام يقول الشاعر البلخي في أبيات تصور لهفته وتطلعه إلى عودة الماضي المجيد للأمة الإسلامية، فيدعوه أهلها إلى توحيد الصفو وهدم الحاجز المعيق لـهذه الوحدة بكافة أشكالها والتي هي من صنع أعداء المسلمين، وبذلك يكون النصر حليفهم والمجد رائدتهم ... يقول:

أبناء هذا الدين لموا شملكم
وأنما أشركم بنصر آت
فأواصر الإيمان خير صلات
عودوا إلى دين يوحد بيننا

(١) ديوان قنديل السعادة، محمد مصطفى البلخي.

قد ذاب في يوم على عرفات
إن اختلاف عروقكم ولغاتكم
والله يا أخوان .. صنع عدائي
هذا الحواجز بين كل بلادنا

و هذه الالتفاتة الموحية التي يختم بها الشاعر قصيده و هو يقف مع جموع المسلمين على جبل عرفات، والتي يهيب بها ببناء الأمة الإسلامية بأن يلموا الشمل ويترکوا الفرقـة والاقتـسام، إنما تـم عن روح إسلامـية شفـاقـة للشـاعـر أوـحـى بـها المـكان وأـمـلاـها المـقامـ، خـاصـة وـهـو يـرى جـمـعـ الفـوارـقـ الإـقـلـيمـيـةـ وـالـلـغـوـيـةـ وـالـعـرـقـيـةـ تـذـوبـ منـ بـيـنـ الـمـسـلـمـيـنـ وـتـظـهـرـهـمـ أـمـامـهـ جـسـداـ وـاحـدـاـ يـقـفـونـ خـاشـعـينـ يـنـتـظـرـونـ رـحـمـةـ اللهـ وـرـضـوـانـهـ.

وكذلك يقف الشاعر د/ عبدالله أحمد قادری الأهلـل^(١) على عاصمة أخرى من عواصم الإسلام وهي مدينة دلهـي^(٢) في الهند، ويمر أمام منارة "قطـبـ الدـينـ" في مسجد "قوة الإسلام" فيعتصـرـهـ الـأـلـمـ وـيـمضـهـ الـحـزـنـ وـيـدـورـ فيـ ذـهـنـهـ شـرـيطـ منـ الذـكـرـيـاتـ الـأـلـيمـةـ مـعـدـداـ النـكـباتـ الـتـيـ مـرـتـ بـهـاـ أـمـتـاـ إـلـاسـلـامـيـةـ اـبـتـاءـ مـنـ سـقـوطـ الأـنـدـلـسـ، وـمـرـورـاـ بـسـقـوطـ الـخـلـافـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ فـيـ الـأـسـتـانـةـ (ـاسـطـمـبـولـ)ـ وـمـاـ تـبـعـ ذـلـكـ مـنـ سـقـوطـ الـقـدـسـ وـالـمـسـجـدـ الـأـقـصـىـ الـمـبـارـكـ بـيـدـ الـيـهـودـ، وـإـنـتـهـاءـ بـذـكـرـ الـكـوـارـثـ الـتـيـ يـعـانـيـهاـ حـاضـرـ عـالـمـنـاـ إـلـاسـلـامـيـ سـوـاءـ فـيـ لـبـانـ أـوـ فـيـ أـفـغـانـسـتـانـ وـغـيـرـهـ مـنـ دـيـارـ إـلـاسـلـامـ.

في مطلع القصيدة^(٣) يخاطب الشاعر المنارة بقوله:

علوت وما علىك بالغرـيبـ
منـارـةـ قـوـةـ إـلـاسـلـامـ صـفـحاـ
فـديـتكـ قدـ عـلـاـ دـيـنـ الصـلـيـبـ
وـقـدـ زـرـنـاكـ فـيـ حـالـ كـئـيـبـ
وـقـدـ نـزـلـتـ بـأـقـصـانـ السـلـيـبـ

(١) شاعر سعودي معاصر.

(٢) وهي اليوم عاصمة الجمهورية الهندية.

(٣) ديوان هناف العزة والجهاد.

وَقَرْطِبَةَ لِجَامِعِهَا حَنْيَنْ
وَأَسْلَمَتِ الْخَلَافَةَ فَاسْتَغَاثَتْ
وَعَطَّلَتِ الْمَسَانِدَ مِنْ نَدَاءِ
وَفِي اسْطِمْبُولْ وَهِيَ لَنَا رِبَاعٌ
وَفِي لِبَنَانْ كَمْ سَالَتْ دَمَاءَ
”وَوَحِيَ اللَّهُ أَفْصَى عَنْ حِيَاةِ
وَبَعْدَ أَنْ يَعْدَ الشَّاعِرُ الْمَأْسِيُّ الَّتِي حَلَّتْ بِعَالَمِنَا إِلَيْهِ شَيْعَ فِي
رُوحِ النَّفَاؤِ وَالْخَيْرِ وَالْأَمْلِ الَّذِي يَلْمِسُهُ وَيَحْسُسُ فِي أَبْنَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَصْدَاقِيَّةَ
(كَلِيلٌ): (لَا تَزَال طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَذْلِهِمْ إِلَّا
الْقِيَامَةُ) لَذَا إِنَّهُ لَا يَسْتَلِمُ لِلْيَأسِ وَلَا يَصْلُ إِلَى طَرِيقِ مَسْدُودٍ، فَهَنَالِكَ أَمَامَهُ
مِنْ طَاقَةِ فَرْجٍ وَأَكْثَرُ مِنْ بَادِرَةٍ أَمَلٌ تَلُوحُ فِي الْأَفْقَ الْرَّحِيبِ لِأُمَّتِنَا وَتَبَشِّرُ بِ
وَالسَّوْدَدِ ... يَقُولُ:

وبأسلوب يعتمد على النزعة الخطابية المؤثرة ذات الصوت العالي والإيقاع المرتفع، يختتم الشاعر قصيده التي يحمل فيها إحساس النشوة بالظفر الكبير والنصر المرتقب خاصة وهو يرى أطفال الحجارة المسلمين يسطرون أسمى آيات البطولة والفاء ضد العدو الصهيوني المغتصب، ويدحرون القوة التي عجزت عن دحرها الجيوش العربية المنظمة، وكذلك يشيد بالفورة والبطولة الأفغانية التي تغلبت وانتصرت على الشيوعية ورددت كيدها في نحرها بعد جهاد طويق وتضحيات كبيرة وهو يتطلع إلى اليوم الذي يرى فيه الأمة الإسلامية متحركة من كل قيود الذل والاستعمار.

ولكن الظلم وإن تمدى
وأطفال الحجارة قد أردونا
وفي الأفغان آيات أقيمت
الآن سنكسر كل قيد

الفصل الثالث

الصورة الزاهية للخلافة الإسلامية ورموزها

الفصل التالى

الصورة الزاهية للخلافة الإسلامية ورموزها

لما كانت الخلافة هي رئاسة علياً للدولة، وغايتها هو إقامة الدين بما يتضمنه من تدبير مصالح الناس العامة، وإنها استخلاف من الله سبحانه وتعالى للإنسان في هذه الأرض شريفاً وتكريماً، وأن الخليفة هو صاحب الولاية العليا في الإسلام، والوالي الذي لا والي فوقه، عليه كان علو منصب الخلافة وأهميتها بالنسبة للحياة البشرية والدور العظيم الذي يؤديه الخليفة في حياة الأمة، كان هذا مدعاة للشعراء، وحافظوا قوياً لهم للتغنى بأمجاد هذه الخلافة ورسم الصورة الواضحة لها والجديرة بها، ومنذ سقوط الخلافة الإسلامية وحتى هذا التاريخ ظل الشعراء يخلعون عليها من الصفات الحميدة والمزايا الحسنة ما هي جديرة به وقمنيه، وكثيراً ما ترى في قصائد الشعراء سواء ما كان يخص الخلافة منها أو ما قبل، في مناسباتٍ إسلامية مختلفة نراهم يصرّحون أو يلمحون إلى أهمية الخلافة ويرسمون لها صورة زاهية تجعلها مائلاً في مخيلتنا وأمام عيوننا وكأنها لم تغب عننا ولا طواها النسيان أو كاد. ومن خلال قصيدة أحمد شوقي في رثاء الخلافة، نراه يطلق عليها من الصفات الطيبة ما يدل على عاطفة صادقة ويدلل على أهمية الخلافة والدور العظيم الذي كانت تلعبه في حياة المسلمين لقول^(١).

موشية بموهاب الفتاح
 قد طاح بين عشية وصبح
 كانت أبداً عائق الأرواح
 جمعت عليه سرائر النزاح
 في كل غدوة جمعة ورواح

هتكوا بأيديهم ملاءه فخرهم
 حسب أتى طول الليالي دونه
 وعلاقة فصمت عرى أسبابها
 جمعت على البر الحضور وربما
 نظمت صفوف المسلمين وخطوهم

(١) أحمد شوقي - الشوقيات ح ١.

وهذا هو الشاعر "أحمد محرم" يخاطب قصر الخلافة ورمزها قصر "يلدز"
الذي كان حمى للخلفاء وضياء على المسلمين وشعوبهم فيقول^(١):

أ "يلدز" ما دهاك؟ وأي رام
رماك فهد سؤدك المكينا
خفست له الجناح وكنت قد ما
حبي الخلفاء .. يأبى أن يديننا
وجلالك الظلام .. وكنت نوراً
يفيض على شعوب المسلمين

أجل كان هذا القصر الذي رثاه الشاعر حمى للخلافة والخلفاء، ورمزاً للوحدة
الإسلامية والتضامن الإسلامي، ونوراً وضياء ينبع على جميع أقطار وشعوب العالم
الإسلامي.

ويسترسل الشعراء برسم الصور الزاهية للخلافة الإسلامية ويلهجون بذلك
ويترنمون بمخايرها بكل زهو وخلياء وأي ضير في ذلك وهي الوسام الذي كان
يوشح صدر المسلمين، والقلادة التي تطوق أنفاسهم وليس فوق ذلك مجال للفخر
والاعتزاز.

وفي قصيدة "أيا صوفيا" التي كتبها الشاعر "محمد صادق عرنوس" سنة
١٣٥٣هـ في رثاء مسجد "أيا صوفيا" الذي حوله مصطفى كمال أتاتورك إلى
متحف وطنى ذكر الشاعر عهد الخلافة الراهن ومجدها الباهر وتاريخها العamer
الفياض، وسخر من ادعاء الكماليين بأن الخلافة عباء ثقيل وعقبة كداء في طريق
التقدم والازدهار، وأن الدين سبب التأخر والضعف الذي حل بهم.

ويقول الشاعر:

سقى الله باسلامبول عهدا
بنت فيه الخلافة أي ملك
وما زادت بها إلا علوا
ودع تاريخها الفياض يحكى

(١) أحمد محرم - ديوان أحمد محرم السياسيات.

ثم عرض بالكماليين وترصدهم على الخلافة بقوله:

بأن طريقها كانت بهلك
ليلمسن قوتهم بترك
تقابلاهم سخرية وضحك .. ولم نزل دعائهم أساسا
وأن الدين أضعفهم فـأـلوـا
وذى الأمم التي شاؤوا رضاها

نعم لم تكن الخلافة أو التعلق بأهداب الدين هو مبعث ضعف الأتراك
وتأخرهم بل كان ولاء قادتهم الكماليين لأعداء الإسلام وتسليم أمورهم لهم سببا
لذلك فكانوا مدعاه للسخرية والاستهزاء والضحك منهم.

وفي قصيدة "كنا لها لا روم ولا ساسان" يرسم الشاعر محمد كامل الآني
صورة مجلية للخلافة الإسلامية، يستهلها بمطلع قوي النبرة يدعو الإنسان المسلم
إلى التسلح بكل أسباب القوة والعظمة ليأخذ دوره في ميدان الحياة سيدا ورائدا يقود
العالم بالعدل والتقوى لا بالفهر والعداون، فيقول^(١):

خذها غالباً أيها الإنسان هذا الجود ودونك الميدان

ثم تابع الشاعر قصيده محققا في أجواء متفائلة، ناظرا إلى اليوم الذي يرى
فيه أمة الإسلام مجتمعة تحت راية واحدة وخلافة واحدة يتفيأ المسلمين ظلالها
أخوة متساوين، حيث يقول فيها:

نبوية دستورها القرآن
يحدو ثراها الأمان والإيمان
منها الدنا .. وتحرر الإنسان
حبا وإن بعثت بنا الأوطان
وتمايلت بفروعها الأفان
والكل تحت لواءه إخوان
تجلو القلوب فشرق الأركان
سادت على نهج الهدایة أمة
وسفينة الإسلام تُخْرِ لجة
صاغت خلافتها السماء وأشرقت
هي ملة الإسلام تجمع بيتنا
هي دوحة كبرى تفيأ ظلالها
نشرت لها علمًا يرفرف عاليا
هي دعوة الإسلام تبعث ميتا

(١) من الشعر الإسلامي الحديث.

وربما يلفت النظر في هذه القصيدة، ذلك الجو المفعم بالأمل والشرق بالتفاؤل الذي سيطر على الشاعر وغمر كيانه في كل أبيات القصيدة وهذا يدل على صدق عاطفته وحسن نواياه ونقاء سريرته.

ومن النماذج الشعرية المعبرة التي قيلت في مناسبة خاصة ويلفت فيها الشاعر إلى رسم صورة زاهية للخلافة الإسلامية، قصيدة "الوداع"^(١). للشاعر محمد الحسناوي .. الذي يرثي فيها الدكتور مصطفى السباعي ويستهلها موجها الخطاب إلى روح القصيدة بقوله ... ويبدو أن الشاعر هنا كاد أن يبصر آثار هذه الدعوة فللمح أن شعوب أمتنا الإسلامية قد اتحدت وقوى أمرها وارتفع شأنها ثم ألقى بزمام أمرها إلى عناصر صالحة من خاصة أبناء المسلمين أمثال إقبال ونواب والبنا ومن يقوم مقامهم. يقول الشاعر^(٢):

فتجاوزت أصداء سوريا إلى لبنان
ما اربد من فقر ومن بستان
صيحة كالنشر والطوفان
لله للتوحيد لفرقان
من سفح نطوان إلى اليابان
زمام فؤادها الظمآن

دعوت شبان البلد إلى الهدى
ونقاطرت سحب الغمام فأمطرت
في كل عين يقطة .. وبكل جمع
فإذا العروبة رابية معقودة
وإذا شعوب المسلمين عزيمة
تلقي لإقبال، "ونواب" وبناء

وفي المقطع الأخير من القصيدة يخلص الشاعر إلى التركيز على ما يعتمل في نفسه من آمال ونطّلعت تتعلق بالخلافة الإسلامية التي يمكن أن تعتبرها واجبا دينيا ومطلبا إسلاميا لدى الكثير من الشعراء المسلمين الذين ظلوا يستغلون أيّة فرصة ويستثمرون أدنى مناسبة للتعبير عن مشاعرهم وأحساسهم والكشف عن نواياهم في التطلع لإحياء الخلافة الإسلامية، والشاعر هنا يرنسو ببصره إلى

(١) شعراء الدعوة الاسمية، ج ٤، ص ٥٩، ثالث أحمد محمد الجدع.

(٢) شاعر سوري معاصر.

المستقبل، ويتطلع بنظرة تفاؤل وأمل فيرى أن الخلافة أوشكت أن تتحقق في ديار المسلمين فلا يتسلل إلى أوطانهم المستعمرن ولا يطمع بهم وبثرواتهم الطامعون والانهازيون، بل تصب هذه الثروات والمقدرات في مصلحة وخير البلاد والعباد.

فيقول:

وإذا الخلافة قاب قوسين ارتمت بعد الغياب ولو عة الـهـجـران، لا نهـب للبـتـرـول، لا استـبـدـاد لا حـلف مع الشـيـطـان، لا حـكـم إلا شـرـعـة الـدـيـن الـحـنـيفـ، ولا انـقـيـاد لـشـرـعـة الـأـوـثـانـ.

هذا التفاؤل الذي يترجم إحساس كل مسلم غيور، ويحلق به في معارج الأمل والحبور ويقضي على كل المشاكل والمصائب التي تعاني منها وتكتوي بنارها أمـتـاـءـ إـسـلـامـيـةـ فـتوـحـدـ نـفـسـهـاـ، وـتحـفـظـ ثـرـوـاتـهـاـ منـ النـهـبـ وـالـضـيـاعـ وـتـسـقـلـ بـأـمـرـهـاـ وـكـيـانـهـاـ، وـتـهـجـرـ شـرـائـعـ الـأـوـثـانـ وـالـمـذـاهـبـ الـمـاـدـيـةـ الـمـنـطـرـفـةـ، وـاضـعـةـ نـصـبـ أـنـظـارـهـاـ تـطـبـيـقـ شـرـيعـةـ اللهـ بـكـلـ مـنـهـاجـيـةـ وـصـدـقـ وـسـوـفـ تـجـدـ نـفـسـهـاـ حـيـذـاكـ فيـ مـصـافـ دـوـلـ الـعـالـمـ بـلـ فـيـ مـرـكـزـ الـقـيـادـةـ وـالـنـفـوذـ.

وتظل ذاكرة الشعراء عامرة في استحضار الوجه المشرق للدولة الإسلامية – أيـاـ كـانـ عـصـرـ هـذـهـ الدـوـلـةـ وـمـرـكـزـهـاـ وـالـتـذـكـيرـ بـأـمـجـادـهـاـ وـأـيـامـهـاـ الزـاهـيـةـ وـهـيمـنـتـهـاـ عـلـىـ كـثـيرـ مـنـ الـأـمـمـ وـالـبـلـادـ وـنـشـرـ الـحـضـارـةـ وـالـرـاقـيـ وـالـقـدـمـ فيـ رـبـوـعـهـاـ.

ويطالعنا الشاعر/ عبدالكريم بن عبد الرحمن العبيد^(١) في قصيدة بعنوان "سقوط الحضارة" خاطب بها مؤتمر أمناء منظمة الدعوة الإسلامية في دورته التاسعة المنعقدة في دار السلام بتزكينا بتاريخ ١٤٠٨/٨/٥ ومطلعها^(٢):

أشرف بنورك .. يسري في دياجيهـاـ فـظـلـمـةـ الـجـهـلـ وـالـإـلـهـادـ تـشـقـيـهـاـ

(١) رئيس النادي الأدبي/ بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية.

(٢) من الشعراء الإسلامي الحديث - مختارات من شعراء الرابط ط١ - دار التبشير للنشر والتوزيع.

إذ يتطرق فيها إلى التذكير بعزم دولة الإسلام والرجوع إلى ما اتصف به هذه الدولة من حسن الأداء والتنظيم وهي التي استطاعت بصلاح الإيمان أن تفتح وتسطير على أقوى إمبراطوريتين في عصرها، وأجبرت الكثير من الأمم والبلدان إلى الانضواء تحت نفوذها وهيمنتها، فيقول:

عد بي إلى دولة الإسلام شلمخة
إن مات صانعها ما مات رايتها
هرت عروشاً لكسرى في تجبره
وسفهت دولة الرومان تسفيها

فالشاعر هنا وهو يصب معانيه الملحقة وأماله العذبة في قالب جميل ويؤطرها بخلاف بديع، وتلقي في قصيده الكلمة الحلوة وال فكرة البدعة والأسلوب المؤثر الجذاب، إنما كان يؤكد على أهمية الدولة الإسلامية في ماضيها وحاجتها إليها في حاضرنا ومستقبل أيامنا.

وفي قصيدة تفطر حزناً وتنتزى لوعة وأسى وكأنما كان الحزن هو الوتر المشدود في قيثار هذه القصيدة -التي نظمها الشاعر عبد الرحمن العبادي^(١) وعنوانها "المسجد الأسير"^(٢) في ذكرى سقوط المسجد الأقصى المبارك في يد اليهود الغاصبين ومطلعها:

نظر الشجي إلى الحدود فرأى المدينة في القيود

وقد جرته هذه الذكرى الأليمة إلى الموقف المشرف لل الخليفة المجاهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي رفض ما عرضه عليه اليهود من الأموال الطائلة مقابل السماح لهم بالهجرة إلى فلسطين، وقد أبى أن يسقط هذا الجزء العزيز والمقدس من بلاد المسلمين -والذي هو ملك لجميع المسلمين- إلا في ظل تفتت الوحدة الإسلامية وانقساماتها:

(١) الشاعر عبد الرحمن العبادي، ولد في دبي سنة ١٩٥٢م.

(٢) شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، ج. ٨.

يقول الشاعر متحدثاً عن السلطان عبد الحميد:

ما ساوم الأوغاد، قد
فقضى شهيد القدس من
قد جدت بالنفس التي
إيه أيا عبد الحميد
بكت الخلافة والخلا
عرفت صلابته اليهود
للقس بعراك يا شهيد؟
في الله لا تخشى الوعيد
بكاك رايات الأسود
فة .. كنت ملهمها الرشيد

وقد تجاوز الشاعر في هذه القصيدة حدود المكان كما أنه تجاوز حدود الزمان أيضاً، وخلع على الخليفة كل معاني العظمة والإباء.

وقد أسهب الشعراء المتأخرن في الإشادة بالدور العظيم والمشرف الذي أداه السلطان عبد الحميد الثاني للإسلام والمسلمين، نظراً لما أثبتته الدراسات المتأخرة من نزاهته وعدالته، وأنه ذهب ضحية المؤامرات الصليبية واليهودية الماكنة التي حاولت الإساءة إليه وتشويه صورته في بلاد المسلمين.

وسنعرض هنا إضافة إلى النموذج السابق الذي رسم فيه الشاعر عبدالرحمن العبادي صورة جلية للسلطان عبد الحميد - سنعرض عدة نماذج لشعراء آخرين وبأسلوب آخر، حاولوا إلقاء الضوء على الصورة الزاهية للسلطان عبد الحميد أحد رموز الخلافة الإسلامية العظيمة.

ففي قصيدة ملحمة التاريخ⁽¹⁾ أودوي التاريخ للشاعر الدكتور / عدنان علي رضا النحوي نراه يستعرض فيها لوحات شتى من جراحات العالم الإسلامي الباكية وهزائمه المتلاحقة التي مني بها خلال قرون وقرون. وفي هذا الجو الملغع بالأسى والملبد بالحزن، لا ينسى الشاعر أن يعرض علينا بعض الصور الزاهية والجوانب المضيئة من هذا التاريخ حيث يختار الموقف المشرف للسلطان عبد الحميد الذي

(1) د. عدنان علي رضا النحوي -ديوان- جراح على الدرب- دار النحوي للنشر، ط ٤٠٥ .

عاش سيفا مسلطا على رقاب أعداء المسلمين، وسدا منيعا في وجه طموحاتهم وأطماعهم، إضافة إلى أنه كان داعية للوحدة الإسلامية والجامعة الإسلامية.

ومن أنه لم يسمح لليهود بالهجرة إلى فلسطين وأنه اشتري رضا الله سبحانه وتعالى وجنة عرضها السموات والأرض بما عرضوه عليه من حطام فاني ودنيا إلى زوال يقول الشاعر:

على الطيب من أمجاده العطرات
على صدق ما جاهدت في حلبات
وما لنت من طعن ومن غمزات
ويهدم من كفر ومن شبهات
وزهرة دنيا أو متاع حياة
فلسطين من قدس ومن حرمات
مع الله في سعي وفى ركعات
على حرقـة الأسواق والـلهـفات
إذا كانت الدنيا هشيم نبات
وما وهـنـتـ نفسـيـ علىـ شـهـواتـ
ونـلـواـ وـرـمـتـ المـحـدـ فيـ ذـروـاتـ
من الدار أركان ومن عزماتـ

سلام على عبدالحميد وقد مضى
فيـأـيـهاـ السـلـاطـانـ ذـكـرـكـ عـاطـرـ
دعـوتـ إـلـىـ حـقـ وـخـضـتـ سـبـيلـهـ
دعـوتـ إـلـىـ دـيـنـ يـوـجـدـ أـمـةـ
يسـاـوـمـكـ الـكـفـارـ مـاـلاـ وـزـينـةـ
لـتـعـطـيـهـمـ دـارـاـ وـرـوـضاـ وـمـاـ حـوتـ
فـقـلـتـ لـهـمـ:ـ أـمـضـيـتـ عـهـدـيـ وـبـيـعـتـيـ
وـبـعـتـ إـلـىـ الرـحـمـنـ نـفـسـيـ بـمـنـةـ
فـكـيـفـ تـرـأـيـ أـرـتـضـيـ عـرـضـاـ بـهـاـ
مـضـيـتـ وـمـاـ لـازـتـ قـنـائـكـ بـيـنـهـمـ
عـلـوـتـ ..ـ فـهـانـواـ دـوـنـ صـبـرـكـ وـالـهـدـىـ
سلام على ركن هوى فـهـوـتـ بـهـ

نعم .. فإن كان عبدالحميد قد طواه الأجل وجرت عليه سنة الله في خلقه، فإن ذكره العطرة ما زالت ماثلة في أذهان المخلصين من أبناء المسلمين لم يطوها النسيان أو تغيرها حوادث الزمان.

و هذه قصيدة أخرى ينطرق فيها ناظمها إلى ذكر السلطان عبد الحميد و دوره المجيد في تاريخنا الإسلامي الحديث وهي قصيدة للشاعر / أحمد محمد الصديق^(١) الذي زار متحف "طوب قابي" هي مدينة استنبول بعنوان "في دار الخلافة" ومطلعها:

أمجادهم من بعدهم آثار وقصورهم للسائرين مزار

حيث يصاب الشاعر بحالة من الذهول والأسى والتحسر على ما آلت إليه أوضاع الخلافة، وأصبحت آثاراً بعد عين، وفجأة تبرز من عالم الغيب صورة مضيئة و موقف رائع يرد إليه اعتباره ويؤمنه في وحدته ألا وهو عهد السلطان عبد الحميد وأعماله الجليلة وهنا يركز الشاعر على الدور الذي أداه السلطان في عدم السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين ورفضه للرشاوي والأموال الطائلة التي عرضوها عليه في سبيل ذلك وأنهم باذوا بالخزي والفشل والعار ثم ينفي عليه ما جرّوه على أمتنا من وسائل الخراب والدمار وأنهم أصل كل بلاء ورأس كل حربة توجه لإلحاق الضرر ببلاد المسلمين ثم هو أخيراً يحذر المسلمين منهم ويلفت الأنظار إلى مكرهم وأحقادهم فيقول:

إلا بما يزهو به الأطهار
دَوْتَ كَأْنَ رَنِينَهَا الإِعْصَار
قَدْ صَانَهَا آباؤُنَا الْأَخِيَّار
عَلَى إِرْبٍ .. وَتَرَخَصَ دُونَهَا الْأَعْمَلُ
الْخَرْزِيُّ فَوْقَ جَبَنِيهِ وَالْعَارُ
طَعْمَ الْمَوَائِدُ .. وَالْكَوْؤُسُ قَدَارُ
أَصْلَ الْبَلَاءِ فَهَلْ وَعَى الْأَبْرَارُ

لَا تَذَكِّرُوا عَبْدَ الْحَمِيدَ وَعَهْدَهُ
فِي ذَمَّةِ التَّارِيخِ صِحَّتِهِ التَّيِّنِ
الْقَدْسُ لِلْإِسْلَامِ وَهِيَ أَمَانَةُ
جَسْدِي يَقْطَعُ دُونَهَا إِرْبًا
وَيَعُودُ وَفَدُ السَّامِرِيِّ مُخِيبًا
لَكُنَّمَا أَفْعَى الْيَهُودَ سَمُومَهَا
وَيَظْلِمُ أَهْفَادَ الْقَرُودَ بِمَكْرِهِمْ

(١) شاعر فلسطيني معاصر - المرجع جريدة المسلمين.

لَا شَكَ أَنَّهُ قَدْ أَنَّ لِلأَبْرَارِ مِنْ أَبْنَاءِ أُمَّتِنَا إِسْلَامِيَّةِ الْمَاجِدَةِ أَنْ يَنْتَهِيُوا لِلْمَكَائِدِ
وَالدَّسَائِسِ وَالْمَؤَامِرَاتِ الْهَدَامَةِ الَّتِي يَحْكُمُهَا أَبْنَاءُ الْأَفَاعِيِّ الْيَهُودِ، لِلنَّيلِ مِنْ هَذِهِ
الْأُمَّةِ وَهُمُ الَّذِينَ مَا فَتَنُوا يُعَيِّنُونَ فِي مَقْدِسَاتِنَا فَسَادًا يَقْتَلُونَ أَبْنَاءَنَا وَيَضْطَهِدُونَ
حَرِيَاتِنَا وَيَتَأْمِرُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى يُخْرِجُونَا مِنْهُ إِنْ أَسْتَطَاعُو.

وَقَدْ وَضَعُهُمُ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مَقْدِمَةِ صَفَوفِ أَعْدَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَحَذَرَ مِنْ
عَدَوْتِهِمْ بِقَوْلِهِ ﴿لَكَيْحَدَنَ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَوَةً لِلَّذِينَ مَآمَنُوا أَلَيْهُودٌ وَالَّذِينَ
أَشْرَكُوا كُبَّ﴾ (١).

وَهُمْ وَلَا رِيبٌ وَرَاءَ كُلِّ خَطْرٍ أَوْ فَتْنَةٍ حَاقَتْ أَوْ لَا تَزَالْ تَحْيَقُ بِالْمُسْلِمِينَ وَمِنْ
هَذَا كَانَ وَاجِبًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ مُحَارَبَةُ الْيَهُودِ وَالتَّصْدِيُّ لَهُمْ وَاسْتِرْدَادُ مَقْدِسَاتِهِمْ
وَاسْتِعْدَادُهُمْ عَزْتَهُمْ وَكَرَمَتْهُمْ.

وَفِي قَصِيدَةِ أُخْرَى أَوْ مَلْحَمَةِ أُخْرَى يَقْفَ الشَّاعِرُ الدَّكْتُورُ /عَدْنَانُ عَلَى رَضَا
النَّحْوِيِّ عَلَى أَحَدِ مَوَاقِعِ الْخِلَافَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ.

وَهُوَ قَصْرُ "دُولَمَا" فِي الْقَسْطَنْطِنْطِينِيَّةِ سَنَةَ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م فَتَتَابُوهُ العَدِيدُ
مِنَ الْمَشَاعِرِ وَالْأَحَاسِيسِ الَّتِي تَسْبِيْطُ عَلَيْهِ طَيْلَةً مَدَدَ إِقَامَتِهِ فِي تِلْكَ الرِّبْوَعِ،
وَتَنَرَّاوحُ هَذِهِ الْمَشَاعِرُ بَيْنَ الْأَسَى وَاللَّوْعَةِ أَحْيَاً، حَزَنًا وَتَحْسِرًا لِمَا حَلَّ بِدارِ
الْخِلَافَةِ مِنَ الْمَأْسِيِّ وَالْإِنْتِكَاسَاتِ، وَبَيْنَ الزَّهْوِ وَالْإِعْجَابِ أَحْيَاً أُخْرَى وَذَلِكَ عَدَمًا
يَرَى بِأَمْ عَيْنِيهِ وَيَلْمِسُ بِحُوَاسِهِ بَقَايَا الْمَجَدِ الضَّائِعِ وَالْأَثَارِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّتِي لَا تَزَالْ
شَاهِدَةً عَلَى عَطَاءِ حَضَارِيِّ اسْتَمْرَ لِعَدَةِ قَرْوَنِ.

وَقَدْ تَفَجَّرَتْ قَرِيحةُ الشَّاعِرِ بِقَصِيدَةِ مَلْحَمَةِ بِعْنَانِ "مَلْحَمَةُ الْقَسْطَنْطِنْطِينِيَّةِ"
فَتَحَانَ - مَطْلَعُهَا:-

يَا قَصْرُ "دُولَمَا" جَلَلَ الْهَدَى لَمْ يَغْبِ
وَنَصْرَةً لَمْ تَرُلْ فِي عُودَهَا الرَّطْبِ

(١) الصَّائِدَةُ الْآيَةُ ٨٢.

وبعد أن وصف فيها روعة هذه الآثار وتأثيرها في نفسه ووجوده هاجت بذاكرته ذكري فتح القدسية المجيد الذي يقول عنه أنه لو لا فتوح رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لاعتبره فتح الفتوح ومنتهى الزهو والانتصار، وعلى ذكر هذا الفتح لم ينسى الشاعر أن يتطرق لسيرة مهندس هذا الفتح وهو السلطان محمد الفاتح الذي يشدد الشاعر بدوره العظيم ويدرك كيف تنسى له فتح مدينة القدسية - عاصمة البيزنطيين السابقة بعد أن عجز عن ذلك العديد من خلفاء الإسلام السابقين عليه، هذا وقد جاء بفضل هذا السلطان ما روي عن عبدالله بن بشر الخثعمي عن أبيه (بشر بن سحيم رضي الله عنه) أنه سمع النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول: "لتفتحن القدسية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش" ^(١).

يقول الشاعر:

فتح الفتوح وهذا زهوة الغلب على الزمان سباق الصادق الأربع لله يمضي في ترك وفي عرب نفس له برخيص الفتح والسلب ولهمة الشوق تتجيه من الريب بلغته .. وكريم السعي والطلب	لولا فتوح رسول الله قلت هنا تسابق الخلفاء المسلمين لها فلم ينلها سوى هذا الفتى قدرها محمد فاتح الدنيا وما طمعت يمضي إلى الله والفردوس غايتها فتح من الله ما أحلاه من أمل
--	---

وهنا تتجسد صورة الإعجاب الشديد والتقدير الرائع التي يلبسها الشاعر للسلطان محمد الفاتح الذي لعب دوراً مهماً وبارزاً في التاريخ الإسلامي الوسيط استحق به طيب الذكر في الحياة الدنيا والحياة الآمنة المطمئنة في جنات الخلود، واستطاع الشاعر كذلك بأسلوبه السهل الممتع وعاطفته الصادقة الجياشة أن يحرك المشاعر ويهز العواطف تجاه هذا السلطان ويعطف عليه القلوب.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك وأخرجه البخاري في تاريخه الكبير.

ومن هذا اللون من الشعر الذي يمجد رموز الخلافة الإسلامية ويرسم صورة زاهية لها قصيدة "اسطمبول"^(١) و "اسلامبول" للشاعر الشيخ / عبدالرحمن حسن حنكة الميداني^(٢)، الذي وقف في عاصمة الخلافة السابقة "اسطمبول" عام ٤٠٤ هـ فأخذ له ما رأى فيها من آثار العظمة وشواهد التاريخ الذي لا يزال ينطق بروائع المجد ويعقب بشذى الافتخار وهناك وهو في قمة الإعجاب وزه هو الافتخار لتهيج الخاطرة - كالعديد من سبقه من الشعراء ذكرى فاتحها العظيم السلطان محمد الفاتح الذي أبدى من مكارم الأخلاق ولين الجانب بعد فتحها ما يفوق الوصف والمأثور فلم يعتريه الغرور والصدف كعادة غيره من الفاتحين بل زاده ذلك تواضعه وشكراً لله واعترافاً بتوفيقه له.

يقول الشاعر بهذا الخصوص:

أصداe تحكين أحداثاً وأزماناً
تقض عصراً طوي صيدا^(٣) وشجاعنا
قامت إلى الفتح أشياخاً ومرداننا
نعم الأمير ونعم الجيش قد كانا
... أسوارها شمساً وبركاناً
فكان من خير خلق الله إنساناً
وزادها دينه عطفاً وإحساناً
في سجدة حطمَت في القوم صلباناً
ولم تدع في حواشي النفس طغياناً
عبد أقدم للإسلام شكراناً
وهو الذي ... زادني بالدين إيقاناً

تسمع النطق في الآثار تلق به
كل الحجارة فيها سطرت كتاب
تروين قصة أجناد مجنة
وكان بشرى رسول الله فاتحها
محمد الفاتح المغوار مر على
جائت له "أيا صوفيا" ترجيه ندى
أهدى لها العفو والتامين مكرمة
وخر لله إذ جاءته راكعة
في سجدة كتب في الأرض سفرتني
يقول للناس فيها إنني بشر
 فهو الذي قد حباني نصره كرماً

(١) الشيخ / عبدالرحمن حسن حنكة الميداني - ديوان أقباعي ، ط٦٠١ ، دار القلم ، دمشق.

(٢) شاعر سوري معاصر يعمل استاذًا في جامعة أم القرى بمكة المكرمة

(٣) شجاع وآبطال.

و هذه القصيدة كسابقتها في وصف الإعجاب الشديد والتقدير البالغ للسلطان محمد الفاتح، ولكنها تختلف عنها في كونها ترکز على التواضع الجم والعرفان الجزييل اللذان أتصف بهما السلطان، وذلك عندما خر ساجداً وساكرا الله سبحانه وتعالى على ما أنعم وتفضل عليه ولا شك أن سيرته العطرة ستظل مثلاً يحتذى وتاريخاً يروى ما تعاقب الليل والنهر.

والشاعر وهو لا يزال تحت تأثير النزعه النقاولية وبعد أن يركز على الدور الكبير الذي أداءه السلطان محمد الفاتح في فتح القدسية، والخير الذي استفاده البشرية من جراء ذلك، يواصل سكب هذه العواطف الإسلامية المتوجهة بالزهو والإعجاب، ولينعطف ليتحدث عن الخلافة في لحظة استغراق فني فيها الشاعر عن نفسه وراح يرسم لها صوراً زاهية وزاهرة مؤكداً على عظم شأنها وقوتها هيبيتها، وثم على دور الكبير الذي لعبته أيام عزها ومنعها ومن أنها كانت القلعة الصامدة في وجه الأعداء الطامعين، بل وأنها كانت القوة الأولى في العالم يهابها وبنفس الوقت يأمل ودها الجميع طيلة خمسة قرون قال الشاعر:

هذا الخلافة .. كانت عزة وتقى
هذا الخلافة كان الناس يرعبها
كانت قلاعاً وأجناداً مجنة
قواعد الحق أرست مجدها حقباً

تهدي إلى الحق أسراراً وإعلاناً
أن ترضى تمنح لأهل العدل تيجاناً
وحكمة وتقى تحمي وإنقاناً
فرونها قبضة .. لم تخشى أفرانـاً

وهكذا يوضح لنا الشاعر .. أن المسلمين ظلوا طيلة قرون خمسة يعيشون في بحبوحة من العيش، وتحت مظلة من الأمن والعدل والأمان في ظلال خلافة إسلامية فرضت سلطانها وهببها على العالمين.

و هنا لا أحد داعياً للتذكير بأحوال المسلمين المعاصرة التي هي من السوء بحيث لا تخفي على أحد وليس ذلك إلا بسبب شقائهم وتفرق كلمتهم.

وفي قصيدة أخرى للشاعر / عبدالرحمن حسن حنكة الميداني بعنوان "مأساة قصة أمتي"^(١) ١٣٩٦هـ يجلو لنا الشاعر فيها الصور الجميلة والمشعة لأمتنا الإسلامية أيام وحدتها وتماسكها ويستعرض أمجاد هذه الأمة الرائعة وتاريخها المشرق وحضارتها الظاهرة فيقول.

أمتى كان عليه	وعلى الباigi عصيّة
عالمي كان سماء	ونجوما درريّة
عالمي كان جنانا	وشعوبا مدنيّة
وحصونا وقلاء	وببلادا حضرىّة
عالمي كان كما	يكره أعداء البرىّة
عالما كان علوما	وعبادات سنية
وقصورا شامخات	وعطاءات سخية

وبعد أن يفرغ من وصف ماضي أمتي المشرف ينعط الشاعر ليضرب على الوتر الحساس ويخلص إلى الهاجس الذي يشغل باله ويملاً تفكيره وهو حاضر أمتي الراهن الذي يجب أن يطيل الوقوف عنده ولا يكثُر الالتفات للوراء إلا لأخذ العلة والعبرة من مجريات الأحداث السابقة، ومن ثم التركيز على حاضر هذه الأمة الذي يلمح به الشاعر بصيغة من نور وبادرة من أمل قد تسفر عن غد مشرق عزيز.

يقول الشاعر:

أمتى في عصرها الحاضر	قد عاشت غنيّة
وهي في أفراد الأشتات	أشتات ذكريّة
إنها لم تتعذر منها	أصول العقريّة
غير أن الإثم والشّر	آس باب البليّة

(١) د. عبدالرحمن حسن حنكة - الديوان السابق.

نعم .. إن من أوليات أسباب تعثر أمتنا الإسلامية وهو أنها على الأمم الأخرى هو في تخطتها في أوحال الآثام والمنكرات، وفي تفرق كلمتها وانقسامها على نفسها، وإنها لن تسترد مكانتها اللائقة بها وعزها وكرامتها إلا بالوحدة الإسلامية الشاملة التي دستورها القرآن الكريم ورئيسها خليفة المسلمين الذي يحكم بشرع الله وسنة رسوله (ﷺ) ولعلنا لا نعدد الحقيقة والواقع في ذلك خاصة بعد أن رأينا كيف سقطت كل محاولات الوحدة الجزئية أو القومية أو الإقليمية في بلادنا أو بلاد العالم الأخرى، وسوف تسقط أيضاً ولا محالة كل وحدة من هذا النوع المبنية على مصالح آنية ويكون مصيرها الفشل والزوال.

وفي "ذكرى مأتم الخلافة" ينظم الشاعر "يوسف إبراهيم" في ٩ رمضان ١٤١٠هـ قصيدة بعنوان "الكوكب الأقل"^(١) يقدم لها بقوله إلى الأمة التي ترقب فجر الخلافة المنتظر، إلى الشباب الذين حملوا راية التحرير ببقين المؤمنين وعزيمة المجاهدين ليعدوا دوله الخلافة في ظل رسالة الإسلام الخالدة:

يسهل الشاعر قصيده بالعزف على قيثارة التفاؤل والأمل والغوص في بحر زاخر بالصور الرائعة الجمال والمترفة الإحساس والتي يحاول من خلالها الهروب من الواقع الأليم الذي تعيشه أمتنا الإسلامية، والابتعاد كلياً عن هذه الأجواء المظلمة ومن ثم التحليق في أجواء من النور والضياء واسترجاع ذكريات وعهود الخلافة الظاهرة مجذداً كل مواهبه الشعرية الفائقة وبأسلوب قصصي بارع راسماً صورة زاهية للخلافة الإسلامية وراياتها الخفافة في سماء المجد والفاخر ولأبطالها الأمجاد الميمانين الذين دكوا عروش الكفر والضلال ونصروا دين الله فأقاموا علم الجهاد، وانتصروا على من ناوأهم وعداهم:

(١) الشاعر يوسف إبراهيم - مجلة الوعي - رمضان ١٤١٠.

يقول:

أين الغناء يزف ألحانا من الذكرى بأحلالها وأغلاها يعاد أين الضياء يعيد ليل
الشعر ومضا في الخيال وفي الدماء وفي الفؤاد من أين أقبسه ولا زهر يضوع شذا
ولا نغم لشاد، جف السنـا ومحابرـ الشـعـراء جـفـ بهاـ المـدادـ، أـينـ الـخـلـافـةـ تـزـدـهـيـ فـيـ
ظـلـهـاـ الرـايـاتـ خـافـقـةـ تـتـوـقـ إـلـىـ الجـهـادـ، وـأـمـيرـهـاـ نـعـمـ الـأـمـيرـ وـجـيـشـهـاـ، وـالـرـومـ، قـدـ أـلـقـتـ
لـقـائـهـاـ الـقـيـادـ، وـالـعـرـشـ مـضـطـرـبـ بـقـسـطـنـطـيـنـ، وـالـأـسـوارـ تـهـوـيـ كـالـهـشـيمـ وـكـالـرـمـادـ، قـدـ
كـانـ يـزـهـوـ بـالـمـلـيـكـ، فـحـينـ جـاءـ الـفـتـحـ مـزـهـواـ تـجـلـ بـالـسـوـادـ، وـإـنـدـكـ لـمـ جـاءـ نـصـرـ اللهـ
يـهـوـيـ خـاوـيـ الـجـبـرـوـتـ مـنـهـارـاـ وـمـادـ، وـشـهـاـوـتـ الـصـلـبـانـ تـحـتـ سـنـابـكـ الـخـيلـ الـمـغـيـرـةـ
وـالـمـهـنـدـةـ الـجـدـادـ وـبـمـسـجـدـ الـغـازـيـ وـسـيـفـ جـهـادـهـ الـمـيـمـونـ عـزـ الـدـيـنـ مـنـتـصـراـ وـسـادـ.

نلاحظ في هذه المقطوعة من القصيدة أنها تحمل في ثناياها إحسان النسوة
بالظفر العظيم الذي حققه المسلمون بقيادة محمد الفاتح على أعدائهم الصليبيين
وللمح سجيلا دقيقا وتصويرا رائعا وحركة متمامية لعملية الفتح التي تمت لمدينة
القسطنطينية بحيث نرى امتداجا شاملاما لمكونات الصورة التي تنوب فيها معظم
العناصر في بوتقة واحدة، والشاعر وهو يرسم هنا صورة زاهية للخلافة ورموزها
إنما يرسم أيضا صفحة مشرقة من صفحات البطولة التي حققها المسلمون إيان
قوتهم وازدهارهم وعلو شأنهم.

وفي لوحة فخر أخرى من القصيدة نفسها يؤكد الشاعر فيها على عظمة
وأهمية الخلافة الإسلامية وانتصاراتها الباهرة التي ثلت عروش كسرى وقيصر،
وأحالت أرضهم إلى مزارع لجيادها الشهب وفرسانها الشجعان، وتحولت رمال
الصحراء بعد أن غزتها خيولنا وعبرتها قواتنا وسادتها حضارتنا ومدينتنا إلى ذهب
أصيل وعسجد كريم.

يقول:

والخيل تفتحم الشغور فتتثني وبشائر تترى، وضياء هدى قد ملأنا الأرض من
نعماه آلاء خيرا وظلام ليل قد طلعنا في دجاه الحالك المربيد فجرا. لم يبق في أرض
غزتها خيلنا عرش فقيصرها ولا عرش لكسرى، حتى أحينا تربها للشعب مزرعة،
ورمل اليد تبرا.

وأخيرا فإنه لا ينسى وهو في قمة زهوه وخيلائه أن يذكر بالدولة الإسلامية
الكبرى التي بناها المسلمون بجهادهم وعرقهم وصبرهم، فما زدهرت بظلالها
الأوضاع العمرانية والأحوال الاقتصادية وعم العدل والنظام وساد الأمن والأمان
أنحاء البلاد يقول الشاعر:

والدولة الكبرى ببنيناها فكان بظلها البنيان أمجادا ونمرا.

ومتابعته لهاتين اللوحتين الزاهيتين للخلافة الإسلامية يرى أن الشاعر رسم
في اللوحة الأولى صورة زاهية للخلافة الإسلامية العثمانية التي فتحت القسطنطينية
ودكت عروش أوروبا ووقفت سدا منيعا في طريق الاستعمار.

أما في اللوحة الثانية فإنه يرسم لوحة رائعة للخلافة الإسلامية العربية التي
دكت عروش فقيصر وكسرى ونشرت الإسلام والعدل في أنحاء العالم آنذاك.

وبذلك يتبيّن لنا أن المقصود من اعتناء الشعراء واهتمامهم برسم صورة
 Zahia للخلافة الإسلامية هو أحد العبرة واستهلاض الهم ودفع المسلمين للسير على
نهج السلف الصالح من أبناء هذه الأمة والعودة إلى الوحدة الإسلامية وبناء دولة
الإسلام الكبرى التي ستعيد أمجاد الإسلام ودوره البارز في مجريات الأحداث
والأمور.

ولا نريد أن نمضي في هذا الفصل إلى أبعد من ذلك، وقد رأينا من خلال
القصائد السابقة كيف رسم الشعراء صورة زاهية سواء للخلافة أو الخلفاء وجسد

الدور البارز لهما والذي تمثل في حماية الإسلام والمسلمين والوقوف سداً منيعاً في
وجوه الأعداء والطامعين.

وحين ندقق النظر في هذه القصائد نلاحظ أنها استطاعت أن تتفذ إلى نفسية السامع وعقليته بكل سهولة ويسر، نظراً لما امتازت به من العواطف الصادقة والمشاعر الحميدة والأهداف النبيلة إضافة لما تخللها وتتفق منها من روح إسلامية مشعة نستطيع أن نلم أنها ترمي من ورائها إلى دعوة المسلمين المعاصرین لأخذ العبرة والعظة وإعادة قراءة تاريخنا من جديد ومن ثم استئناف الشهم وشحن النفوس لتوحيد الصفوف وجمع الكلمة وإحياء الخلافة الإسلامية الغائبة التي طال الانتظار لها.

وفي نص شعري آخر بعنوان " لا عنصرية" (١) للشاعر علي دمر (٢) يرسم فيه صورة زاهية للحضارة الإسلامية والخلافة الإسلامية ويعرض فيه بحضاره النار والدخان، وما جرت على البشرية من الولادات والدمار وفيه يسوق بين يدينا مجموعة من المبادئ التي تناهى بإقصاء دعاء العنصرية والحروب عن مسرح التاريخ المعاصر، وينذكر بالتاريخ الناصع والسودور المشرف للأمة الإسلامية وخلافتها الموقفة التي احتضنت الفكر والأدب وقامت بنشر العلم وتشجيع العلماء ورعت الفضائل والأخلاق ردحاً من الزمن حتى تولى الأمر دعاء الحروب والدمار والذي يندد بهم وينذكر أنه لن يصلح حال الدنيا والبشرية جموعاً إلا عندما تتولى أمتنا الإسلامية الأمور من جديد:

يقول:

باتصويرنا غازين ملائم إلى الجور
ولكن ينفع الخدف في السر والجهر
امنعوا دعاء العنصرية إنكم
فلا فخر في غزو ولا في تسلط

(١) ديوان / علي دمر.

(٢) علي دمر شاعر سوري معاصر.

أضاءت نواحي الأرض بالعدل والطهر
حضارتنا في الشرق والغرب كالبدر
خلافتنا تاج المعارف والفكر
ونحن نشرنا العلم نقضي على الضرر
حضارة قوم حاربت نزعنة الشر
ونسف شعوب الأرض بالخسف والذعر
إذا لم يلح من أفقنا مطلع الفجر

ونحن بتاريخ البرية أمة
بنينا صروح العلم والعز للورى
تهادي شباب الكون في ظل عرشنا
سوانا غزا بالعلم للضرر والأذى
وأنبل غايات الحضارات كلها
فما نفع علم للسلاح وللردى
ولن تنعم الدنيا بأمن وراحة

إننا نشعر ونحن نقرأ ما وراء سطور هذه القصيدة أن الشاعر استطاع أن يعقد مقارنة بين الحضارة الإسلامية الممثلة في الخلافة الإسلامية، والإعمال الفاضلة التي قامت بها من جهة، وبين الحضارة الحديثة الممثلة في دعاة العنصرية وتجارة السلاح وهواء الحرروب وأعمال الخراب والدمار التي تتطلع بها من جهة ثانية وأن يخلص ويطلع بنتيجة صائب وعادلة مفادها أن هذا العالم بكل ما فيه من مشاكل ومتناقضات لن يصلح حاله ولا تستقيم أمره إلا بالعودة إلى النبع الصحيح والأخلاق الفاضلة التي نادى بها الإسلام، وأن الإسلام ممثلاً في الدولة هو الحل الوحيد والمخرج لهذا العالم من كل أزماته ومشاكله.

وعلى نفس المحور الذي يرسم صورة زاهية للخلافة الإسلامية تدور قصيدة "كنا لها لام لا ساسان"⁽¹⁾ للشاعر / محمد كامل الآني الذي نظمها في عام ٤٠٨هـ ومطلعها:

خذها غالباً أيها الإنسان هذا الجحود دونك الميدان

وفيها يتربع الشاعر بعز الإسلام وعظمته المسلمين خلال تاريخهم المشرف الطويل الذي أفلت شمسه بعد سقوط الخلافة الإسلامية، وفيها يذكر أيضاً محاسن

(1) من الشعر الإسلامي الحديث ص ٢٦٢.

هذه الخلافة التي دستورها القرآن الكريم وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي وفق لصياغة عقدها وشئونها، ومن هذه المحسن أن المسلمين بكافة شعوبهم وأوطانهم ظلوا يقتئون ظلال هذه الخلافة المباركة خلال تاريخها الطويل وهم كأخوة متحابين في الله لا حدود بينهم ولا قيود ولا فرق بين أبيض وأحمر إلا بالقوى، وهذا سر من أسرار الدعوة الإسلامية الرفيعة التي من أهم أهدافها ومبادئها المؤاخاة بين المسلمين ونشر الحب والولاء بين صفوهم: يقول فيها:

نبوية دستورها القرآن يحدو ثراها الأمان والإيمان منها الدنا وتحرر الإنسان حبا وإن بعثت بنا الأوطان وتمايلت بفروعها الأفغان والكل تحت لوائه إخوان تجلو القلوب فتشرق الأكون	سادت على نهج الهدایة أمة وسفينة الإسلام تمخض لجنة صاغت خلافتها السماء وأشرفـت هي ملة الإسلام تجمع بينـنا هي دوحة كبرى .. تقـيـأ ظـلـها نشرت لها علمـا يرـفرـف عـالـيا هي دعـوة إسلام تـبـعـث مـيـتا
--	---

ونلاحظ هنا أن الشاعر وهو يرسم صورة رائعة للخلافة الإسلامية ويعدد محسنـها ومبادئـها، استطاع أن يبيـث بصـيـصـا من النـور بيـن هـذـا الضـباب الكـثـيف الذـي يـكـثـف طـرـيقـ المسلمينـ فيـ عـصـرـناـ الـحـاضـرـ، وـأنـ يـعـدـ ولوـ قـلـيلاـ الثـقةـ إـلـىـ نـفـوسـهـمـ وـيرـدـ الـاعـتـارـ بـعـضـ الشـيءـ لـهـمـ.

رَفِيع

جِبْرِيلُ الْمَسْوَرَاتِي
الْكَلِمَةُ لِلْمُؤْمِنِ لِلْفَزْوَارِي
www.moswarat.com

الفصل الرابع

أسباب سقوط الخلافة

توطئة:

عبد الرحمن الباري
السلك لله الفروض
www.moswarat.com

لم يكن سقوط الخلافة العثمانية وليد يوم وليلة، أو حدث ذلك بين عشية وضحاها، ولكنه استغرق عقوداً طويلة وآماداً مديدة، وكان هناك الكثير من العوامل والأسباب التي تجمعت، والخيوط التي تشابكت، وساهمت مجتمعة في سقوطها واحتفائها من على مسرح التاريخ، وقد بسطنا هذه الأسباب في مواقعها من الباب الأول من هذا البحث^(١).

ولضخامة هذا الحديث، ومدى تأثيره على مشاعر المسلمين بشكل عام ومعهم الشعراء بشكل خاص، فقد كان موقعه شديداً عليهم، فشغلهم وأحدث هزة كبيرة في حياتهم، حيث أبدوا تفاعلاً لهم وراحوا يحللون أسباب هذا السقوط، ويفندون العوامل التي أثرت فيه.

هذا وقد شاع في قصائد الكثير من الشعراء وخاصة الذين تناولوا رثاء الخلافة أو كتبوا في القضايا الإسلامية الكبرى، ذكر هذه الأسباب والتلويم بها إجمالاً أو تفصيلاً، وقاموا بعرضها حسب التأويلات الخاصة بكل شاعر، ولكنها تصب في النهاية في بوتقة واحدة وتحوم حول فكرة واحدة وتجذر الغرض المطلوب.

وسوف نستعرض في هذا الفصل بإذن الله طائفة من القصائد الشعرية التي عالجت الموضوع، وبينت أسباب سقوط الخلافة الإسلامية وتدهور حالة المسلمين العامة، ولا نزعم أنها شملت جميع الشعر الذي قيلت فيه ولكنها - وكما سبق الإشارة إليه - مختارات ومنقيات في صميم الموضوع أعتقد أنها استطاعت أن تعطي دلالة قوية عليه، وقد تجنبنا فيها التكرار واستطراد المعاني قدر الإمكان.

(١) انظر: أسباب سقوط الخلافة العثمانية.

الفصل الرابع

أسباب سقوط الخلافة

استكمالاً لما انتهجناه في الفصول السابقة من التقيد نسبياً بالتسليسل التاريخي للقصائد التي تم بحثها، فإننا سوف نلتزم تقريراً بنفس الخط في هذا الفصل الذي يبحث في أسباب سقوط الخلافة الإسلامية من خلال قصائد الشعراء التي تعالج هذا الموضوع.

باديء ذي بدء يطالعنا الشاعر محمد الشاذلي الخزنة دار بقصيدة عنوانها "الانقلاب العثماني" ومطلعها:

لا الترك ترضى بما أجرت حكومتها في المسلمين وحاشاها ولا العرب
حيث رئي فيها الخلافة الإسلامية الملغاة، ثم رسم لها صورة زاهية أيام
عظمتها وقوتها، وختمتها ببيان الأسباب التي أدت إلى سقوطها إذ أنحى باللائمة
كغيره من الشعراء على الكماليين وحملهم مسؤولية سقوطها وراح يذكر كيف أن
هؤلاء غيروا هويتهم الإسلامية وتذكروا لمبادئ دينهم، وارتدوا رداء العلمانية
البغضاة وتزيينا بأزياء الغرب الخادعة، فهجاهم الشاعر بعد ما كان قد مدحهم يوم
كانوا يستوجون المدح، وهو هنا يبدي أسفه لما بدر منه ولكنه يعلل عمله بأنهم هم
السبب في تحوله من المدح إلى الهجاء حيث إنهم يستحقون ذلك بسبب تغيير
موقفهم ...

يقول الشاعر:

رأيتم علناً تعسأً لما انتخبوا
يا طلة الذئب من بعد الهلال على
القائلون علوم الدين تجتب
الحاكمون بما في غير ملتهم
خسرى ولكن بودي أنه الكذب
إن صح هذا فبشرهم بعاقبة

إني لآسف إذ بالأمس أمدحهم
والليوم في هجوم أدعى وأندب
ما كنت مادحهم إلا لما اصنعوا
ما كنت هاجيهم إلا لما ارتكبوا
يتضح لنا أن الشاعر من خلال هذه الأبيات استطاع أن يجعل أسباب سقوط
الخلافة ويلقي بها على عائق الكماليين الذين اتخذوا من القومية التركية مبدأً ضيقاً
لهم وانحرفوا عن مبدأ ما أنزل الله حتى سولت لهم أنفسهم إلغاء الخلافة الإسلامية،
وذلك هو منتهى المروق ونكران الجميل.

وفي قصيدة مبكرة أيضاً نظمها الشاعر خالد الفرج^(١) سنة ١٩٢٧م بعنوان
"الغرب والشرق"^(٢) وفيها يعقد موازنة بين الشرق والغرب، ويبين سعة الهوة
الكبيرة بين الطرفين، ومن أن الغرب جاد في بناء جوانب حضارته ونظام حياته،
بينما الشرق - ويعني به العرب والمسلمين - مستسلم للكلسل والغفلة والانقسام،
وذلك بعكس ما يجب أن يكون عليه من القوة والوحدة التي تتبع من قيم الإسلام
ومبادئه الرفيعة التي تحض على السعي والعمل والعمaran والوحدة... يقول
الشاعر:

والشرق لاه بعد في غفاته	الغرب قد شدد في هجمته
يسسلم الشرق إلى راحته	وكلاماً جاد بأعماله
والشرق مقسم على وحداته	فيجمع الغربي وحداته
وذاك يبني العلم في بحثه	وذاك يضيع الوقت في نظرته

وبعد ذلك يخلص الشاعر إلى القول بوجوب دحض هذه الصفات السلبية
وإلغائها من قاموس الشرقيين، ومن ثم التصدي للغرب والاستعداد وجتمع العدة
لإيقافهم عند حدتهم والتغلب عليهم، وهذا هو السبيل الوحيد لانتصارهم على الغرب،

(١) الشاعر خالد الفرج - شاعر كويتي معاصر.

(٢) الأدب العربي المعاصر في الجزيرة العربية / الشعر في شرق الجزيرة د. عبد الله آل مبارك ط ٢١٣٩٦ هـ

وأخيراً لا ينسى الشاعر أن يذكرهم بوجوب لم الشمل وجمع الكلمة وتوحيد الصنوف تحت راية لا إله إلا الله ... راية الإسلام الخالدة ... يقول الشاعر:

الوقت قد دار بدولابه
ونحن لا نعبأ في دورته
ندور لكن دوار الرحى
والناس مثل الثور في سوعته
إن لم يك المدفع في ثبرته
والغرب لا يسمع صوتنا لأننا
أو قوة تسمو إلى قوته
لا يدفع الغرب سوى بأسمه
فحسبنا الإسلام من جامع
ونحن من يعرب في دوحته

واضح من هذه القطعة الملائمة بالاستعارات والتشبيهات والكتابات البلاغية الراقية أن الشاعر يرى أنه قد آن الأوان لنا أن نتمر عن ساعد الجد والعمل واللحاق بركب الحضارة العالمية، إن لم نسبقه ونتصدر المسيرة، وعلينا أن نوحد صفوفنا ونجمع كلمتنا، وندع القوى والأسباب التي يسمعنا بها العالم الذي اعتاد أن لا يسمع إلا الصوت القوي الذي يشكل صوته أو يتفوق عليه.

كل ذلك فعل الشاعر أمجد الطرابلسي^(١) الذي ألف قصيدة "أيا صوفيا" سنة ١٩٣٥م بعد ما تم تحويلها من مسجد إلى متحف حيث يطالعنا بأصداء وجيعة متاثراً بصمت أيا صوفيا^(٢) ((ثم يقع الشاعر رئيس تركيا "أتاتورك" الذي تذكر للإسلام وعالنعروبة العداء، ويُسخر من تجبره وتغطرسه، ودعوى بطانته التي تنادي به مصلحاً وهو الهادم لمجد و تاريخه، لقد صب أحقاده الدفينه على العرب والإسلام وما درى أن الإسلام دين الله، وكل من عاده عاد مخنوّلاً مجرحاً دون أن يمس الدين بأذى))^(٣).

(١) الشاعر أمجد الطرابلسي

(٢) اثر الإسلام في الشعر الحديث في سوريا

(٣) المرجع السابق

ولا شك أن هذا من الأسباب التي ساهمت في سقوط الخلافة الإسلامية ...

يقول الشاعر:

على الدين ما تتفك توري وتقدح
ولكن دين الله أسمى وأسمح
فوا عجباً أنت الأجم وتنطح^(١)
من الناس إلا عاد وهو مجرح
وتدفع عنه كل من جاء ينبع
حقد على العرب الكرام صبيتها
تجرأت مغترأ على الدين أهوجاً
وشمرت للدين الحنيف مغالباً
وما ناصب الدين العداة أحمق
ولله عين تكلاً الدين برة

إذا تأملنا هذه الأبيات فسوف نرى أن الشاعر أيضاً يؤكد على إلقاء التبعية في سقوط الخلافة وما تبع ذلك من نكبات على العرب خاصة وال المسلمين عامة، على عاتق مصطفى كمال أتابورك الذي ناصب دين الله العداء، ولكن الله سبحانه وتعالى لن يهمله وأنه له بالمرصاد، وهذا ما حصل بالفعل لمصطفى كمال.

ويشارك الشاعر معروف الرصافي بقصيدة في إيداء الأسباب التي أدت إلى تخاذل الأمة العربية والإسلامية، وفرقتهم إلى شيع مختلفة وأحزاب متغيرة، يعادي بعضها بعضاً، حتى رکنوا إلى الخمول والدعة، وماتت هممهم، وخدمت أريحيتهم، فسلط عليهم الأجنبي وتحكم في حياتهم ومقدراتهم، وذلك بعكس الأحوال التي عاشوها عندما كانوا متحدين ومتآزرين، حيث كانت وحدتهم تنهض بهم إلى مدارج العلياء وتقودهم إلى معارج العز والسؤدد، فنالوا بذلك المجد الشريف العريض من أوسع أبوابه حيث يقول:

ما بال قومي على الأرهاق قد صبوا
قد أنهضتم إلى العلياء وحدتكم
كان التعاون غرزاً في غرائزهم
ثم أغدوا بعد حين في جوانبهم
كأن أشهر قومي كلها حرم
والاليوم أقعدهم عنها أن انقسموا
حازوا به الشرف الوضاح واغتنموا
نار التخاذل بالشحنة تضطرم

(١) الأجم: الكيش لا قرن له.

قد زال روح التفادي منهم وغدا
أقوى التخاذل ضعفاً في عزائمهم

روح التعادي إلى أن ماتت لهم

الأجلبي عليهم ظل يحتكم

نلاحظ هنا أن الشاعر هنا يختلف عن سابقه في ترتيب الأسباب التي أدت إلى ضعف المسلمين وتفرقهم، فهو يلصق هذه الأسباب بهم شخصياً إذ هم المسؤولون عن هذا الوضع البائس الذي تسلط به الأجلبي عليهم وتحكم في مقدراتهم ومصائرهم بلدانهم، وما ذلك إلا بسبب التواكل والتکاسل والشحناه التي تفتت قواهم وتفرق جمعهم، ونراه في مقدمة هذه الأبيات يقرّ عهم ويترصد عليهم باتهامه إياهم بأنهم ركعوا للراحة والدعة، وتركوا الحرب والجهاد وكان أعوامهم وأوقاتهم كلها أشهر حرم، وذلك تعرضاً بأن العرب في الجاهلية كانوا لا يحاربون في هذه الأشهر الحرم التي عدوها أربعة أشهر فقط وليس كل العام كما هو حال العرب والمسلمين اليوم، وفي ذلك منتهي التذر والتباكي.

وبتزاحم الآلام في صدر الشاعر عمر بهاء الدين الأميري^(١) وتتفاقم الأحزان حيال رؤيته ومعايشته للنكبات والمصائب التي تعيشها أمتنا الإسلامية، بسبب العصبيات والأحزاب التي مزقتها وأطاحت بخلافتها وهيئتها الإسلامية، حيث يبدأ الشاعر قصيدته "حلم بين صحوتين"^(٢) بعد أن يقدم لها بقوله ((في استعراض الأهوال الضروس تجتاح البلاد والعباد، لا تملك حيالها صنعاً ولا تستطيع لها دفعاً)) مخاطباً الحق جل جلاله بالسؤال عن السعادة الحقيقة في هذه الدنيا التعيسة، شاكياً حال أمتنا السادرة في طريق الغواية والضلالة، نادباً حال المخلصين والشرفاء من أبنائها، ورأياً أحوالهم البائسة، متسائلاً بمرارة وألم، متطلعاً إلى من يتولى أمر هذه الأمة بأمانة وإخلاص فيقول:

أين السعادة يا إلهي في عوالمنا الشقيقة

(١) عمر بهاء الدين الأميري - شاعر سوري معاصر، درس في جامعات المغرب العربي.

(٢) عمر بهاء الدين الأميري - ديوان الزحف المقدس ص ١٠٣

لهم اخراجها	لهم اخراجها
والصحوة المرجوة العقبى	والصحوة المرجوة العقبى
والصفوة المثلى حيارى	والصفوة المثلى حيارى
أين الرعاة الأكفاء	أين الرعاة الأكفاء

وبعد هذا التشاوم المرير عن مصير أمتنا المؤلم، يسلّم الشاعر لأوهام الأحلام العالقة بالذكرى العابقة بالمجد الشامخ الذي عاشته أمتنا في غابر أيامها، مبيناً أن ما حل بال المسلمين من المحن والكوارث بعد الإطاحة بالخلافة الإسلامية هو نتاج الإرتكاء في مستنقع العصبيات البغيضة والأحزاب المشبوهة والسياسات المنحرفة والتي أثرت على مجريات الأمور في مستقبل تاريخنا .. وذلك بقوله:

أوهام أممال قوية
دعوهَا يعزّيزُ
وسياسةً وتحزيبَ
والإرادات السُّنية^(١)
والداعاوي الجاهليَّة
فالمُزورَة المزيَّنة^(٢)
بدأتْ والثَّعْلَبَة عَفْلَقَة^(٣)
وتهدَتْ في زفَرَةِ
أين الشَّام وأينَ أَمْجَادَ
ذهبَتْ بها عصبيَّةَ
مذْقُوضوا صرَحَ الخالفةَ
أودَتْ بنا رَبُّ التَّحرُرَ
دب الفناء بجسمِ أمتَانَ
ومضى التَّنادي بالشَّعاراتَ
فِي مَدِينةِ عَرَبِيَّةَ

ثم يختم الشاعر قصيده بالتوجه إلى الله سبحانه وتعالى العلي القدير ويسأله أن يبث الروح في أوصال هذه الأمة ويعيي موانتها ويهبها الحياة الحرة الكريمة والعيش العزيز فيقول:

إِنَّمَا يُحِبُّ وَيُبَعِّثُ مِنْ مَنْتَهَى

(١) السعاله.

(٢) المزية : الصفة .

(٣) نسنه الـ، مشـا، عـلـة،

فأعد بدينك للبرية أمة الإسلام حية
وامتن فائت القادر الرحمن يا رب البرية

وتتعدد القصائد وتنثرون القوافي لدى الشاعر الأميركي ويظل هاجس الخلافة الإسلامية يرن في مسمعه ويقض عليه مضجعه، فتراء في الكثير من أشعاره والعديد من قصائده يشيد بها صراحة أو يلوح بمفهومها ومعناها تلوينا، وهذا هو في قصيده التي نظمها في المهرجان الذي نظمه المغرب بمناسبة مرور ألف عام على ميلاد الشاعر ابن زيدون.

يرغ الشاعر كل معاني الأسى والأسف عند مناجاته ابن زيدون بأبيات تنطق بالشكوى وتختلج بالحنين حزناً على ما آلت إليه أحوال المسلمين بسبب الخلافات التي دبت بين صفوفهم، والمكائد والمؤامرات التي تعرضوا لها، مما نتج عنه الإطاحة بخلافتهم، وأصبحوا لقمة سائحة في أفواه الأعداء والطامعين، فضاعت فلسطين، وسقط المسجد الأقصى أسيراً بيد أعداء الله وأعدائهم اليهود، محملاً بذلك قادة وزعماء هذه الأمة مسؤولية ذلك ... يقول:

يا بن زيدون والقرون توالت
والدواهي .. وكلها دهاء
الخلافات بالخلافة أودت
واقتسمنا وسادنا الدخلاء
أودعوها قومية ثم نادوا

سياسة الحكم .. نابذوا شرعة الله .. فحفت ديارنا المؤسأء

كم أضاعوا باسم الشعوب شعوباً
طحنتها المكائد السهوجاء
لأن يموتو إل الرجال فحولاً
وابادوا من الرجال فإنهم شهداء

أسلموا لليهود "مسجدنا الأقصى" وكانت طريقهم صناعة
أي ضمير تضيع منها فلسطين ليبقى حكامنا الزعماء

ولا نريد أن نمضي أبعد من ذلك في شعر الأستاذ الأميركي رحمة الله الذي وهب حياته وشعره في سبيل الدفاع عن قضايا الأمة الإسلامية، إذ لا يخفى ما تشمل عليه الأبيات السابقة من وهج الإنفعالات وحرارة العاطفة التي تعكس شعور أمتنا وتغوص في أعماقها وخيالها، وتكشف عن مصائبها وألامها وما ابتلاها الله به من المأساة التي بددت شملها وأودت بخلافتها وأضاعت فلسطينها وقدسها، وخسرت بذلك الكثير.

أما الشاعر عمر أبو ريشة^(١) فإنه يرجع أسباب تأخر أمتنا، وانقسام عرى وحدتها، إلى اعتقادها للعديد من الشعارات البراقة والأيدلوجيات الفارغة، وإلى انقيادها إلى زمرة مسلطة تحكم وفق أهوائها وميولها، وقد عطلت أحكام الشريعة الإسلامية، واستبدلت بها القوانين الوضيعة الدخيلة، فقادها ذلك إلى الضعف والهوان وقلة الشأن، ومن ثم رماها في أحضان جاهلية جهلاء، وضلاله عمياً..

يقول الشاعر^(٢) :

ثلمتها مضارب الحدثان جاهلياتها بلا استئذان وأرخت للتيه كل عنان وقيادات طغمة عبادان ليس فيها براءة الأواثان	أنا يا رب من بقايا سيف أنا من أمة تجوس حماها أسقطت مشعل النبوة في الليل مزقت شملها شعائر شتى ذلك أوثانها تعود ولكن
--	--

لا شك أن هذه الصور الرائعة التي ساقها الشاعر أبو ريشة في هذه الأبيات والتي تنس بالحركة والحيوية، وتملك القدرة الفائقة من التأثير على مشاعر وأحاسيس المتلقى بكل يسر وسهولة، واستطاعت أن تعبر عن الضياع وفقدان الهوية الإسلامية التي تعيشها أمتنا منذ أن تخلت عنه مبادئ دينها الحنفي وتقاليدها

(١) عمر أبو ريشة: شاعر سوري معاصر عمل دبلوماسيًا لبلاده في أكثر من دولة.

(٢) أحمد بسام سامي، حركة الشعر الحديث من خلال أعماله في سوريا - دار المأمون.

الإسلامية العريقة، وتوزعت إلى دول عديدة، واعتنقت مذاهب وأفكار شتى، وتسنم قيادتها غير الأكفاء، فلم يعد لها من وزن يذكر وضاعت في زحمة الطريق.

ويأتي شاعر آخر من شعراء الدعوة الإسلامية وعلم من أعلامها المعاصرین الكبار هو الدكتور يوسف القرضاوی^(١) فيعبر لنا بأسى وحزن عمما حل ببلاد الإسلام ويكشف الحقيقة التي أدت إلى تخلف المسلمين عن ركب الحضارة المعاصرة، والأسباب التي هزمتهم أمام أعدائهم وأطاحت بخلافتهم، والمتمثلة في البعد عن الله وعدم تطبيق الشريعة الإسلامية في حياتهم، ومن ثم كيف أصبحوا عالة على المجتمعات الأخرى يتطفلون على موائدهم في كل شيء ... يقول من قصيدة له بعنوان "إليك يا ابن الإسلام"^(٢) والتي مطلعها:

يا مسلما بعرى إسلامه ارتبطا
هلا وفيت بما مولاك قد شطا

يقول:

ولم يسروا إلى العلiae قيد خطأ
والحق أبلج لا يحتاج كشف غطا
عن منهج الإسلام أضحي أمرهم فرطأ
وقل إنتاجهم .. إذ أكثروا اللغطا
إذ لم يعد حباهم بالله مرتبطا
والليوم عدهم قد بات منفرطا
أشقت بنية وحلت كل ما ربطا

تقول ما لبني الإسلام قد هزموا
كأنما يجعل الإسلام متهمًا
الذنب ذنببني الإسلام مذ بعدوا
قد خاصموا الله إذ خانوا شريعته
تفرقوا شيعاً شتى وأنظمة
عقد الخلافة قبلًا كان ينظمهم
استوردوا من ديار الغرب فلسفة

وهنا نلاحظ أن الشاعر يركز على الخلافة الإسلامية التي كانت تجمع كلمة المسلمين وتوحد صفوفهم، وأنه منذ أن انفرط عدها أصبحوا عالة على الشعوب الأخرى يستوردون منها الشعارات الجوفاء والفلسفات الغربية عن مبادئنا ومعتقداتنا الناصعة النقية.

(١) يوسف القرضاوی: شاعر مصری مقیم فی دولة قطر.

(٢) دیوان نفحات ولنفحات.

وإذاء هذا المنعطف الخطير والموقف الشاذ الذي مرت وتمر به أمتنا، يحاول الشاعر أن يرسم لها الطريق السليم الذي تجتازه إلى بر الأمان، فيضع يده على الداء ويصف لها الدواء الناجع والمنتظر في الرجوع إلى دين الله القويم والالتزام بسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ونهجه المستقيم .. وذلك بقوله:

يا ناشداً للهدى في الغرب معذرة
إن الهدى حيث وحي الله قد هبطا
فابتلى على منهج الإسلام في ثقة
مستعلياً يتحدى ضغط من ضغطاً
واللزم طريق رسول الله في ثقة
وفي اعتدال وجانب خلط من خطا

وهكذا يتضح لنا كيف استطاع الشاعر وبهذا الأسلوب الدعوي الراقي المتلوش بالاعتذار الشفاف، والمتسم بالذوق الرفيع، أن يمحض النصح للباحثين عن طريق النور والهداية والرشاد، وخاصة الذين يلتمسونها في بلاد الغرب، استطاع أن يدلهم ويرسم لهم هذا الطريق السليم، والنهج القويم، ويحدد لهم موقعه الذي لا يدعوا أن يكون إلا في عقر دارهم وتحت أيديهم وأمام نوافذهم انه متجسد في كتاب الله المبين وفي سنة رسوله المطهرة، وعليهم الاعتراف من هذه المنابع بكل نزاهة واعتدال دون تحريف ولا تأويل.

و حول هذا المعنى الذي يكشف عن عوار هذه الأمة ويبين أسباب تأخرها عن الركب قصيدة للشاعر يوسف العظم^(١) بعنوان "يا أمّة الإسلام"^(٢) حيث ينعت هذه الأمة بالجهل بسبب تكميمها للأخوة الحررة، وإخراج الأفلام الشريفة، وبالحقد بسبب ما جره ذلك من تقسيمات شئي وعداوة متأصلة بين أبناء الأمة الواحدة، ثم يفرد أسباب تدهورها وسقوط أعلامها ورایاتها، واستسلامها لأمم الكفر يسومونها سوء العذاب، ويسلبونها عقيدتها وتقاليدها وأعرافها، دون أن تتبس ببنت شفة أو يصدر عنها أي اعتراض أو رد فعل يميط عنها الأذى أو يدرأ عنها العذاب .. يقول:

(١) يوسف العظم: شاعر أردني معاصر له عدة دواوين شعرية وتسلم منصباً وزارياً.

(٢) ديوان في رحاب الأقصى.

قد حطمت بالجهل أقلامها
وبعثرت رايات أمجادها
واستسلمت للكفر مذعورة
وألهت جلادها وانثنت
وقطعت بالحقد أرحامها
ونكست في العار أعلامها
وضيّعت في التيه إسلامها
تسجد للسوط الذي سامها

وبعد أن وصف الشاعر الأسباب التي أدت إلى انتكاس وتدحر هذه الأمة
وتتكيس مبادئها وراياتها في حمأة الذل والهوان، يرجع إلى نفسه ويلتفت إلى ذاته
متحدثاً بلسان الجماعة الإسلامية، فيحاول أن ينفّض يده من تبعات أمنه متعبجاً من
وضعها الذي يتّابي على الإصلاح في مثل هذه الهنات التي ما زالت من خلافها
قبل اليد التي تصفعها وتعبد الصنم الذي تصنّعه حيث يقول:

فكيف نرجوا النصر في غفلة يا أمة تصنع أصنامها

ويتضح من الأبيات السابقة التي يلقى فيها الشاعر اللوم على أبناء أمنه بسبب
رضوخهم لواقعهم التعيس واستسلامهم للمرسلين عليهم، ونستشف أن الشاعر
يرفض هذا الوضع وهذا الاستسلام الذليل للواقع، ويدعو أبناء الأمة للثورة عليه
وأستلام أسباب النصر والغلبة، بالانتفاضة الشاملة من هذه الغفلة المطبقة واليأس
المريء والانتصار على النفس وتحطيم الأصنام والعوائق التي تعرّف كل مسیرتها
وتقف في طريق عزها وسعادتها.

وفي قصيدة جامعة متعددة الأغراض للشاعر الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكه
الميداني بعنوان "اصطمبول أو إسلامبول"^(١) عندما وقف على المدينة سنة
٤٠٤هـ، يوجد ثلاثة من الأبيات الشعرية التي توضح بعض أسباب سقوط
الخلافة، ذاكراً جملة من السلبيات التي ساعدت على هذا السقوط، ومن ذلك
المسلسل الفظيع والدور الشنيع الذي لعبته الصليبية الحاقدة واليهودية الغادرة

(١) ديوان أقیاس.

والماسونية الماكنة والقومية الفاجرة، والتي قسمت شعبها الواحد إلى شعوب متنافة ودولتها إلى دويلات متاحرة، ثم إنه بعد ذلك لا ينسى في ختام القصيدة أن يعدد مقارنة - وإن كانت غير متعادلة - بين الصنم المخدوع مصطفى كمال صاحب الدور الشرير الذي لعبه بمساندة المرربع المسؤول السابق ذكره لتقويض الخلافة الإسلامية وإلغائها، وبين الدور الشريف الذي صنعه السلطان عبد الحميد الذي نادى بالجامعة الإسلامية لضم شمل المسلمين تحت راية واحدة، إلا أنه لم يجد لدعوته آذاناً صاغية ولا قلوباً واعية فذهبت أدراج الرياح ... يقول الشاعر:

ظامها .. ووهـت رأسـاً وأركـانـا
لا روحـ فيها .. وأخـلاطـاً وأوثـانـا
أخـنى الرـذـائـل عـصـيـانـاً وـكـفـرانـا
من دـاخـل الجـسـم ما قـد زـاد خـسـرـانـا
لـنـسـفـها .. إـذ غـدت ثـوـبـاً وـعـدـانـا
لـمـكـر قـوـاتـهم .. ظـلـماً وـطـغـيـانـا
أـعمـى يـتـابـع .. زـنـديـقاً وـشـيـطـانا
كـيـما يـقـوـض بـنـيـانـاً فـبـنـيـانـا
لـكـه لم يـجـدـ فيـ الحـقـ أـعـوانـا

ثم استكانت وقام السوس ينخرـ فيـ
وأـصـبـحـ الـدـينـ فيـ أـرـجـائـهاـ صـورـاـ
وـصـارـ لـفـسـقـ أـسـوـاقـ تـبـاعـ بـهـاـ
وـسـارـ فـيـ جـسـمـهاـ مـكـرـانـ ضـمـهاـ
مـكـرـ الـيهـودـ .. وـمـكـرـ الـعـربـ قدـ سـعـياـ
وـالـفـاسـقـونـ الـذـينـ اـسـتـغـرـبـواـ جـمـعـواـ
وـانـسـاقـ فـيـ "ـمـحـفـلـ الـمـاسـونـ"ـ ذـوـبـلـةـ
وـاسـتـجـمـعـ الـكـيدـ .. أـسـبـابـ بلاـ عـدـ
وـكـانـ عـبدـ الـحـمـيدـ الشـهـمـ خـصـمـهـ

وبعد أن يسوق الشاعر بين الأسباب التي ساعدت على تقويض الخلافة حسب رأيه، يخلص إلى توجيه نداء حار إلى أبناء الشعب التركي، نادباً إيمانهم العودة إلى رحاب الدين الحنيف والرجوع إلى كنف الإسلام الشريف .. ليعود لهم بذلك المجد الذي كان والشرف الذي بان ... يقول:

يا تـركـ عـودـواـ إـلـىـ الـدـينـ الـحنـيفـ تـعدـ
إـلـىـ بـلـدـكـمـ ...ـ أـمـجـادـ عـثـمانـاـ

نلاحظ في البيت الأخير من القصيدة أن الشاعر ومن باب رد الجميل للأتراك العثمانيين الذين حملوا الخلافة وحموها طيلة قرون عديدة، ومن قبيل عاطفة المؤمن وتودده تجاه أخوانه المؤمنين، وبغض النظر عن الأخطاء التي ارتكبها الكماليون – وهم من الأتراك – بحق الإسلام وال المسلمين عند إغاثتهم الخلافة الإسلامية، مع هذا وذلك نلمح الشاعر يوجه الخطاب إلى أخوانه الأتراك المسلمين يدعوهم للعودة إلى منابع هذا الدين الحنيف والرجوع إلى حظيرة الإسلام التي حاول أعداء المسلمين من اليهود والصلبيين والعلمانيين إقصاءهم عنها، وتحويل أنظارهم جهة الغرب، وبهذا الرجوع يعود لهم مجدهم وترجع لهم عزتهم وكرامتهم ويعودون بنعمة الله إخواناً.

هذا وتلوح في الأفق الآن بشائر عودة تركيا إلى موقعها الإسلامي في خارطة الأمة الإسلامية، وذلك بفضل العناية الإلهية بهم لقاء خدماتهم الطويلة تجاه الإسلام والمسلمين، ثم ما يقوم به حزب الرفاه بقيادة زعيمه البروفيسور نجم الدين أوربيكان من جهود ملخصة في بعث وإحياء الحركة الإسلامية في تركيا، والتوجه نحو إخوانهم العرب والمسلمين والحمد لله رب العالمين.

وفي قصيدة أخرى للشاعر عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني بعنوان "قصة مأساة أمتي"^(١) ١٣٩٦ هـ يستعرض في بدايتها أمجاد الأمة الإسلامية الرائعة ويذكر تاريخها المشرق وحضارتها الظاهرة، ثم يخلص إلى ما أصابها من أملات الوهن وعلامات الشتات، بسبب ما ارتكبه أهلها من الخطايا واقترفوه من شرور وأثام، وتکالبوا على الدنيا ولذاتها حتى طمع فيهم العدو فمهدوا لهم طريق العصبية وزينوا لهم حب التفرد، فركبوا موجة القوميات والعصبيات، وخاضوا غمار التفرقة والعنصرية، حتى تعددت الديار وتمزقت الأستار فأصبحوا لقمة سائحة في فم الأعداء يهجمون من كل حدب وصوب ويغيرون عليهم من كل ناحية بحيث

(١) ديوان أقباس

الأعداء يهجمون من كل حدب وصوب ويغرون عليهم من كل ناحية بحيث لا
ناصر لهم ولا معين .. يقول الشاعر:

كيف يرميها ضحى	نظر الذئب إليها
لقمات هنية	كيف تمسى بخبيث المكر
لها بالجاهلية	ورأى تقسيم أوصال
بأرجاس الحمرية	فغدا أوصالها الكبرى
بداء العصبية	ورمى أقوامها الكثيرة
محاثات زخرفية	وبأفك سار زيف وف

وبأنواع من الفرقة .. قالوا .. عقديه^(١)

وأنت عربية	أنت طورانية الأصل
وذات القيصرية	أنت ذات المتحد الأقصى
أنت ببرية	أنت إفريقية الأعراق
وأنت كسردية	أنت من أعراق آرام
أنت فارسية	أنت ذات المجد في التاريخ
وأنت شركية	أنت ذات البأس في كرد
بأمداد غنية	أنت تاج الهند يرعاك
ولا حراس يحمون الرعية	بقهي الحصن
نحن والله الضحايا	هذه روح القضيـة
هل دعينا هل رأينا؟	هل سنصروا للبلية؟

نلمح من هذه الأبيات أن الشاعر ينوي على المسلمين تلك التقسيمات
الجغرافية والعرقية والمذهبية التي تغلغلت بين صفوفهم منذ زمن مبكر واستفحل

(١) بمعنى عقائدية

أمرها، وكانت السبب في خلطة وحدة المسلمين وشاتتهم وتمزقهم، وجرت عليهم من المصائب والويلات ما زالوا يتجرونها ويذوقون مرارتها حتى يومهم هذا، ويعتبر الشاعر أن هذه التقسيمات التي غاب عنها من يكبر عنها ويجتازها، هي أصل الداء ولب الدواء في جسم الأمة الإسلامية، والعياذ بالله.

هذا وما زال الشعراء يستغلون الأحداث التي واجهت العالم الإسلامي سبيلاً للتعبير عن هذا الموقف، فها هو الشاعر الدكتور عدنان علي رضا النحوي قد نظم قصيدة بعنوان "ملحمة التاريخ أو دوى التاريخ"^(١) تجول خلالها في الكثير من معالم تاريخنا الإسلامي القديم والحديث، وقاده التجوال إلى دار الخلافة الإسلامية العثمانية التي عبر مجدها وذهب عزها، حيث يخلص فيها إلى ذكر عدد من الأسباء التي ساهمت في غروب شمس الخلافة حتى أصبحت أثراً بعد عين، حيث ينحي فيها بالائمة على أبناء هذه الخلافة من أصحاب البدع والأهواء والضلال، من يهود وكفار و مجرمين، والمتسلقين على أكتاف غيرهم، والمتصدرين في الماء العكر في سبيل الوصول إلى أهدافهم وغاياتهم، الذين تکروا للخلافة بعد أن حقووا طموحاتهم وماربهم الخاصة ثم رموها بأبشع أنواع العقوق والنكران.

يقول الشاعر :

يمر ومن بلوى ومن حسرات
ولا نهض الفرسان من كبوتات
عدوا بسيوف الغدر والطعنات
رموك على نار وغض شباء
مكائد كفار وكيد عتاة
وكم من كفور كان بين تقاة
وكم من جهول دار بين دعاء

خانیک يا دار الخلافة من اسى
وهنت فما هبت إليك عزائم
نبوك وقد أرضعتهم شيمة الوفا
رموك كأن الدار ليست بدارهم
أولئك أبناء الضلال لبانهم
فكم من يهود كان يلبس عمدة
وكم من عدو زين المكر صنعه

(١) د/ عدنان علي رضا النحوی / دیوان جراح على الدرس ط ٢٤٠٧ دار النحوی.

وفي غفلة الأحلام يندرس مجرم
ويدعى شهيداً بعد مجرم
لقد فتحوا كل الドروب وحطموا
وقد ضيعوا عز القرون وهدموا
تلقي رصاص الغدر من كل جانب

وهكذا استطاع الشاعر أن يكشف لنا في هذه الأبيات المؤثرة عن زيف المتأجرين بمصالح بلادهم، وأن يفضح هؤلاء المغرضين الذين يبررون أقذع الوسائل وأبشع الأساليب في سبيل الوصول إلى غاياتهم، واستطاعوا بمكرهم ودهائهم وضلالهم أن يهدموا وفي فترة وجيزة من الزمن خلافة حسينيةً ومجدًا عظيماً احتاج بناؤه إلى العديد من القرون.

وأما الشاعر مروان حداد^(١) في قصيده "لا تحسين الله مخلف وعده"^(٢) فإنه ينسب ضياع أرض المسلمين وسلط الأعداء والاستعمار على بلادهم إلى إهمال المسلمين أمور دينهم وعبادتهم، وتعطيل فرض الجهاد الذي فرضه الله عليهم للذود عن أوطانهم والدفاع عن حقوقهم وبلدانهم إذا ما تعرضت لأي اعتداء عليها. ونراه في هذه القصيدة يدعو المسلمين للجهاد في سبيل الله لنسعید ما سلبه الأعداء من أرضنا ومقدساتنا، ثم يخلص في نهاية القصيدة إلى مخاطبة المسلمين حاثاً إياهم على الجهاد لإعلاء راية الإسلام ومؤكداً أن ذلك لن يتحقق إلا بالوحدة الإسلامية لتسطع شمس الإسلام من جديد وتشرق على العالم أجمع ... يقول الشاعر:

لَا تَحْسِنَ اللَّهُ مُخْلِفٌ وَعْدَهُ
بِالْأَمْسِ كَنَا سَادَةً فِي أَرْضَنَا
وَالْيَوْمَ ضَاعَتْ أَرْضَنَا وَبِلَادَنَا

(١) شاعر سوري معاصر.

(٢) ديوان القائد الشهيد مروان حداد / محمد ناصر المزيني.

بجهادنا نرضي إلهه ونأمل
أجدادنا بدمائهم وتحمّلوا
محمد إسلامنا لا يألف
هيا فعودوا للجهاد فإننا
ونعيد أرضاً قد رواها قبانا
قوموا لترفع راية خفاقة

نلاحظ هنا أنه رغم ما جاء في هذه الأبيات من البساطة والتقريرية والأسلوب الخطابي المباشر، إلا أنها تحمل في ثناياها ويسودها الصدق وسمو الهدف ونبذ الغاية والمعانوي الشريفة التي تجعلنا تتغاضى عن هذه الصياغة البسيطة، وترتفع مع الشاعر في دعوته لإعلان الجهاد الشريف من أجل استعادة أمجاد هذه الأمة ورفع رايتها وتحقيق وحدتها وعزتها.

ويكاد ينفطر قلب الشاعر مصطفى حيدر زيد الكيلاني^(١) لما يلمسه من شيوع الدسائير الوضيعة والعلمانية في ديار الإسلام ويتأهف على اليوم الذي يرى فيه سيادة الشريعة الإسلامية - والحكم الإسلامي في هذه البلاد، ففي قصيدة "متى الإسلام في الدنيا يسود" ومطلعها:

متى الإسلام في الدنيا يسود ويشرق بيننا الفجر الجديد

فبعد أن يدعو إلى تطبيق الدين الإسلامي في بلاد الإسلام يلتفت إلى الوراء قليلاً وينحي بالائمة على أولئك المسامين الذين نسوا الإسلام ولم يعد لهم إلا اسمه فقط وأخلدوا الدعوة والراحة فعطلوا ركناً مهماً من أركان الإسلام وهو الجهاد، الأمر الذي تسبب في وصولهم إلى هذا الحال التعيس والوضع البائس.

يقول الشاعر :

غداة الروع بأسهم شديد
يحيث خطاهم عزم حديد
تعشّاهم على الدهر الجمود
يسيرهم ولا الشرع الرشيد
عهدت المسلمين أباًه ضيم
إذا ما استقروا نفروا خفافاً
فما لهم نسوا الإسلام حتى
ولم تعد الحنيفة ذات حكم

(١) شاعر أردني معاصر.

دعا داعي الجهاد فلم يابوا
فأين فوارس الصحراء دكوا
ألم يتسموا خبر الأعادي

في هذه الأبيات التي يقطر منها الحماس، وترن من خلالها حمامة الخيول
وهممة الفرسان، يعزّو الشاعر فيها أسباب تخلف المسلمين بالإضافة إلى عدم
تطبيق الشريعة الإسلامية في حياتهم، إلى تعطيل فرض هام من فروع الدين
الإسلامي وهو الجهاد في سبيل الله.

ويقارن في صورتين من صور الجهاد بين عهدين مختلفين من عهود
الإسلام ...

العهد الإسلامي الأول الذي كان الجهاد فيه أساساً لنشر الدين الإسلامي
والدعوة في سبيل الله، وظل حياً وحيوياً في حياتهم طيلة قرون عديدة، ثم العهد
الحاضر للMuslimين، الذين تخلوا فيه عن الجهاد، وعطلاه واستكانوا للدعة والرقد،
في الوقت الذي ظهرت فيه عشرات الأسباب والأحداث التي تستدعي الجهاد
والدفاع عن حياض المسلمين والذود عن حرماتهم، لكن ذلك لم يحرك فيهم همة أو
يستفر شعوراً ولا وازعاً من خلق أو داعياً من دين.

ويتابع الشاعر عبد الرحمن صالح العشماوي^(١) المسيرة الشعرية التي ترسم
أسباب سقوط هويتنا الإسلامية واندحارها على نفس الطريق الذي سلكه أخوانه
الشعراء، غير أنه يطالعنا في قصيده "من تشتكى يا قلب"^(٢) بنسخة جديدة و قالب
آخر هو قالب الشكوى والأنين، هذه الشكوى التي تعتمل في صدره وتتقل كاهله
سيما وهو يسمع أنين أمه وقد أقتلتها الجراح وهدتتها المصائب والأتراح، حيث
يستهل قصيده بقوله:

(١) عبد الرحمن صالح العشماوي: شاعر سعودي معاصر، يعمل استاذًا جامعياً.

(٢) ديوان يا أمّة الإسلام ص ٥١.

لمن تشتكي يا قلب والجرح غائر وحولك أصناف الهموم تحاصر
وينظر حوله فلا يرى من يبيه شکواه، ويُلقى إليه بحمله، ويعينه في كربته
وشدته إلا سبحانه وتعالى الذي هو خير ناصر ومعين يقول:
إلى الله رب العالمين فإنه معين لمن يأوي إليه وناصر

بعد ذلك يخلاص الشاعر إلى تفريغ الشحنة التي تقض مضجعه والهم الذي
يشغل باله، فلما لقيت - ومشاعره تفيض أسى - لفتة إسلامية صادقة يسْتَعْرِضُ فيها
عدداً من القضايا الإسلامية التي تؤثر في مجرى حياتهم، حيث يقول:

أقول لقومي بارك الله فيهم
قضيتنا ليست عادة وعدة
قضيتنا ليست جبوشاً كثيرة
قضيتنا ليست صديقاً منافقاً
وعندي من الحب العميق ذخائر
ولا فرقة تأتي .. وأخرى تغادر
تقاسمنا أحلامنا وتشاطر
تبدي لنا منه العدو المكابر

نعم إن هذه قضايا وقضايا مهمة في الواقع أمتنا، ولكنها كما يقول الشاعر
ليست هي القضايا المصيرية التي تنقل كاهل هذه الأمة، ولا ينبغي أن تكون هذه
هي قضيتنا الكبرى ومصيبتنا العظمى، فهناك ما هو أعظم ضرراً وأدح خطراً،
والقضية يبينها بقوله:

قضيتنا كفر يريد زوالنا
قضيتنا الإلحاد جرد سيفه
قضيتنا الكبرى كيان ممزق
قضيتنا الكبرى هزيمة أمة
قضيتنا يا أخوتي أن أمتى
قضيتنا أنا بنعمة ربنا
يسيره في لجة العصر كافر
وأهل كتاب أبرموا وتأمروا
وقوم تعادوا جهرة وتدابروا
تتادم تجار الهوى وتعاقر
يميزها في العالمين التناحر
بطرنا وأنا بالمعاصي نجلهر

وبعد أن يحدد الشاعر القضية الكبرى التي تعرّض سبيلاً أمتا
وبتكر صفوها، والمتمثلة في تكالب أمة الكفر علينا وإشاعة الإلحاد والمبادئ

الفاسدة بين صفوتنا، وكذلك في هذا الكيان الممزق مادياً ومعنوياً، المتاجر الذي يعادي بعضه بعضاً، والمخالف لأعدائنا، المجاهر بالمعاصي والآثام، الأمر الذي يستبعد معه الشاعر إمكانية حصول النصر والظفر لهذه الأمة التي هذه أحوالها وتلك صفاتها والتي لا تقدر مواقفها ومرتكزاتها، ولا تحترم نفسها وتتاجر بمبادئها وأعرافها وتقاليدها في كل سوق وتهيم بها في كل واد حيث يقول:

وكيف تزال النصر والعز أمة بمبادئها في كل سوق تتاجر

غير أن الشاعر وهو في غمرة هذا الواقع المؤلم وفي خضم هذه القضايا الطاحنة التي تكتنف أمتنا، لا يساوره شك ولا يخالطه يأس، أو يفقد الأمل في مقدرات هذه الأمة وروحها الحية المشرقة التي طالما لبنتها الغيوم وغشتها الهموم والغموم، ولكنها سرعان ما تنقض عنها ليعود لها صفاوها وإسرافها، وذلك بشرط أن ترجع إلى نفسها وتصل حالها بحبل الله المتنين ودينه القويم، وترضى صفوتها وتجمع قواها وكلمتها...

اقول لقومي لا تسوقوا ركابكم إلى غير دين الله فالموج هادر
ولا تيأسوا ما خاب أصحاب ملة إذا ما توادعوا بالتقى وتأزروا
هذا ونستطيع أن نختتم هذا الفصل بقصيدة مؤثرة طرحت في ثناياها أهم
أسباب سقوط الخلافة الإسلامية بل السبب الرئيس فيه وهي قصيدة "الكوكب الأول
في ذكرى مأتم الخلافة" التي نظمها الشاعر يوسف إبراهيم^(١) سنة ١٩٩٠ م
ومطلعها:

أين الغناء يزف أحانا من الذكرى بأحلالها وأغلالها يعاد

وهي قصيدة طويلة متعددة الأغراض والم الموضوعات، تدور حول الخلافة الإسلامية، رسم الشاعر في بدايتها صورة زاهية للخلافة إيان مجدها الزاهر وعزها الظاهر، ثم رثاها رثاء شديداً وبكاها بكاء مرأ عندما تسقطت أركانها

(١) أحد الشعراء المعاصرين.

وأفلت شمسها، ثم يبين أهم الأسباب التي أدت إلى هذا السقوط، وتسببت في ذلك الأفول، وهو أيضاً كالعديد من الشعراء الذين سبق ذكرهم، يضع المسؤولية على عائق مصطفى كمال أتاتورك، إذ يهاجمه الشاعر وبصوغ أبياته بلغة قاسية حادة، يغلب عليها طابع الهجاء المر وأسلوب الشتم والسباب، فينعته بأبشع النعوت ويسمه بأقذع المثالب والصفات، حيث يقول:

شتت يمينك أيها الجاني .. لقد خنتَ البلاد وجئتَ نكرا
معاهد الماسون تلميذاً نشأت .. فزدتَ إلحاداً وكفراً
ضمتَك أحضان الدعاية مذ درجت فكنتَ في الأوطان ماخوراً وعهرَا
وسقوتك من خمر الفجرور فكنتَ للساقين في الحالات خمراً
وأرادك الأعداء عيراً للركوب .. فكنتَ للأعداء عيراً
وحملتَ جثمان الخلافة عندما حفروا له في موطن الإسلام قبراً
ووأدته أسفاراً من الأمجاد .. ما أبقىت للأمجاد سفراً
ومحوتَ ما قد خطَّه التاريخ ما أبقىت في الصفحات سطراً
وهدمتَ ما قد شاده الماضون من عزٍّ فما أبقىت للماضين ذكراً
ونحرتَ كل مفاخر الإسلام سفاحاً بسيف البطش نحراً
وجلستَ فوق العرش عبداً وبالبلاد أسيرة والناس والأوطان أسراً

وهكذا ومن خلال قرائتنا لهذه الأبيات التي صاغها الشاعر بأسلوب خطابي مباشر، وصب فيها جام غضبه على مصطفى كمال، وألصق به من معاني الخزي والعار ما هو جدير به نظير تلك العفة الشنعاء التي قام بها حينما ألغى الخلافة الإسلامية، وذلك من منطلق أن الشاعر أدرك جوهر المأساة التي يعيشها المسلم المعاصر، والواقع الأليم الذي يكتنف حياته ويعيق مسيرته وتقدمه.

الفصل الخامس

آثار وتتائج سقوط الخلافة

الفصل الخامس

آثار ونتائج سقوط الخلافة

نستهل هذا الفصل الذي يتحدث عن آثار ونتائج سقوط الخلافة الإسلامية بما جاء في قصيدة "الجهادية"^(١) للشاعر أبي الفضل الوليد^(٢) حيث يرثي في بدايتها الخلافة ويتحسر عليها وعلى سقوطها، ثم يستطرد في تبيان الآثار والنتائج التي نجمت عن هذا السقوط وترتب على هذا الوضع البائس، فأحوال المسلمين والعرب يرثى لها، والأجانب بما فيهم الفرنجة والميهدود يتکالبون عليهم ويقتسمون خيراتهم، ويعيشون في ديارهم ومقدساتهم، ويأكلون حقوقهم، فهم والحالة هذه أصحاب البلاد والمتصرفون في أمورها ومقدراتها: يقول الشاعر:

وعليهما يتکالب الأقوام
أهل البلاد العرب لا الأعجماء
بين الأعارات فتنة وخصام
والمسجد الأقصى عليه ظلام
والأولياء قبورهم أورام
ولأهلها فوق النجوم مقام
وسلاحهم وكأنها مسماً
الشام نهب والعراق غنيمة
والحق يصرخ فائلاً في ضعفه
سقطت دمشق ولم تقف لسقوطها
الجامع الأموي^(٣) فيه جنازة
ومضاجع الخلفاء زال وقارها
وقف العلوج بها وداسوا تربتها
فالأرض تشكو شدة من وطئهم

بهذا الأسلوب الخطابي، وبهذه التعبير الرنانة النابعة من القلب والمشحة بالأسى والحزن يسوق الشعر أبياته السالفة، التي صب فيها جام غضبه على المستعمرين والأجانب، الذين بسطوا نفوذهم على أرضنا ومقدساتنا وناعوا بكلكلتهم

(١) ديوان أبي الفضل الوليد.

(٢) ديوان أبي الفضل الوليد.

(٣) بناء الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في دمشق.

علينا، حتى عافتهم الأرض واشتكت من ثقلهم ووطأتهم، وتغير حالها ومالها، ولكن لم يشتكِ ولمن تتظلم، وأين من يسمع شكاواها وبلوهاها، وقد شتت شمل المسلمين وتعددت دولهم وأقطارهم، فلا دولة قوية تجمعهم، ولا ملك مهاب ينظمهم ولا حول ولا قوة لهم يقول:

ال المسلمين تساقطت أعلامهم
فكانهم بين الشعوب سوام
لا دولة فيهم ولا ملك لهم
إن المالك بالملوك ضخام
هل يثبت الإسلام بين ضلالة
ملك بناء بأسل وهم سام

وإذاء هذا الحال المحزن والوضع المزري الذي أسفرت عنه أحوال المسلمين، ماذا سيقول لهم نبيهم محمد ﷺ، وبأي وجه سوف يقابلونه غداً، وقد فرطوا بأرضهم ومقدساتهم، فداستها أقدام الكفر، وتسلمت مقايد الحكم فيها، وفرضت سلطتها عليها دون أخذ اعتبار لأهلها وأصحاب الحق الشرعي فيها حيث يقول:

ماذا يقول نبِّيُّهم وجواره
فيه لطاغية العدى استحكام
الشام أرهقه الفرنسيّس الأول
هم مجرمون بهم طحي الإجرام
والإنكليز على فلسطين ارتموا
هي الفريسة فوقها الهمّا
وتتكلوا أرض العراق فأصبحت
ملكًا لهم منه جدًا وزمام

لذا يتضح لنا أن هذا التكالب وذاك الهجوم الاستعماري الذي شهدته بلادنا العربية والإسلامية غب سقوط الخلافة الإسلامية وما فيه من المأساة والآلام، ليعتبر بحق مداعاة للشعراء للتعبير عن مشاعرهم الفياضة تجاه قضايا بلادهم، وحافظاً قوياً لهم للنسج على هذا المنوال بكل أصالة وعاطفة صادقة.

وعلى هذا الغرار الذي يقطر حزناً ويفيض أسى ويترجم أحوال المسلمين
البائسة أنشأ الشاعر أحمد محرم "قصيدة في استقبال السنة الهجرية ١٣٥٢هـ" (١)

(١) صحيفة الفتح: العدد ٣٤٢، ٢ محرم ١٣٥٢هـ.

استهلها بالشکوی من حالة المسلمين، وسيطرة الأجنبي^(١) عليهم وذلك بعد أن سقطت الخلافة الإسلامية وأصبحوا دولاً شتى وأهواء متفرقة فقال:

إذا لم يلح يا عام بدرك باليمين
أتأتي فتلقى المسلمين أذلة
إذا ما شكوا ضيماً أحيلوا إلى غبن?
أتأتي فتلقيهم تراثاً موزعاً
عليهم فجاج الأرض أضيق من سجن?

بعد ذلك تالم الشاعر من حال القطيعة والعداء المفجع الذي يعيشه المسلمون فيما بينهم فقال:

إذا شئت نقب في البلاد فهل ترى
وقد صار حب الذات فيهم غريزة
خلطين منهم لم يبitta على ضغرن
تكاد تجب العطف بين أب وابن
وماذا وراء الدين من رحم تندني؟
به قطعت أدنى العلاقات بينهم

ثم يتتسائل الشاعر عن الدواء الشافي من هذه الفرقة فقال:

عصانا قد انشقت فماذا يعيدها
سوى سيرة الهدادي نجدد ذكرها
كسيرتها الأولى مؤدية الكون؟
فنشرف في تلك الدمامنة بالحسن
وماذا وراء الدين من رحم تندني؟
ونطلع في داجي القوط مضيئـة

ولن يكون هذا الدواء الشافي لأوضاع أمتنا التي انشقت عصاها وتفرق جمعها، إلا باتباع سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام التي تحدث على وحدة هذه الأمة ولم شعثها وخبر كسرها، لسترد بذلك عزتها ومكانتها بين أمم العالم شمساً مشرقة في دياجي الظلم والظلام.

وتمرّ سنوات أخرى، ولا يزال الشعراء يترنمون بذكر الخلافة الإسلامية يرثونها ويقفون على آثارها وموافقها أو يبينون أسباب سقوطها ومن ثم آثار هذا السقوط على المسلمين وما تسبب عنه في كثير من الوجوه.

(١) الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث / مرجع سابق / ١٦٧.

وها هو الشاعر الدكتور أَمْحَدُ الطَّرَابِلْسِي^(١)، الَّذِي وَقَفَ عَلَى مَسْجِدٍ "أَيَا صُوفِيَا"^(٢) الَّذِي تَمَّ تَحْوِيلُهُ مِنْ قَبْلِ الْكَمَالِيِّينَ إِلَى مَتْحَفٍ أَيَا صُوفِيَا. حِيثُ طَالَعَنَا بِأَصْدَاءٍ وَجِيَعَةً وَأَنَاءَ حَزِينَةً لِمَا آلَ إِلَيْهِ الْحَالُ، وَالَّذِي لَمْ يَنْسِ أَنْ يَرْسِمَ لَنَا صُورَةً وَازِنَ فِيهَا بَيْنَ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْمَسْجِدِ قَبْلَ السُّقُوطِ وَبَيْنَ مَا أَصْبَحَ عَلَيْهِ الْحَالُ بَعْدَ ذَلِكَ حِيثُ يَقُولُ:

فَأَضْحَتْ خَلَاءً لَا حَمَائِمَ خَشَعَ
لَدِيهَا وَلَا الدَّاعِيُّ الْمُؤْذِنُ يَفْصِحُ
وَعَطَّلَ فِيهَا الدِّينُ فَهِيَ وَجِيَعَةٌ
تَضَجُّ شَكَاهُ وَالْمَنَابِرُ نُوحٌ
وَلَا شَكَ أَنَّ الشَّاعِرَ هُنَا يَتَخَذُ ((أَيَا صُوفِيَا رِمَزاً لِمَا آلَ إِلَيْهِ الْحَالُ بَعْدَ
التَّحْوِيلِ، وَهَذَا بِالطبعِ يَنْسَحِبُ عَلَى باقيِ الْمَقْدَسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي بَلَادِ الْأَتْرَاكِ حِيثُ
تَمَّ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ تَعْطِيلُ الْأَذَانِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي كَافَةِ أَنْحَاءِ تُرْكِيَا وَذَلِكَ مِنْ قَبْلِ
أَتَاتُورُكَ وَحِزْبِ الْكَمَالِيِّينَ، وَهُنَا يَذَكُّرُ الشَّاعِرُ "أَتَاتُورُكَ" مُقْرَعاً وَمَكَاتِبَأً بِأَنَّ الْأَتْرَاكَ
مَا بَنُوا مَجْدَهُمْ إِلَّا عَلَى دِعَائِمِ الإِسْلَامِ، فَإِنْ هَجَرُوا الإِسْلَامَ الْيَوْمَ عَادُوا سِيرَتِهِم
الْأُولَى قَبَائِلَ بِرْبِرِيَّةِ تَجُوبُ الْبَرَارِيِّيَّةِ كَالسَّوَامِمِ))^(٣) يَقُولُ الشَّاعِرُ:

بَنَيْتُ عَلَى الإِسْلَامِ شَامِخٌ مَلْكُكُمْ
فَلَسْتُ إِذَا هَدَمْتُهُ الْيَوْمَ تَفَاجَحَ
وَإِنْ أَيَادِيَ الْعَرَبِ فِيكُمْ كَثِيرَةٌ
وَمَا ضَرَهَا أَنْ تَنْكِرُوا وَتَقْدِحُوا
لِعُثْمَانَ^(٤) فِي ضَخْمِ الْمَمَالِكِ مَطْمَحَ
وَلَوْلَا تَهَاوِيلُ الْخَلَافَةِ لَمْ يَكُنْ
فَإِنْ تَهَجَرُوا الدِّينَ الْمَقْدِسَ فَلَأَرْجِعُوا
سَوَامِمَ تَرْعَى فِي الْمَرْوَجِ وَتَسْرَحُ
وَأَخِيرًا وَبَعْدَ أَنْ يَفْرَغَ الشَّاعِرُ مِنْ تَقْرِيبِ أَتَاتُورُكَ وَلَوْمَهُ عَلَى مَا فَعَلَ، يَتَوَلَّهُ
بِالنَّصِيحَةِ وَيَحْذِرُهُ مِنْ فَصْمِ عَرَى الْقِرَابَةِ مَعَ الدُّولِ الْشَّرْقِيَّةِ، وَالْإِيْضَاعَ إِلَى دُولِ

(١) الشاعر أَمْحَدُ الطَّرَابِلْسِي.

(٢) انظر الفصل الثاني.

(٣) محمد على الهاشمي / أثر سقوط الإسلام في الشعر الحديث في سوريا.

(٤) جد العثمانيين الأتراك.

الغرب، مسترضياً بذلك أسياده الأوروبيون، منبهاً بأن الغرب لن يرعى له حرمة ولن يحفظ له ذماماً مهما تمسك بأديالهم وتمسح بأعتابهم.

يقول وهو ما يزال موجهاً الخطاب إلى أتاتورك:

وإن غردوا بالسلم يوماً ولو حوا
وسلمهم البراق سلم مسلح
من الحمق ما تتفك تنزو وتجمح
من الأهل من يحنو عليك وينصح
ولو رحت في أدياله تتمسح

أتاتورك حاضر من بني الغرب وثبة
فحبهم حب الذئاب لنجحة
فصمت عرى الشرق العزيز بنزوة
وقطعت أسباب القرابة واجداً
ووالله لا يبدي لك القرب حرمة

وحقيقة لقد صدق ظن الشاعر بأهل الغرب، الذين اطمأن إليهم "أتاتورك" وقطع من أجلهم كل ما يمت بصلة للإسلام والمسلمين، وأدار وجهه ثانية للغرب طاماً في مساعدتهم والإقتباس منهم، ولكن ظنونه خابت، وخسرت بلاده الشرق والغرب، ولم يعد لهم ذلك المجد الذي كانوا يتسمونه بين إخوانهم المسلمين.

وعلى هذا الغرار يواصل الشعراء الحديث عن آثار ونتائج سقوط الخلافة الإسلامية والذي نتج عنه تقسيم بلاد المسلمين وديارهم إلى دويلات متعددة ضعيفة لا وزن لها ولا شأن يذكر.

ومن هذا المنطلق ينظم الشاعر وليد الأعظمي^(١) قصيدة بعنوان "ذكر ونسيان"^(٢) ومطلعها:

شريعة الله للإصلاح عنوان وكل شيء سوى الإسلام خسيان

حيث ينوه فيها بالحالة المفجعة التي آلت إليها بلاد المسلمين وكيف أصبحت أمورهم بعد تكالب دول الكفر عليهم، وسقوط العديد من بلادهم تحت نير

(١) وليد الأعظمي: شاعر عراقي معاصر.

(٢) ديوان أغاني المعركة ص ٢٢.

الاستعمار، يذبحون أبناءهم ويدنسون مقدساتهم ويهدمون مساجدهم، وهم لا عين رأت ولا أذن سمعت، وكأن الأمر لا يعنيهم من قريب أو بعيد ... يقول الشاعر:

كما تداعى على الأغنام ذوبان
"في كل ناحية ملك وسلطان"
ينهد من هولها رضوى وشهلان^(٢)
مثل التي فعلت من قبل أسبان
كما أعدت لنصف الحق نيران
فهل تحرك عند القوم وجدان
في كل زاوية رأس وجثمان
حقداً للعبد دون الله ثيران^(٤)
وخيت في سماء القدس أحزان
تدعوا إلى الثأر آكام ووديان

ها قد تداعى علينا الكفر أجمعه
وال المسلمين جماعات مفرقة
في كل أفق على الإسلام دائرة
في زنجبار^(١) أحاديث مروعة
ذبح وصلب وتنقيل بإخوتنا
مساجد تسفت في قبرص عاناً
وحول "كمير"^(٢) قتلى لا عداد لهم
تالب الكفر واحمررت له حدق
وذي فلسطين قد طالت مصيبةها
ضجت من الضيم وانفت جلامدها

وبعد أن استعرض الشاعر طائفة من الأحداث الجسام والخطوب العظام التي تعرضت لها بلاد المسلمين من جراء تعسف المستعمرات وجرروتهم، وذلك مما يفتت الجلامد والأكادم قبل القلوب والأكباد، يخلص الشاعر إلى إقرار حقيقة يفترخ بها وبتعز: ألا وهي إيمانه العميق بعظمة هذه الأمة وروعتها مقدراتها، وعدم استسلامها للأمر الواقع والخطوب التي تعرّض سبيّلها، بل إنها تنتصر على هذه الخطوب بوازع من دينها الحنيف وبهدي من سورها: كتاب الله الكريم. وهنا يحيث الشاعر إخوانه المسلمين للاغتراف من هذا النبع الصافي وترك ما سواه من الفجور والضلالات وذلك بقوله:

(١) اسم جبلين في بلاد العرب.

(٢) منطقة تقع في بلاد اليمن.

(٣) مقاطعة مسلمة متازع عليها بين دولة الباكستان الشرعية ودولة الهند المغتصبة.

(٤) تعرضاً بالهندوس الذين يبعدون البقر من دون الله.

ولم يزل عندنا عزم وإيمان
بمَن يثبت دون السهم ببنيان
نور النبي لمن ضلوا ومن بانوا
وعندنا للهدي والحق ميزان
من حاد عن نهجها لا شك خسران
وما عداه فتضليل وبهتان

كل الحوادث نالتنا مصائبها
بأننا أمة قامت على أساس
باتت على هامة التاريخ رافعة
تبني الحياة بوحسي من عيبيتنا
قرآننا مشعل يهدى إلى سبل
هو السعادة فلنأخذ بشرعته

ولا شك أن هذه النقاة من قبل الشاعر بمقدرات أمتنا الإسلامية وثوابتها
ومرتكزاتها، هي في محلها وعند حسن ظنه بها، إذ أنه مهما طغى ال�ول وأعشف
الظلم، فلا بد من أن ترجع إلى نفسها، وتنتصر على واقعها، ويشرق في أفق
حياتها فجر جديد وعهد سعيد.

ومن قبيل هذا الشعر الذي يجسد واقع المسلمين المؤلم ونكباته العظام يكتب
الشاعر أحمد فرح عقيلان^(١) قصيدة بعنوان "صرخة"^(٢) وذلك في أعقاب نكبة
حزيران سنة ١٩٦٧م، تلك النكبة التي أطبقت على البقية الباقية من أرض فلسطين
المحببة، واحتلت فيها يهود بالإضافة إلى فلسطين أجزاء أخرى من أراضي
المسلمين في مصر وسوريا ولبنان، وما زال معظمها يرزح تحت نير الاستعمار
حتى هذا التاريخ. ومطلع هذه القصيدة:

حطمت قيثاري قطعت أوتاري ولئي الغناء ودقت ساعة الثأر
وفيها يكتب الشاعر آخر عواطفه وأحزانه وتكاد نفسه أن تتلاطم غماً وأسفاً،
وأحشاؤه أن تتقطع حزناً وألمًا؛ وذلك لما أصاب بلاد العرب خاصة والمسلمين
عامة من آثار هذه النكبة النكسة، التي ما زال جرحها ينزف ودماؤها تفوح.

(١) احمد فرح عقيلان.

(٢) ديوان: جرح الإباء.

وفي هذه القصيدة أيضاً ينعي الشاعر بالأنثمة على بعض قادة هذه الأمة وعلى ما اعتنقوه من المبادئ والأفكار الهدامة، التي تتبع من غير منابع شريعتنا ومصادر تقاليدنا العربية والإسلامية، ويحملهم مسؤولية ما وصلت إليه أمتنا من سوء الحال فيقول:

وراءها كل طبال وزمار
في شعبنا كل طاغوت وغدار
تتعاقوا حوله: رجعي أفكار
فما يقرب إلا كل خمار
حكم المباحث والإرهاب والنار

لهفي على العرب أعلاماً ممزقة
تقسمتا شعارات يروجها
فإن دعا للهوى والحق داعية
ذو الدين في عرفهم تخشى غوايده
حرية الشعب في أبواق دعوتهم

غير أن الشاعر وهو يشعر بمرارة الإحساس من جراء الأوضاع التي تعيشها أمتنا العربية والإسلامية الموزعة الأنحاء، إلا أنه لا يفقد الثقة بهذا الشعب العريق والأمة العظيمة التي قادت العالم وتسلمت سدة الرئاسة رديحاً من الزمن، وذلك عندما كان الإسلام شعارها الأول والأخير، ونراه هنا يوجه النداء لإخوانه العرب للعودة إلى خطيرة الإسلام ومن ثم العودة إلى الرقي والسيادة، يقول الشاعر:

على ظلام الحيارى .. جيش أقمار
فلم تكن غير إكلييل من الغار
على شمال المعالي .. بعض أصنفار

يا أيها العرب يا أحفاد من طلعوا
آباءنا جعلوا الإسلام رأيتهم
إن يسلخ العرب من إسلامهم رجعوا

بهذه الروح الإسلامية الشمولية، يدعو الشاعر إخوانه من العرب إلى الانضواء تحت خيمة الإسلام والمسلمين جاعلين من وحدتهم العربية طريقاً إلى الوحدة الإسلامية الشاملة، والتسلح بالإسلام الذي أعلى من شأنهم ورفع مقامهم وجعلهم أمة تعنو لهما الأمم ويفخر بها التاريخ.

وكثيرة هي النصوص من الشعر الإسلامي التي تقصّح عن آثار ونتائج سقوط الخلافة الإسلامية، وما آلت إليه أحوال المسلمين من الضعف والانقسام، ويكاد يشترك الكثير من الشعراء في إيراد الخطوط الرئيسية والنقاط العريضة لهذه الآثار والنتائج التي لا تختلف بين شاعر وآخر إلا في طريقة عرضها، سواء وردت موجزة أو مفصلة من قبل هذا الشاعر أو ذاك؛ وذلك لأن هذه الآثار لا تخفي على ذي عينين، ويلمسها كل من هب ودبٍ من آثار نفاذ البصيرة وقوّة الإدراك واليقين.

ويشارك الشاعر مأمون فريز جرار^(١) في قصيدة بعنوان الفوز بالقرآن^(٢) والتي نظمها سنة ١٩٨٠م، وتدور حول هذا المعنى ومطلعها:

أضنى الفؤاد مواكب الأحزان تختال فوق ممزق الأوطان

حيث يستعرض فيها أحوال المسلمين البائسة، مسلطًا الضوء على الأيديولوجيات التي تجذبهم ويتخبطون في ماتها، وهذا يمّيني وهذا يساري .. إلى غير ذلك من المذاهب والأفكار التي ما أنزل الله بها من سلطان فيقول:

في كل صقع من بلادي نكبة من ساحة الأقصى إلى الأفغان
والمسلمون على الدروب بلا هدى متفرقون كتائب القطعان
هذا يمّيل إلى اليمين مغرباً والغرب عادانا مدى الأزمان

وللتدليل والتأكيد على ما أفضى به الشاعر في قصيده وعلى ما فعله أهل الغرب بالإسلام والمسلمين يضرب مثلاً بما صنعوه في بلاد الشام عندما بسطوا نفوذهم عليه، وقاموا برفع راياتهم وأباطيلهم في أنحائه، وحاولوا تشويعه شريعة الله والطعن في المقدسات والثوابت الإسلامية، ولكن الله رد كيدهم في نحرهم وأخذهم، ورغم ذلك فإنهم استطاعوا أن يزرعوا إسرائيل في قلب الوطن الإسلامي حيث سرى داؤها في جسم الأمة العربية والإسلامية، واستطاعوا أيضًا بكدهم

(١) مأمون فريز جرار - شاعر أردني معاصر.

(٢) ديوان قصائد لفجر الآتي ص ٧٨

ودهائهم أن يمزقوا هذا الوطن الكبير إلى دوبلات ضعيفة هزيلة تحارب بعضها بعضاً، بعد ذلك يلفت الشاعر الأنظار إلى أن هذا الوطن لم يسلم أيضاً من التيارات اليسارية الحمراء التي حاولت النيل من عقيدته وتقاليده وجرت عليه المصائب والويلاط فيقول:

جاءوا بلاد الشام كالطوفان
فاذلَّ ربِّك رايَة الصُّلْبَان
في موضع الإسْرَاء كالسُّرْطَان
دولًا مهملة بغير كِيَان
فتَنَّه دُعَوات بلا إِيمَان

واسأل بلاد الشام تخبر أَنْهُم
رفعوا الصليب ليطفئوا نور الْهَدِي
والليوم إِسْرَائِيل بعْضَ غُرَاسِهِم
من مزقِ الْوَطَنِ الكَبِير وخطَّهُ
وإِلَى اليسار ترى فريقاً مهطعاً

وبعد أن يستعرض الشاعر ما جرَّه علينا الغرب والشرق من الويلاط والنكبات، وما نزال نتجرعه من سموها حتى الآن يخلص الشاعر بأن يرسم في نهاية القصيدة خط السير الذي يحذِّر أن تتجه هذه الأمة للخروج من أزماتها إلا وهو الالتزام والتقييد بما جاء في القرآن الكريم وهديه الشريف بعيداً عن التيارات اليمينية واليسارية وكل ما لف لفهمما فيقول:

ما باليمين ولا اليسار فلا حنا ما الفوز إلا منهج القرآن

وكفى بذلك منهاجاً شريفاً وفوزاً عظيماً، كفياً بالحياة الحرة الكريمة.

كذلك لا يفوت الشاعر الجزائري محمد الأخضر السائحي^(١) أن يصرح بالحالة البائسة التي تحياها أمتنا الإسلامية، وذلك عندما شارك إخوانه المسلمين في ذكرى المولد النبوى الشريف ونظم قصيدة بعنوان "مناجاة هلال المولد النبوى الشريف"^(٢) ومطلعها:

أقبلت ترفل في أثوابك القشَّاب حلو الملامح لم تهرم ولم تشتب

(١) محمد الأخضر السائحي - شاعر جزائري معاصر.

(٢) ديوان إسلاميات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤ م.

فبعد أن ينادي شهير المولد النبوى الشريف وينعته بما هو أهله، يلتفت إلى وصف أوضاع المسلمين السائدة، فهالك هذه الفرقـة وهذا الانقسام الذى يتوزع ديلـر الإسلام ويكتفى ربوعها، وقد هبت عليها رياح الطائفـية السـهوجـاء وسررت فى أجسامهم سموم الجـاهـلـية الجـهـلاء.

ثم يأخذ على المسلمين كيف أنهم لم يوحدوا صفوفهم، وقد وحدـهم الدين وجـمعـتـ بينـهمـ الشـريـعةـ الإـسـلامـيـةـ الغـراءـ .
وأخـيرـاـ يـخلـصـ إـلـىـ تـوجـيهـ الدـعـوةـ لـتوـحـيدـ الصـفـوفـ وـالـقـلـوبـ عـلـىـ كـلـمـةـ وـاحـدـةـ
ونـبذـ التـفـرقـ وـالـانـقـاسـمـ فـيـقـولـ :

رأـيـ وـلـاـ نـلـقـيـ حـتـىـ عـلـىـ النـوـبـ
أـبـوـ الشـقـيقـ الـذـيـ خـاصـمـ لـيـسـ أـبـيـ
وـالـطـائـفـيـةـ تـأـتـيـ الـيـوـمـ بـالـعـجـبـ
وـلـاـ رـشـادـ وـلـاـ فـيـهـمـ وـلـاـ أـدـبـ
حـيـنـ اـتـحـدـنـاـ بـهـ فـيـ أـرـفـعـ الرـبـ
وـكـلـ فـكـرـ مـنـ الـأـفـكـارـ مـغـتـرـبـ
وـاقـضـواـ عـلـىـ الـخـلـفـ وـالـإـلـحـادـ وـالـرـيبـ

فـكـيفـ صـرـنـاـ شـتـاتـاـ لـاـ يـوـحدـنـاـ
تـفـرقـ الشـشـمـ حـتـىـ قـالـ قـائـلـنـاـ
الـجـاهـلـيـةـ ثـارـتـ فـيـ طـبـائـعـنـاـ
فـهـلـ نـعـودـ كـمـاـ كـنـاـ بـلـاـ خـلـقـ
وـالـدـيـنـ وـحـدـنـاـ صـفـاـ ..ـ فـأـقـعـدـنـاـ
فـلـقـطـعـواـ كـلـ كـفـ شـذـ أـصـبـعـهـاـ
وـوـحـدـنـاـ الصـفـ إـنـ اللهـ وـحـدـهـ

وهـكـذاـ فـاـنـاـ نـلـاحـظـ أـنـ الشـاعـرـ يـدـعـوـ الـمـسـلـمـيـنـ إـلـىـ الـوـحـدـةـ الشـامـلـةـ المـتـمـثـلـةـ فـيـ
كـلـ شـيـءـ مـنـ حـيـاتـنـاـ وـالـتـيـ هـيـ مـظـهـرـ مـنـ مـظـاهـرـ دـيـنـنـاـ الـإـسـلامـيـ الـحـنـيفـ.ـ منـ جـهـةـ
أـخـرـىـ ((إـنـ رـوـحـ الـعـصـرـ تـوـجـبـ عـلـىـ الـمـسـلـمـيـنـ أـنـ يـتـجـمـعـوـ حـولـ كـتـابـ اللهـ وـسـنـةـ
رـسـولـهـ؛ـ لـأـنـ اللهـ تـعـالـىـ يـنـادـيـهـمـ مـنـ وـرـاءـ الـخـلـودـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ
أَمَنُوا أَتَقْوُا اللَّهَ حَقَّ تَعْلِيمِهِ، وَلَا يَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وـأـعـتـصـمـوـ بـحـبـلـ اللهـ
جـيـعـاـ وـلـاـ تـقـرـفـوـاـ وـأـذـكـرـوـاـ نـعـمـتـ اللهـ عـلـيـكـمـ إـذـ كـنـتـ أـعـدـاءـ فـأـلـفـ بـيـنـ قـلـوبـكـمـ
فـأـصـبـحـمـ يـنـعـيـتـهـ إـخـوـنـاـ وـكـنـتـمـ عـلـىـ شـفـاـ حـفـرـةـ مـنـ الـتـارـ فـأـنـقـذـكـمـ مـنـهـاـ كـذـلـكـ يـبـيـنـ

الله لكم أيا تهم لعلكم تهتدون ^١) إذ لا بد أن نجتمع بعد طول الافتراق، لأن الأمة الإسلامية تقوم فيها الروابط على وحدة الدين والعقيدة، ووحدة المبادئ الخلقية الفاضلة، والنظم الاجتماعية العادلة والعبادات الجامعة)) ^(٢) وفي قصيدة بعنوان "الرأي الخضراء" ^(٣) للشاعر محمود مفلح ^(٤) والذي يفصح فيها بالتخلي عن كل المباديء والمعتقدات الزائفة التي لا تتفق مع مبادئ ديننا الحنيف ومعتقداته الأساسية، ومن ثم الرجوع إلى جذور الإسلام الخالدة، ومنابعه الصافية ونهره الفياض المتدفع الذي يحرف في طريقه جداول الباطل وأودية الشك والضلالة، وقد استطاع الشاعر من خلال هذه القصيدة أن يجسد كل السلبيات والانتكاسات التي وصلنا بها الغرب وركزها في طريقنا، وذلك بعدما تخلينا عن مبادئنا وثوابتنا التاريخية وتقاليدنا الإسلامية العريقة، الأمر الذي سقطت معه راياتنا وهويتنا ووحدتنا التالدة وما نتج عنه من الفوضى والذوبان في متاهات الضياء وأودية الاغتراب، يجسد الشاعر ذلك قبل أن يؤوب إلى نفسه ويرجع إلى رشدته فيقول:

<p>رجعت للقلعة الشماء يا وطني وكنت من قبله ميتاً بلا كفن ولا ترجم عصفور على فنن رایاته من أقاصي الصين لليمون ولن يكون له شأن ولم يكن والدين غل نداء الروح والبدن والموح يمضغ في أحشائه سفني ولا جذور إذا ما تهت ترشدني يمربى كل علاج ثم يركاني</p>	<p>رجعت للحق بعد اليأس والمهون رجعت للمجد والإسلام غرت به لو لا ما بزغت شمس على بلدي قال الشياطين إن الدين قد سقطت ولن تقوم له من بعد قائمة ونحن في عصر إبداع وتنمية أمضيت عمري ربانياً بلا هدف فلا هوية لي حتى أجسدها أصبحت في غرف التاريخ منتداً</p>
--	--

(١) آل عمران آية : ١٠٣.

(٢) الوحدة الإسلامية، محمد أبو زهرة ص ٢٣٤ دار الرائد العربي.

(٣) محمود مفلح، ديوان شموخاً أيتها المآذن ص ٦١.

(٤) محمود مفلح.

لأعين الغرب عين وهي تشهي
فمن تراه إلى الجزار أسلمني
هو الذي من كؤوس السم جرعني
في ظلمهم وغدت ضرباً من العفن
وأخذتها من فأماعي الغرب ترقني
أعيد ما كان رأس الكفر لقنتي
رياتا .. وأطلست راية الفتن

وار نهر دمي سيلأ فما دمعت
أمسار للذبح والتاريخ مفترض
إن الذي عن كتاب الله أبعذني
قالوا وأصبحت الأيام مدبرة
قالوا وكانت ذئاب الشرق ترصدني
حتى غدوت كما البغاء بينهم
وضاعت الأرض بعد العرض وانتكست

والشاعر وهو يسقط على نفسه كل هذه السلبيات وينصب من شخصه هدفاً
لكل ما رماه به الغرب أو الشرق من رميات، إنما كان يتحدث بلسان الجماعية
ويعتبر نفسه واحداً من أبناء هذه الأمة التي ابتهل أفرادها بمثل ما ابتهل به وأكثر،
ويرجع أسباب ذلك الإنحدار وذلك الإنكسار إلى الحالة التي ألمت بال المسلمين بعد
سقوط رايتها وتفاك وحدتها وتمزقها إلى دوليات هزيلة تلعب بها الأمم كيف شاءت
ومتى شاءت، لكن الشاعر وهو في قمة هذا اليأس القائل، وفي غمرة ذلك السهوان
الشامل، لا يستسلم لل Yas ولا يركن للخنوع، كيف لا وهو الشموخ بعينه والعقيدة
بأطوارها والثبات بحقيقة، وهو يخاطب القدس ويبشر مسرى الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)
بأن يسمع نداء الجهاد قادماً، وأصوات الحق خفافة، ويرى كنائب الله وأعلام الحق
وهي ترفرف عالية على طريق العودة والنصر.

يقول الشاعر:

إني الشموخ فلا شيء يزعزعني
وليس غير نداء الله يسحرني
تكون في ظلها يوماً فتقباني
إني لأسمع صوت الحق في أذني
كتائب الله قد ضجّت بها مدنى
”والله أكبر“ نبراس على الزمان

يا أمتي وأقول اليوم في تقى
إني العقيدة والإقدام فيصلها
أذود عنها وفيها عل خاتمتى
يا قدس يا بلد الإسراء يا سكني
وابصر الراية الخضراء ترفعها
فالليل يعقبه فجر ومنذنة

لا يخفى على القارئ ما في ثنايا هذه الأبيات من نفحات التفاؤل والأمل المشرقي، ونغمات الثقة والإيمان العamerين بمستقبل هذه الأمة وعطاء أبنائهما، المنشوشين بالشموخ والإقدام، الذين سيتولون بإذن الله رفع علم الإسلام الشامخ على روابي القدس وكل ما احتل من أرض المسلمين وحداً لهم "الله أكبر" يتردد في كل مكان، هذا وقد وردت هذه الأبيات بألفاظ تقطر حسناً وتناسب رقة بأسلوب جزل رصين يملك على السامع سمعه وقلبه ووجوده.

وينظم الشاعر محمد هاشم رشيد^(١) قصيدة في إحدى المناسبات الوطنية، وذلك في يوم عيد الفطر عام ١٣٩٦ بعنوان "في موكب الأفراح"^(٢) ومطلعها:

عادت لطيبة بهجة الأعياد فألقت كالكوكب الوقاد

وبعد أن فرغ من موضوع المناسبة، عزّ عليه وهو الشاعر الحساس أن لا يتطرق في قصidته إلى تشخيص أوضاع المسلمين البائسة التي منعت الكثير من أبناء المسلمين الذين يرزحون تحت نير الاستعمار، أو يتعرضون لظروف صعبة، وضغوط قاسية من مشاركة إخوانهم في كل مكان، وحالات دون تمعتهم بأفراحهم في مثل هذا اليوم من أعياد المسلمين، وراح يتالم لما آلت إليه حياة الشعوب الإسلامية من تمزق وضياع وأحقاد في كل مكان، ثم يذكر أن العيد مناسبة يقف فيها الإنسان مع نفسه، يتذكر ماضيه ويستلهمه ليتخذ منه العبر والدروس لحياته القادمة، واتقاً من أن النصر في النهاية للإسلام والمسلمين^(٣) يقول:

قالوا وهل للعيد من معنى وقد اث الدخيل .. ولج في الإفساد	فالقدس ترزا تحت وطأة غاصب
قذر يذنس معقل الآسود	وعلى ثرى لبنان مأتم أمة
ثكلى تحطمها رحى الأحقاد	

(١) محمد هاشم رشيد - شاعر سعودي معاصر، يعمل مديرًا لنادي المدينة المنورة الأدبي.

(٢) محمد هاشم رشيد، الأعمال الشعرية الكاملة ص ١٥٦.

(٣) د/ رزق داود، محمد هاشم رشيد أصوات على شعره وشاعريته.

ما زال ينづف في ضلوع الضاد
بالمخلب القاني وبالإحـاد
غرض الرمـاة ومنهـل الورـاد
عبر الزـمان لفـترة استـعداد
أقوى من الأـغلـال والأـقـاد
آفاقـاً وتأطـخـت بـسـوـادـ

وبـقلـب باـكـسـتـان .. جـرـحـ غـائـرـ
وبـأسـيـا الصـغـرـى شـعـوبـ مـزـقـتـ
وـالـمـسـلـمـونـ بـكـلـ أـرـضـ أـصـبـحـواـ
فـأـجـبـتـهـمـ ماـ العـيـدـ إـلاـ وـقـةـ
نـسـلـهـمـ المـاضـيـ .. وـنـدـرـكـ آـنـناـ
وـالـنـصـرـ لـالـإـسـلـامـ مـهـماـ اـحـلوـاـكـتـ

وهـكـذا يـتـضـحـ لـنـا مـدـىـ الثـقـةـ الكـامـلـةـ بـمـسـتـقـبـلـ الـإـسـلـامـ لـدـىـ الشـاعـرـ، وـأـنـ النـصـرـ
حـلـيفـهـ بـحـولـ اللهـ مـهـماـ أـظـلـمـتـ الـآـفـاقـ وـاسـوـدـتـ الـظـرـوفـ.

وفي قصيدة أخرى بعنوان "في ظلال السماء"⁽¹⁾ يشكو الشاعر محمد هاشم رشيد نفس الشكوى من سوء أحوال المسلمين، وتفرق كلمتهم، وتعدد رايـاتـهمـ، وـعدـمـ وـحدـتـهـمـ، فـلـمـ يـعـودـواـ تـلـكـ الدـوـلـةـ المـوـحـدـةـ الـتـيـ تـسـتـظـلـ الدـنـيـاـ بـظـلـهـاـ وـتـفـرـضـ هـيـبـتـهاـ عـلـىـ الـعـالـمـينـ، وـتـلـكـ بـنـظـرـهـ النـكـبةـ الـكـبـرـىـ وـالـطـامـةـ الـعـظـمىـ، يـقـولـ:

نسـعـىـ .. كـمـاـ سـعـتـ الـأـسـلـافـ مـنـ قـدـمـ
بـنـاـ السـنـونـ .. فـعـشـنـاـ فـيـ دـجـىـ الـظـالـمـ
لـكـنـاـ أـمـمـ .. تـعـزـىـ إـلـىـ أـمـمـ
إـلـاـ إـذـاـ جـمـعـتـهـاـ سـاعـةـ الـحـرـمـ
رـايـاتـنـا .. حـينـ اـمـسـتـ بـضـعـ رـايـاتـ
تـضـمـ فـيـ ظـلـهـاـ أـسـمـيـ الـحـضـارـاتـ
عـلـىـ مـوـحدـ أـهـدـافـ وـغـايـاتـ
فـيـ ظـلـ بـيـتـكـ يـاـ رـبـ السـمـوـاتـ

رـبـاهـ .. يـاـ خـالـقـ الـأـكـوـانـ نـحـنـ هـنـاـ
لـنـ تـخـتـافـ صـورـةـ عـنـهـمـ وـإـنـ عـبـثـ
وـلـمـ نـعـدـ أـمـمـ .. كـالـأـمـسـ .. وـاحـدـةـ
لـمـ تـجـمـعـ قـطـ .. حـتـىـ فـيـ مـبـادـئـهـاـ
وـتـلـكـ نـكـبـتـاـ الـكـبـرـىـ فـمـاـ اـرـتـفـعـتـ
وـلـمـ تـعـدـ رـايـةـ شـمـاءـ وـاحـدـةـ
وـتـسـتـظـلـ بـهـاـ الـدـنـيـاـ بـأـجـمـعـهـاـ
شـعـارـهـ .. هـدـفـ أـمـسـىـ يـوـحـدـنـاـ

وـأـضـحـ مـنـ خـلـلـ هـذـهـ الـبـيـاتـ غـيـرـةـ الشـاعـرـ الـإـسـلـامـيـةـ عـلـىـ أـمـتـهـ الـتـيـ ذـهـبـتـ
وـحـدـتـهـاـ أـدـرـاجـ الـرـياـحـ، وـقـدـ حـزـ فيـ نـفـسـهـ وـأـحـزـنـهـ هـذـاـ الـوـاقـعـ الـأـلـيمـ وـالـإـنـقـسـامـ الـمـرـبـعـ

(1) الأعمـالـ الشـعـرـيـةـ الـكـامـلـةـ، محمدـ هـاشـمـ رـشـيدـ.

الذي يغتر صفوفها وينخر في جسدها وذلك حين فقدت قوامها ووحدتها وتعدد رأياتها، ولم تعد تلك الأمة المحببة التي كانت ملء السمع والبصر، ولكنه يستبشر خيراً ولو إلى حين وهو يشهد لها هذه الوحدة المعنوية خلال تجمعها في ظلال بيت الله العتيق والذي سيقودها بإذن الله إلى الوحدة الحقيقة الشاملة. وهذا هو الشاعر عبد الرحمن العبادي^(١) الذي يغتنم فرصة نهاية القرن الرابع عشر الهجري ((وينظر إلى المسلمين في الملايين ولكنهم تفرقوا شيئاً وأصبحوا دولاً، وضلوا السبيل وانهوا على الله فهانوا على الناس))^(٢) وهو هنا ينعي على العرب اعتناقهم لمذهب القومية، موضحاً أن العروبة التي لم تعرف العز والرفة إلا بالإسلام إنما هي لحن نشاز وفرع شاذ إن حاولت الإنقسام عن شجرة الإسلام ودوحته الوارفة الظليلة ولم تتمكن بأهدابه وتنطلق من خلاله .. يقول الشاعر:

في عالم اليوم إجلال وإكبار وبات يملكون في الناس خوار سيفاً به هتك للدين أستار ديناً يؤصله في الناس فجار فإن رأى غيره فلتباكيه الدار	ارى الملايين في الأقطار ليس لهم هانوا على الله لما أصبحوا دولاً يا سيد الرسل قد بانت عروبتهم لحن العروبة قد أضحي لمن جهلوها إن العروبة بالإسلام عزّتها
---	--

ولاشك أن هذه الدعوة الصريحة والموقف الصلب الذي يقفه الشاعر من أولئك الذين يعذرون على وتر العروبة ويروجون لوحدتها على أساس القومية العرقية وخارج نطاق الوحدة الإسلامية، له موقف جدير بالبحث والإهتمام إذ ينعي عليهم الشاعر هذا الإتجاه المريب الذي ينفع في عروقه ويوجه ناره قوم مشكوك في هويتهم وصلاحهم، موضحاً لهم أن العروبة لم تعرف قيمتها وعزتها إلا من خلال الإسلام ومن واقع الوحدة الإسلامية المقدسة ومن رأى غير ذلك فموته أفضل من حياته.

(١) ولد في أبوظبي سنة ١٩٥٢ م.

(٢) شعراء الدعوة الإسلامية في الشعر العربي الحديث ج. ٨.

وبنفس مناسبة انتهاء القرن الرابع عشر الهجري، وعندما يطوي خر
صفحة من صفحاته، ويستقبل المسلمون في العالم الإسلامي القرن الخامس عشر
الهجري، ويستقبلون معه ترفة تقليله من المأساة والمصائب، وإثناً جسماً من
التخلف والانقسامات، عندها يلتفت الشعراء إلى الوراء، يجسدون أحداث القرن
المنصرم، ويرسمون المعالم والصور على طريق القرن الجديد.

وهذا هو الشاعر الأديب نجيب الكلاني ينظم قصيدة بعنوان "مرثية القرن
الرابع عشر الهجري" يرثي فيها القرن المنصرم، ويكشف عن وجه الحقائق المؤلمة
التي اكتفت العالم الإسلامي وعملت على عرقلة مسيرة الحضارة والتقدمية،
وحللت دون وحده وانتصاره على نفسه، ويصب فيها أيضاً اللوم على شباب
الإسلام وأبنائه الذين انغمسو في غمار الملاهي والملذات، واعتقو فاسد المذاهب
والمعتقدات، وانجذبوا نحو الفلسفات الغربية عن تقاليدنا ومبادئ ديننا
الحنيف، ثم بعد ذلك ينحي باللائمة الكبرى على أعداء الأمة من المستعمرين
والصهاينة الذين احتلوا أرضنا ودنسوا مقدساتنا وشوهو افكارنا وسبكوا حياتنا سبكاً
جديداً في قالب جديد وروح جديدة من الضياع والهوان.

<p>وتهاوى في دياجير الغلاء نكبات متقلات لخطاه بدد الحب .. وأفراح الحياة مفعم باللذاس قد غامت سماه بلغ الإذلال أقصى منتهاه بعد أن أجهل شجعان الرعاة واستطار العسف في كل اتجاه يجد التاريخ مسؤولاً سواه فلسفات الذل قد أعشت سراه</p>	<p>أيها القرن الذي ضلت رؤاه زمجرت فيه سموم قد طفت ساده عقل شقي تائه هومت أفراده في مهمه أمطرت فهراً وخوفاً وأسى قد أتى الذئب على قطعانا نحن كالأغنام نمضي زمراً جيلاً المشؤوم مسؤولاً ولن خانه التوفيق في تفكيره</p>
--	--

٥

ثم يخاطب القرن مسٹر سلاؤ في الكشف عن المأسى التي عاشتها أمته خلاله

بقوله:

أمة الإسلام تدميها الجراح
تخطئ السير إلى درب الصباح
وهوان ضارب في كل ساح
وضجيئ من هراء ونباح
قد تهاوت بين كاسات وراح

أيها القرن الذي ولى وراح
فلسفات هائمات في الدجى
وشباب سادر في غيره
وتراثي خواء وأسى
والقيادات التي تحكمنا

بعد ذلك يعاتب الشاعر القرن الماضي على هذه الهموم والمصائب التي
تجرعها عالمنا الإسلامي خلاله، ويركز فيها على قضية القدس الشريف واحتلال
الصهاينة لمقدساتنا يقول:

ذبح الحب بأسياf السفاح
فتواعننا مع الغدر الصراح
آذنا الظلم لجأنا للنواح
دمدمات وهاف وصياح
كيف يسمو الفكر في دنيا الوقاح
كل آن والأحاديث الصحاح
ضائع في كل واد يستباح
عثرات وضلal وجراح

أي قرن كنت في تاريخنا
وبنو صهيون غالوا قدسنا
لم نزل نشكوا ونشكوا كلما
رد فعل القهر في أجياننا
أقفر الفكر وغابت شمسه
وكتاب الله يتلى بيننا
غير أن الحق في أوطاننا
تاك يا قرن الأسى فستنا

وأخيراً يقرع الشاعر طبول الإنذار منبهأً أبناء أمته المسئلين للخنوع
والفساد، والقابضين على مهاد الخمول والرقاد، ليستيقوا من هذا الضياع والهوان،
يشهروا سيف العزيمة والنصر ومن ثم الاستعداد لارتفاع قمة المجد في وحدة
إسلامية شاملة حيث القوة والمنعنة والكرامة يقول:

أيها النوام لا تسترسوا
وأرهفوا السمع لذياك الأذان
نحن بالتوحيد أقوى أمة
ومع الإيمان في أسمى مكان

لَا لِلّٰهٗ هُوَ وَحْدَوْنَ وَقِيَانٌ
نَكْبَةٌ مَا لَمْ تَدْعُمْ بِالسَّيْانٍ
مَثُلْ عَصْرِ الْغَابِ أَقْوَى فِي الْبَيْانٍ

إِنَّمَا النَّصْرُ لِشَعْبِ مُؤْمِنٍ
وَالْمُوَاثِيقُ الَّتِي نَصَنَعُهَا
إِنَّمَا السَّيفُ عَلَى أَيَامِنَا

وَهَذَا وَبِهَذِهِ التَّبْرَةِ الْحَادِهِ وَالنَّفَحَاتِ الصَّادِقَةِ، صَاعَ الشَّاعِرُ قَصِيدَتِهِ وَجَدَانًا
مُتَرْجِمًا وَفَنًا مُنْعَمًا، نَسَأَ اللَّهَ أَنْ يَبْارِكَ لَنَا فِي قَرْنَاتِنَا الْخَامِسَ عَشَرَ الْهِجْرِيِّ الْجَدِيدِ
وَيُنَصَّرَ فِيهِ الإِسْلَامُ وَالْمُسْلِمِينَ.

وَكَذَلِكَ لَا يَزَالُ الْبَاحِثُ الْمُسْتَقْرِئُ لِآثَارِ الشَّعَرَاءِ فِي مَثَلِ هَذَا الْمَوْضِوعِ،
وَاجْدَأُ الْمُثِيرُ مِنَ النَّمَادِيجِ الْوَاصِفَةِ لِأَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي اسْتَقَرَتْ فِي الْحَضِيرَةِ،
فَفِي قَصِيدَةِ الشَّاعِرِ مُحَمَّدِ كَامِلِ الْآنِي^(١) بِعنوانِ "عَادَ الرَّبِيعُ"^(٢) وَمُطْلَعُهَا:

بَأَيْ لَفْظٍ أَصْوَغَ الدَّرَ وَالْذَّهَبَا شِعْرًا وَأَسْبَكَ مِنْ آيَاتِهِ عَجَبا

يَرْسِمُ الشَّاعِرُ صُورَةً وَاقْعِيَّةً لِأَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ الْمُعَاصرَةِ، وَيَجْسُدُ حَالَةً غَرَقَ
إِنْسَانَهُ فِي حَمَأَةِ الْأَوْهَامِ وَالْتَّقَالِيدِ الْجَاهِلِيَّةِ، ثُمَّ يَحْذِرُهُ مِنَ الْابْتِعَادِ عَنِ سُنُنِ الْإِسْلَامِ
وَفَطْرَتِهِ الْأَسَاسِيَّةِ وَالْاِغْتِرَابِ عَنِهِ بِحِيثِ يَصْبِعُ مَسْخًا لَا وزَنَ لَهُ وَلَا قِيمَةُ، وَلِنَ
يَجْدِيَهُ بَعْدَهَا الْإِفْتَخَارُ بِمَاضِيهِ التَّلِيدِ وَأَسْلَافِهِ الصَّيْدِ، وَسُوفَ لَا يَنْفَعُهُ النَّدَمُ حِينَ لَاتَّ
مَنْدَمٌ ... يَقُولُ الشَّاعِرُ:

حَذَارُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْسَامَ مُغْتَرِبَا
فَيَسْتَسْعِيَ ضَلَالَاتٍ وَيَنْقَلِبَا
حَتَّى تَحُولَ طِينًا بِالْهُوَى لِزَبَّا
وَعَادَ يَلْهُثُ خَلْفَ الْوَهْمِ مُضْطَرِبَا
عَنِ الْخَلَافَةِ عَنِ آبَائِهِ النَّجَبَا

عَادَ الرَّبِيعُ وَفِي أَذِيَالِهِ نَذَرَ
حَذَارٌ أَنْ يَمْسِخَ إِلَيْسَامَ فَطْرَتِهِ
أَجْلٌ لَقَدْ غَرَقَ إِنْسَانٌ فِي حَمَأَ
أَضَاعَ مَجْدًا تَلِيدًا كَانَ مُؤْلَقاً
مَضِيَ يَفْتَشُ عَنِ أَهْلِ وَطَنِ

(١) شاعر ارتيري معاصر.

(٢) محمد كامل الآني، من الشعر الإسلامي الحديث صـ ٢٦٧

رأى هياكل قد زالت ملامحها
وموطناً قد أضاع الإسم واللقبا
فعاد يرثي حياة لا ظلال لها
يبكي لها رهباً يأسى لها رغباً

وأمام هذا الواقع الأليم الذي انحدر إليه إنسان هذا العصر يعود الشاعر مرة ثانية فيركز على الصورة التي رسمها للأمة الإسلامية وكيف عمها الشتات والانقسام، وسلط عليها الأعداء وغرق أبناؤها في منازعات لا أول لها ولا آخر حتى اضطربت الأمور وتشعبت الأحوال فانعدم شأنها وضعف حالها وانحدرت إلى الحضيض حيث يقول:

ذلاً وفرقها الأعداء أيد سبا
ولمة كغشاء السيل جائحة
دب الشقاوة وسأء الوقع منقلبا
صارت شرذاماً شتى لا سراة لهم

ولإزاء هذا الوضع القائم لا يسع الشاعر إلا أن يتوجه بالنداء إلى أبناء الأمة الإسلامية لتخطي هذه الأزمة العارضة والعودة إلى منابع الدين الصافية وشرعيته الغراء، ليعود لهم شأنهم وترجع إليهم كرامتهم فيقول:

هل عودة يا بني الإسلام صادقة
 تعالج الداء فيما تدفع العطبا
وفي هذا البيت الذي ختم به الشاعر قصيده تتجسد قصيده، وتتلخص كل
الحلول الكفيلة بعلاج أدواتنا وإنهاء مشاكلنا.

للشاعر عمر بهاء الدين الأميركي^(١) عدداً من القصائد والمقطوعات الشعرية التي تصور مأساة المسلمين وواقعهم الأليم أبلغ تصوير، فهو قد بذل حياته رحمة الله وهو يناقح ويدافع عن حقوق المسلمين والنفح في أرواحهم ونفوسهم لجمع الشمل وتوحيد الكلمة، والعودة إلى منابع الدين الحنيف وسننته المطهرة.

(١) عمر بهاء الدين الأميركي.

ففي قصيدة "أذان الزحف"^(١) يقدم الشاعر لقصيده بقوله ((بلاد العروبة والإسلام في أمر مريج وأحداث جسام، سلط على بعض أوطانها متحكمون يأمرؤن بالمنكر وينهون عن المعروف، ساقوا شعوبها إلى المهاك الليلاء والفتنه الهاوجاء، أشعلوا بينها حرباً ضرورياً تقاد تستأصل الرجال والأمال والمال ..، والأعداء الألداء يؤججون النار والدمار .. ويُسخرون منا ويُشمتون ونحن لا هون وإنما الله راجعون))^(٢) ... يقول الشاعر:

"يا لدار الإسلام"^(٣) قد مزقوها
 فهي دور وعز من يحميها^(٤)
 كل يوم فيها انقلاب وحكم
 عسكري يزيدها تشويها
 ويجر الشعوب للهول جراً - وهي عزلاء - حاكم يشقها

وهكذا فإن الشاعر هنا ينذر "دولة الخلافة الإسلامية" التي مزقها الطامعون إلى دولات يتعرض الكثير منها وفي كل وقت وحين إلى انقلابات عسكرية تزيدها ضعفاً وهواناً، وتلقي بمصائر شعوبها العزل في مهاوي التعasseة والشقاء.

بعد ذلك يجتهد الشاعر في تحريك العاطفة الدينية في نفوس المسلمين، فهو يدعو شباب الإسلام. وهم أمل هذه الأمة بعد الله سبحانه وتعالى في إنقاذهما من شبح الأخطار والشرور المحيطة بهم، موجهاً إياهم للاستمساك بجوهر العلم والمعرفة، وتطبيق شرع الله القويم، وأن ينهلوا من منابع القرآن الكريم التي هي غذاء أرواحنا وشفاء أدوائنا، ثم ينصحه بالتصدي والاستعداد لاستلام دفة الحكم وقيادة المسلمين على أسس من الشورى والعدل والرشاد حيث يقول:

يا شباب الإسلام أمتا في خطر الموت أين من يشفها
 فتبّع لها بدينك علماء ومضاء واسلك هدى باريها

(١) ديوان أذان الزحف ص ١٢٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) هي دولة الخلافة.

(٤) عز : قل وندر.

ليس إلا "القرآن" بادر إليها
بعلاج من آية يحييها
وسلم سفينها بسداد
ورشاد فذ وكن مجريها
وأخيراً وبعد أن يصف الشاعر الدواء الناجع لشباب هذه الأمة ويرسم لهم
الطريق المستقيم، ومن ثم النهوض بها إلى مرافق العز والفلاح، يعود فيليب
بالمسلمين ويستهض همهم، ويشد عزائمهم، لمبادرة ومباغة أعداء الأمة بالجهاد
والزحف المقدس الذي آن أو انه لإنقاذ أمتنا من كل ما يكتفها من أخطارهم
وأطماعهم وشروطهم فيقول:

يا شباب الإسلام حم أذان الزحف شمر للوثبة القعسـاء
جاوز الأرض للسماء لكي تستوعب الأرض يا نجيد السماء

لا يخفى على القارئ ما في هذه الأبيات من دعوات صادقة ونوایا حسنة
تحض الإسلام والمسلمين، وترسم لهم دروب الكرامة والمجد والتعلق بأهداب
القرآن الكريم، والدعوة إلى الجهاد ووحدة الصف، وكل ذلك جاء بأسلوب رشيق
وعاطفة صادقة وصور رنانة مترفة.

وعلى نفس المنهج الذي نهجه الشعراء فيما سبق من هذا الفصل الذي يوضح
الأثار والنتائج الناجمة عن سقوط القدس وفلسطين وغيرها من بلاد المسلمين في يد
الأعداء، والتي ما كانت لتترجم في حياة المسلمين لو لا تفرق كلمتهم وانقسام صفوفهم
حتى هان شأنهم على أعدائهم فنفروا إليهم وعاثوا فيهم دماراً وإفساداً.

من هذه النماذج الشعرية قصيدة للشاعر يوسف العظم^(١) بعنوان "باسم
الشعب ولا يدرى"^(٢) قدم لها بقوله:

((إلى كل الذين يزعمون انهم يتحركون من أجل الشعب .. وهم سبب
شقائه وسر بلائه!))

(١) يوسف العظم - شاعر أردني معاصر، صاحب مدارس الأقصى.

(٢) ديوان في رحاب الأقصى ص ٢٠١.

إلى الجلادين الذين أذقوا الأمة ألواناً من المذلة وجرعواها كؤوساً
من الهوان!

إلى المهرجين عبر الأثير .. المتاجرين بكرامة القلم!
إلى المعذبين الذين لاقوا على أيدي الطغاة ما لم يلاقوا على أيدي الغاصبين!
أبعث هذه الصيحة في وادي الهزيمة .. وتيه الضياع !!!) ثم قال:

ورثت في رحاب الخير آيات
الله غابتنا الرحمن .. لا الالات
فجاء هادينا بالعدل مشكاة
والبيوم تحكمنا ظلماً: دوبلات

كم أشرقت في سماء المجد رايات
وكان رائداً .. يحدو مسيرتنا
وكانت الأرض بالطغيان مظلمة
ودولة الحق بالإسلام تحكمنا

وبانقسام دولة الإسلام الواحدة إلى دوبلات متعددة، يبدأ الخط البياني لمسيرة
الأوضاع الإسلامية بالانحراف والهبوط إلى ما لانهاية، وأصبح العالم الإسلامي
لعبة للأهواء والمنازعات، وخلت الساحة إلا من البدع والضلالات فيقول:

والعمر رغم امتداد العمر ساعات
وشرعة الخصم تلمود وتوراة
ونحن عدتنا الكبرى قرارات
وشعبنا رغم نور الحق أشتات
والشعب حار وما للشعب منجا
ودربه ضل قد دكته مأساة
والكأس والجنس مسلة وملهاة
وفي الكوارث تطويينا متأهات
وهل يحرر أقصانا شعارات
وفي اليسار لنا بؤس وويلاط
فهل يحرر أرض القدس أموات

يمضي بنا العمر في لهو وفي عبث
وشرعية الله في القرآن نهجرها
وعدة الخصم صاروخ وطائرة
عدونا وحدوا .. أشتات باطله
سفينة الشعب ضلت لا شراع لها
وجيلنا ضاع .. في تيه يمزقه
الجهل والفقر والطغيان يسحقه
في كل يوم متأهات تضيعنا
شعارنا الحرب والتحرير نرفعه
كان التيمين لنا ذلاً يمزقنا
وقاده الشعب ألموات بلا كفن

وبعد هذا التصوير الحسي الدقيق لما سي المسلمين وانحرافهم الشائن في متأهات ودهاليز الشرق والغرب المظلمة، ورسم لوحة قائمة لقياداته والمنفذين له، يخلص الشاعر إلى إطلاق حكمة تصف النتيجة المرتقبة لأعدائه والمتاجرين فيه إذ يقول:

من يزرع اليوم شرًا فالحصاد غدًا
إذ أن الجزاء من جنس العمل، وربك يمهد ولا يهمل، وهذه سنة الله في الكون.

وفي قصيدة "ضلال وخبال"^(١) للشاعر العظم التي كانت زفراة حسرة وأسى، وكان قد كتب بعض أبياتها عند قبر سيدنا حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عند جبل أحد بالمدينة المنورة ثم تتبعها البقية بعد ذلك حتى كانت هذه الزفرات الغاضبة الحزينة^(٢) يقول الشاعر :

وحطمنا بلاوعي نباله	كسرنا قوس حمزة عن جهالة
وشردنا الطغاة ولا عدالة	فمزقنا العدو ولا جهاد
وبات رعاتها في شر حالة	وباتت أمّة الإسلام حيرى
ويعبث في مرابعه حثالة	وأقصاناً يدنسه يهود
وأولى أن نشد لنه رحاله	نشد رحالنا شرقاً وغرباً
وسفاح يسن له نصاله	وراعي الشعب سجان غشوم
يطارد في حصارته الأصالة	ويرتع في مرابعنا دخيل
نذوق المر أو نجني وباله	مضغنا قلب حمزة وانتشينا
ويرعاها عميل لا أباله	مؤامرة يديرها يهود

(١)ديوان في رحاب الأقصى .

(٢)من مقدمة الشاعر على القصيدة.

وكذلك من قصيدة "أمس واليوم"^(١) لنفس الشاعر والتي يقارن فيها بين ماضي المسلمين المشرق بالنور والإيمان، وبين حاضرهم المعتم التعيس الذي استبيحت فيه الديار وساد فيه الذل والعار، حيث نظم هذه القصيدة عندما سرى إلى أذنيه أذان المسجد الأقصى عبر الأثير فحرك وجده و كانت هذه القصيدة من وحي الأذان ...

يقول:

يتغنى به الأباء الصبر
حين يصحو إلى الأذان الوجود
وإذا الثرى في المعامع عود
يرسل "اللحن" فاجر عربيد
وإذا اليوم في حمانا اليهود
وتلاشى من راحلينا الحديد
وسلاح الحكم فينا وعود

كان لحن الحياة فينا أذاناً
يماؤن الوجود برأ ونوراً
وإذا اللحن صيحة من رقىع
فغدت أمتي مع اللحن سكرى
كان أمس الأباء مشرق فجر
فأذل العدو منا جباهَا
واسْتَبِحَتْ ديارنا العدو

وسوف يطول بنا المقام إذا ما رحنا نستعرض قصائد الشاعر الإسلامي الملترم الأستاذ يوسف العظم، الذي وقف قلمه وحياته في سبيل الدفاع عن قضايا الأمة الإسلامية، والتصدي لمن يحاول النيل منها أو تشويه حفائتها، ولكن يكفي هذا القدر المعتبر من الأبيات الجريئة التي تطفح بالصدق وقوة العاطفة، ويكتفي أنها صادرة من شاعر ملتزم بمبادئ الإسلام وتعاليمه في حياته وسلوكه وأدبه.

وفي قصيدة باللغة الحزن شديدة التأثير ، وكأنها جاعت اسم على مسمى، وهي قصيدة "أشجان الإسلام"^(٢) للشاعر صالح عبد الله الجيتاوي^(٣) والتي نظمها سنة ١٩٨٢م واستعرض فيها أشجان الإسلام وماسي المسلمين، ورثى فيها دولة الإسلام

(١) في رحاب الأقصى ص ١٨٩ .

(٢) ديوان صدى الصحراء / صالح عبد الله الجيتاوي .

(٣) شاعر اردني معاصر

التي سقطت وانطمست آثارها، وتقسمت ديارها، وتعددت أقطارها، فسادها
الضعف، واعتراها الهوان وعمها الظلم وشاع فيها الفساد، فتكالبت عليها الأمم،
وسلط على مقدراتها الأعداء، ورمواها بأبشع وسائل النهب والقهر والاستعمار ...
يقول الشاعر:

طفت على القلب آلام وأحزان
أركانها وانبرت للكفر أركان
خلال قمقة الأعداء تبيان
رائياته وبريد الغريب غربان
سجن به من صنوف القهـر ألوان
في الشرق والغرب مرفوع لها شان
خلف السراب .. ولم يتـل ظمان
أدرـك ما دبـروا فيـنا وما زـانـوا
لبـوس عـرقـة والـكـفـر أـلوـانـ
ـكـلـ قـطـرـ لـهـ فـلـاـكـ وـرـبـانـ
ـكـنـائـهـ أـفـقـهـ بـيـدـ وـكـثـبـانـ
ـجـيـبـهاـ بـعـوـيـلـ الشـكـلـ تـطـوانـ
ـلـإخـوةـ لـرـضـىـ الـأـبـقـارـ مـاـ دـانـواـ
ـفـيـ وـصـفـ أـهـوـالـ مـاـ يـلـقـاهـ (ـأـفـغانـ)
ـمـنـ (ـالـأـحـابـيـشـ) بـتـارـ وـطـعـانـ
ـيـزـجيـ لـهـ الـأـهـلـ (ـشـارـونـ) (ـوـديـانـ)
ـتـمـضـيـ هـبـاءـ فـمـاـ فـيـ الـقـوـمـ مـنـ كـانـواـ
ـمـجازـرـاـ مـاـ لـهـ قـاضـ وـمـيزـانـ
ـيـكـسـوـ جـوـهـمـ بـؤـسـ وـحرـمانـ
ـوـالـدـاءـ يـقـاتـهـمـ ..ـ وـالـرـدـ اـذـعـانـ

وبعد هذه الجولة المأساوية التي استعرض فيها الشاعر أحوال المسلمين المؤلمة ورسم أشجانهم البائسة التي يكاد أن ينفطر لها قلب الإنسان السوي، فكيف بالمسلم الغير، بعد ذلك يلتقي الشاعر، فيخاطب أمنه وبأسلوب استعجمي مباشر باحثاً ومتطلعاً إلى اللحظة التي تتخلص فيها من الأسى القاتل والذل القائم الذي ترزح تحته وتقلسي مرارته والذي لا يكون إلى برّك الباطل ومجانبة أهله، والعودة إلى دين الله السليم ومنهجه القويم، متذكرة العبرة من تاريخنا العتيد وماضينا المجيد دليلاً ومرشدًا إلى حاضرنا ومستقبلنا، يقول:

يا أمتي .. هل لهذا الليل آخرة وهل لهذا الأسى والذل فرقان؟
 عودي إلى الله عوداً مخلصاً ودعبي موارد الكفر إن الكفر خسران
 ومحضي الدرس من تاريخنا تجدي (العز ما كان إلا كسان إيمان)

والباحث المتأمل في البيت الأخير، وباستقراء تاريخنا الإسلامي وسبر أغواره يستطيع أن يؤكد أن أمتنا الإسلامية لم يقو على اقتحامها عدو أو النيل منها والسيطرة عليها أحد ما كانت مسلحة بسلاح الإيمان والوحدة، وأنه لم ينفذ عليها أعداؤها إلا عندما تخلت عن هذه الأسلحة وجرت في ساحات الإلحاد والتمزق والشتات، وقياساً على ذلك فلن تسترد هذه الأمة هويتها إلا بالعودة إلى ساح إيمانها وقلعة وحدتها وإنما لمنتظرون.

وهذه نغمة إسلامية جديدة للشاعر محمد مصطفى حمام^(١) الذي نظم قصيدة بعنوان "يا رب"^(٢) يتوجه بها إلى الله سبحانه وتعالى شاكياً أحوال المسلمين وما انتابهم من المحن والمصائب، وما اعترافهم من دواعي التفرقة والانقسام، حتى تکالبت عليهم الأمم وكثير الأعداء فسيطرلوا على مقدراتهم وتحكموا في أموالهم وأحوالهم .. يقول الشاعر:

(١) شاعر مصرى معاصر.

(٢) ديوان حمام.

يَا مَن يُجِيبُ التَّائِبِينَ دُعَاكَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ وَدِينُهُمْ فِي مَحْنَةٍ
وَأَرَاهُمْ مُتَفَرِّقِينَ كَأَنَّهُمْ
وَأَرَاهُمْ قَدْ مَكَنُوا لِلْعُدُوِّ هُمْ
صَالُ الْعُدُوِّ عَلَيْهِمْ مَتَجْبِرًا

وكما ترى فإن الشاعر هنا وهو يتوجه بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى لم يقتصر الدعاء على نفسه وهمومه الشخصية، بل تعدى ذلك إلى جماعة المسلمين وهو مهومهم وما طرأ عليهم من سوء المال وتبدل الأحوال، ونراه في خاتمة القصيدة يكرر التوجة بالدعاء إلى المولى عز وجل، بأن يلزم المسلمين الهدى وطريق الصواب ويمن عليهم بالخلاص والنجاة من كل المآسي والمصائب التي تعترض سبيلهم، حيث يقول:

يا رب ألمينا صراطك تصرف عنا مأسى يومنا ووباله
وأعتقد أن الشاعر وهو يتوجه بالدعاء إلى الله العلي القدير في أن ينقذ هذه
الأمة مما هي فيه من سوء الأحوال، وقلة الشأن إنما كان قد قطع الأمل وقد
الرجاء في مقدرتها على الوحدة والانتصار على النفس والخروج من المزalcon
والعقبات التي تمر بها؛ لهذا نراه يرفع يديه إلى السماء ويستعين بالله العلي القدير
في أن يهدي هذا الأمة ويقيلها من عثرتها، ويلم شعثها ويوحد كلمتها وصفوفها.

ويسطر الشاعر الشيخ محمد المجنوب^(١) قصيدة مؤثرة سنة ١٤٠٢هـ حول هذا الموضوع الذي يجسد آثار سقوط الخلافة الإسلامية، بعنوان "جراح الإسلام"^(٢) ومطلعها:

قد أبْت مقالاي إلا جمودا "فائقسا من ملامتي أو فزيدا"

(١) محمد المذوب : شاعر سعودي معاصر - عمل مدرساً بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

(٢) دیوان آلام وأحلام ص ۱۰۰.

صور فيها من واقع المشاهدة ما تقاسيه هذه الأمة الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها من ويلات ونكبات وجرحات تأبه المشاعر وتوجع النفس وتدمي القلب، وبرغم ذلك تأبى العين إلا جموداً، فيتصدى لها بقلمه وبيانه، وهو الشاعر الذي نذر حياته يدافع عن المسلمين وينافح عن قضياتهم، يقول:

ت تنهوى ليس العقوق الوحيدة
ف الماسي لمن أراد شهودا
جرح الإسلام ثرأً جديدا
ت بأحداثها الجسم الوجود
م أعاجيب قد شبب الوليدا
بأبعادها الحليم الرشيدا
ولم يسع لها تحديدا

تركنا القدس تستغيث وبiero
(فبنـ سـايـلـانـدـ) (وـالـفـالـبـيرـنـ) آلا
وبتركية الشقيقة ما ينـاكـ
وضحايا الإلحاد في (مقديشو) هـزـ
وبصحراء مغرب العرب الـيـوـ
محـنـ تـضـحـكـ الغـوـيـ وـتـبـكـيـ
لو مـضـيـنـاـ فـيـ سـرـدـهـاـ عـجـ العـقـلـ

وكيف يتم تحديد مآسي المسلمين وحصارها وقد أصبحوا مطية لمن هب ودب، يرتع في خيراتهم، وينهب ثرواتهم، ويسلط عليهم، بينما حكامهم مشغولون بالخلافات والمناوشات الشخصية التي تزيدهم تمزيقاً وشتاناً رغم تمزقهم وشباتهم، وهم وحدهم الذين يتحملون مسؤولية هذا التمزق والهوان فيقول:

شغلو بالخلاف والخصم يقطا
ن لتمزيقهم يعد الحشا ودا
هل دروا أن كل غزو على الإسلام
م منهم قد استمد الوقودا
بيد أن الشاعر وهو المعايش لقضايا أمته والمعاصر لأحداثها، يعتبر أن
الضربة القاضية والمصيبة الكبرى التي أصابت الإسلام وأثرت في وحدته وكيانه
هي تلك الطعنة الخائنة التي رمى بها (الدوني) ربب الغرب ويهد الدونمة:
مصطفى كمال في قلب الأمة الإسلامية ممثلة في الخلافة العثمانية، التي أطاحت

(١) تناهوی : تسقط.

بهذه الخلافة، فانفرط عقدها، وانشعبت حبال الود والصلات الطيبة فيما بينها
وفتحت صفحة جديدة في دنيا الصراع والمناوشات ... فيقول:

طعنة (الدونمي) في قلبها البو
إلى الآن لم تجد تضميدا
حطمت دولة الخلافة فأثبتت
إخاءً كان الرباط السعيدا
فغدonna من يومها في صراع
ليس يألو في عقدنا تبدیدا

وهكذا تتضح أهمية الحفاظ على وحدة المسلمين، وعدم السماح للمارقين
والعابثين في فصم عرى هذه الوحدة والمساس بها؛ لأن أي غلطة من هذا النوع
تجرّ وراءها أغلطاً ومشاكل لا عذر لها ولا حصر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي قصيدة للشاعر الدكتور عدنان علي رضا النحوي^(١) بعنوان "ملحمة
القسطنطينية"^(٢) التي وقف بها على مدينة اسطنبول سنة ١٤٠٦هـ وأودع فيها
الكثير من الذكريات والانطباعات التي شاهدها في دار الخلافة السابقة، وذكر فيها
أمجاد الخلافة وماضيها المجيد، ثم يخلص أخيراً إلى وصف أحوال المسلمين
البائسة، حيث رأوه وألقى خاطره أن القدس وفلسطين أرض القداسات ما زالت تئن
تحت نير الاحتلال الصهيوني الغاشم، وأن المسجد الأقصى الشريف ما فتئ كذلك
يقبع تحت الأسر، وساعده جداً أن ساحاته قد أصبحت ملعباً للسواح ومسرحاً للعابثين
واللاهين.

يقول الشاعر وهو يوجه الخطاب إلى روابي مدينة استانبول:

داراً وأهلاً وحبلًا شد من عصب
كل جار نقى العهد محتب
أطياب ريحك في مستنقع خرب
ساحاً لکل دم الله من سرب
تلفتي يا ربى استانبول واذكري
هلا نظرت إلى الأقصى ولفته
ما بالك اليوم حولت الهوى وجوت
هذى فلسطين ما زالت مرابعها

(١) عدنان علي رضا النحوي.

(٢) ديوان : ملحمة القسطنطينية.

هذا الجهاد فمن يصدقه قام له
يا ويح نفسي والأقصى منازله
ومد للخاد من درب ومن سبب
أضحت منازل من لهو ومن لعب

ويلاحظ هنا أن الشاعر وهو يربط بين ذكرياته في مدينة استمبول وما سبق ذلك من سقوط الخلافة العثمانية، ثم ما تبع ذلك من تحول أنظار تركيا جهة الغرب من جهة، وبين احتلال فلسطين من جهة أخرى؛ ليؤكد على أن هذا الحدث يعتبر من أعظم وأخطر آثار ونتائج سقوط الخلافة الإسلامية، تلك الخلافة التي ظلت محفوظة بتراب فلسطين طيلة تاريخها الطويل، ولم تفرط بشبر واحد من أرضها المقدسة، كذلك نلاحظ أن الشاعر في هذه الأبيات تطرق إلى ذكر الجهاد، ونوه على أن الجهاد في سبيل الله، واسترداد فلسطين المحظلة من المغتصبين هو الصادق الذي يقود صاحبه إلى جنات الخلود، وذلك مصداقاً لقوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (إذا احتل شبر من أرض المسلمين كان الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة).

ومن الشعراء الذين ذكروا أسباب سقوط الخلافة الإسلامية في قصائدهم وذلك بصورة غير مباشرة الشاعر محمد مصطفى البلخي^(١) الذي استغل مناسبة "وقفة يوم عرفة" وهو يرى جموع المسلمين يقفون أمامه على صعيد واحد وقد وفدو من كل حدب وصوب، فلم يجد أنساب من هذه الفرصة ليبيثهم عواطفه وحرارة مشاعره؛ ولنعبر بلسان الأمة الإسلامية بما يجيش في صدره مما تقاسيه هذه الأمة من أسباب الشتات وعناصر التفرقة؛ نتيجة ما رماها به أعداؤها من وسائل الغدر والخيانة حتى سقطت ((خلافتها الإسلامية وسقطت بسقوطها) مدينة القدس الشريف والمسجد الأقصى المبارك، واغتصبت فلسطين، ومناطق أخرى حول فلسطين، وتخلذ المسلمون وتفرقوا شيئاً متباعدة ودولًا متاخرة، وتخلو عن

(١) محمد مصطفى البلخي / شاعر معاصر.

تطبيق شرع الله إلى ممارسة القوانين الوضيعة الجائرة والمبادئ الفاسدة ... يقول الشاعر من قصيدة بعنوان "من وحي يوم عرفة"^(١) ومطلعها:

يا واقفين اليوم في عرفات
متشوقين لأكرم الفحات
يا إخوتي في الله يا أخواتي
طبتم مقاماً في رحاب طاهر
ثم يدخل في صميم الموضوع الذي قصده ونوهنا عنه آنفاً فيقول:

يا اخوتي في الله في قلبي آسى
بلسان أمّتـا أبـثـ شـكـاتـي
فـتـمزـقـتـ جـهـلـاـ إـلـىـ أـشـتـاتـ
أـنـتـالـتـ الأـيـامـ بـالـنكـباتـ
سـقطـتـ خـلـافـتـهاـ فـضـاعـتـ قدـسـهاـ
قطـعواـ حـبـالـ الدـيـنـ فـيـمـاـ بـيـنـنـاـ
حتـىـ غـدـتـ لـكـفـرـ طـعـماـ سـائـغاـ

ولكي تكتمل الصورة فإن الشاعر المسلم الملزّم، وكما ذكرنا في أكثر من وضع في الدراسة، لا يستطيع في مثل هذا الموقف أن يكتفي بعرض المشكلات والحوادث التي تعرّض سبيل المسلمين وحياتهم وظروفهم دون أن يسهم في إسداء النصيحة لهم، أو المشاركة في إيجاد الحلول التي يراها مناسبة لهم، دون أن يخرجه ذلك مندائرة الفنية للشعر، كاعتباره - مثلاً - نوعاً من المواعظ التقريرية أو النصائح المكرورة، وهذه هي بالضبط وظيفة الشعر الملزّم الهاّدف الذي لا يعترف بمقولة الفن من أجل الفن، وهذا ما فعله الشاعر البلخي إذ يقول:

أبناء هذا الدين لمواشمكم
وأنا أبشركم بنصر آت
 فأواصر الإيمان خير صلات
 قد ذاب في يوم على عرفات
 والله يا إخوان .. صنع عداتي
 عودوا إلى دين يوحد بيننا
 إن اختلاف عروقكم ولغاتكم
 هذی الحواجز بین کل بلادنا

(١) ديوان قنديل السعادة / محمد مصطفى البلخي.

وباعتقادي ليس أبلغ من هذه النصائح التي صاغها الشاعر في قالب شعري متين السبك، جزل الألفاظ، حافل بالصور البينية الرفيعة، ووصلت إلى المتلقي بكل سهولة ويسر وأثرت فيه بكل وضوح بدون غموض أو التواء، وهذه هي صفة الشعر الممتع والمفيد.

وإزاء هذه الأوضاع المأساوية التي تعيشها أمتنا الإسلامية، يبلغ الأسى مداه والحزن مبلغه عند الشاعر عبد الرحمن صالح العشماوي^(١) الذي طاف بناء في رحلة شعرية شاملة وحلق في آفاق فنية رحبة مستعرضًا فيها أوضاع وجروح أمتنا الإسلامية النازفة التي تشعر لها الجوارح، ويندی لها الجبين.

ففي قصيته "لا تسألو عن أمري" ^(٢) والتي استهلها متعجبًا من تماسكه ورباطة جأسه أمام هذه الأوضاع ، ثم من نقوص هذه الأمة وعدم ثورتها على مثل أوضاعها الراهنة حيث يقول:

عجا لقابك كيف لا ينفطر
عجا لعينك كيف لا تبكي دما
عجا لقومك يخضون رؤوسهم
عجا لأمتك التي لا ترعوي

وأسود حزنك في فؤادك تزار
والحق يسلب والكرامة تهدر
والذل فوق رؤوسهم ينبعثر
عن غيرها وكأنها لا تشعر

بعد ذلك يتحول الشاعر إلى تجسيد جراحات هذه الأمة الراعفة، وإلى رسم صورة حية لمارسياها وهزائمها المتكررة أمام أعدائها الذين فرضوا أنفسهم عليها، فعاثوا فيها فسادا واستولوا على خيراتها، وبثوا سموهم وأفكارهم الخبيثة، وجربوا عليهم أسلحتهم الحسية والمعنوية، كل هذه المأساة، والأمة قابعة مستسلمة بحيث لا حس ولا حراك ... يقول:

لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَمْتَى وَجْرَاحَهَا إِنَّ الْبَغَاثَ يَأْرِضُهَا يَسْتَسْرِرُ

(١) عبد الرحمن صالح العشماوي / شاعر سعودي معاصر له عدة دواوين شعرية.

(٢) دیوان یا اُمّة الاسلام.

خوفا، ويختال الظلام ويفخر
فمبادئ تنسى وأخرى تشهر
فيها ويغفل عن حماها العشر
غرب إياحي وشرق أحمر
وغدت على نخب المبادئ تسكر
بحرا ولا هي في الشواطئ تظهر
وبلادنا بخلافها تتاخر

في أرضها المعطاء يخْلُع الضحى
يجبى إليها الفكر سما قاتلا
ويجرب الأعداء شر سلاحهم
يتقاسم الأرض الضلال وأهله
وبلادنا هجرت مبادئ دينها
تاهمت سفائنها فما خاضت بها
سار الزمان إلى الأمام وأهله

بعد هذا التصوير الرائع لأوضاع المسلمين وماسيهم، يتسائل الشاعر
مستغرباً ومستهجناً من هؤلاء المسلمين، وهذا التمزق والتقطاع الذي يسود صفوفهم
ويقطع أرحامهم، والذي يقابل في الوقت نفسه التهافت على الغرب والترامي على
أقدامه، والاغتراف من أفكاره ومبادئه الفاسدة، وفي ذلك منه الاستغراب
والاستهجان حيث يقول:

ما بال قومي قطعوا أرحامهم
وتقربوا للمعتدين وأصهروا
منحوا يد الإلحاد حل عقولهم جهلاً

وأمام هذا الوضع المستغرب، يمد الشاعر يده، ويرفع صوته محذراً وموجاً
أبناء أمهه وإخوانه للالتزام بمبادئ ديننا الإسلامي، والاغتراف من نهر عقيدته
ومبادئه الصافية، حيث يطيب المقام ويصفو الوئام فيقول:

يجري وقد شكت الجفاف الأنهر
طرباً يحيط بها البساط الأخضر
وعلى مرافقه يطيب المنظر

يا إخوة الإيمان نهر عقيدتي
نهر روافده تصفق للنسمى
نهر من الإسلام يبدأ نبعه

يتضح من هذه الأبيات المليئة بالصور الرائعة والخيال الخصب، أنها تحمل
في ثناياها هموماً كبيرة وأشجاناً عظيمة أثقلت كاهل الشاعر الذي حاول فيها أن
يلمح أكثر مما يصرح، حيث ما زال في جعبته الكثير من مأسى وجراح هذه الأمة

النازفة، والتي لا يدملها إلا العودة إلى الإسلام، وتطبيق ما جاء في دين الإسلام الذي يحث على الأخوة والوحدة والحياة الحرة الكريمة.

وفي نص يحرك المشاعر ويهز العواطف والوجدان، نظم الشاعر يوسف إبراهيم سنة ١٩٩١م قصيدة بعنوان "الكوكب الآخر"^(١) وقد تضمنت الكثير من المعاني والعواطف الإسلامية المتجهة التي تستثير الوجدان وتلتهب الأحاسيس حيث استهلها برسم صورة زاهية للخلافة الإسلامية الغابرة^(٢) وذلك قبل أن يبكيها بكاء مرا ويرثيها رثاء شديداً^(٣) ثم يبين أسباب سقوط هذه الخلافة وما اعترض ذلك من مقدمات وملابسات^(٤)، وقد ذكرنا ذلك في الفصول السابقة وبعد ذلك يستعرض الشاعر نتائج سقوط الخلافة وأثر ذلك على الأمة الإسلامية جماء، وقد عقد عدة مقارنات تبين كيف كان حال المسلمين إبان الخلافة، ثم ما طرأ عليه بعد السقوط، ذاكراً أن النور صار ظلاماً، والطبيعة الفاتنة الغناء أضحت قفراً ويباباً، والحسون الشامخة بالعز والسؤدد أصبحت سجونة للشرفاء وقيوداً للأحرار، إلى غير ذلك من التحولات والتغييرات التي تفنن الشاعر في توظيفها بمهارة فائقة وعرضها عرضاً فنياً مميزاً حيث يقول:

حتى هوى صرح الخلافة فاستحال الفجر ليلاً واستحال النصر خسراً
ورياضن جنات تفيأنا الظلال بها فعاد الظل قفراً
وكنوز أمجاد من التاريخ قد أضحت من الأمجاد صفراً
وهناءة ميسوطة النعماء عاد نعيمها الريان في الأجياف جمراً
ونمير نبع دافق السلسال عاد شرابه المعسول في الأفواه مراً
وحصون أمن شادها الإسلام صار الأمن في أكنافهم سجناً وقهرها

(١) مجلة الوعي / رمضان ١٤١٠ هـ.

(٢) انظر الفصل الثاني ص.

(٣) انظر الفصل الأول ص.

(٤) انظر الفصل الرابع.

بعد ذلك يتحول الشاعر إلى مخاطبة الأمة الإسلامية التي استسلمت للسبات وأخلدت للدعة الخمول، وغرقت في متاهات الملاهي والمساخر، حتى فقدت أهم مميزاتها وأعظم مقدراتها ومقوماتها، والتي استطاعت بها أن تقود الدنيا عدة قرون فيقول:

يا أمة نامت على ذل مخدرة وطال بها الرقاد
واستسلمت للفيد خانعة، وما ثارت على ذل الفيد
تستعبد الأحلام لاهية فيغرقها صريخ اللهو في ليل مديد
وتسير واهية الخطأ والأرض تحت مسيرها المكروه مائحة تميد
ونظن أن العيش جنات تزخرف وهي تدفن في اللحود
وسلامتها فقد المصاء ولم يعد في ساحة الميدان ذا بأس شديد
والمبداً الأعلى يكاد الكفر أن يغتال سؤده المجيد
وكتابها كانت كثائبها بأي الذكر تجذاز الحواجز والسدود
بمحجة بيضاء ساطعة الهدى كالنور تكتسح الضلاله والجهود
أضحت معطلة وقد عصف الظلام بنورها الهادي ومنهجها الرشيد

بكل هذا التبكيت وهذا الزجر ينعت الشاعر هذه الأمة التي أصبحت مخدرة الإحساس، فاقدة الشعور، تستعبد العذاب وتستمرئ القيود، وتذعن للسلب والنهب، قد فقدت مصداقيتها، وأضاعت مضاءها وفاعليتها، فخسرت في ذلك كل شيء يصلها ب الماضي المشرق العزيز، وقد أجاد الشاعر في اختيار الألفاظ الموحية بأسلوب جزل فصيح ومعان واضحة تدخل القلب بدون استئذان.

الفصل السادس

الحنين إلى إحياء الخلافة والدعوة
إلى الوحدة الإسلامية

الفصل السادس

الحنين إلى إحياء الخلافة والدعوة إلى الوحدة الإسلامية

ذكرنا في الفصول السابقة من هذا الباب شعر الأصداء الذي رثى به الخلافة الإسلامية بعد سقوطها، والمشاعر الفياضة والعواطف الجياشة التي سجلها الشعراء حيالها، وخاصة عندما وقفوا على مدائنهنّا ومواعيدها وأثارها، ثم ما رسموه لها من صور زاهية ومواقف بطولية خالدة أيام عزها ومجدها، وما وصل إليه حال المسلمين من السوء والهوان.

والحقيقة أن الناظر في مضمون ما قاله هؤلاء الشعراء، سوف يجد ضالته ويروي نهمته من ذلك الشعر الذي وصف الحقيقة المؤلمة والواقع المريض الذي أصاب هذه الأمة عندما سقطت خلافتها، وتحالفت عليها قوى الإستعمار، وتضافرت ضدها عناصر الشر، وأمّاطت اللثام عن وجهها القبيح ونواياها السيئة، وصبت على دولة الخلافة والدول الممتلكة عنها من أنواع البلاء وأصناف العذاب ما يفوق الوصف ويقصر عن ذكره اللسان.

هذا بالإضافة إلى أنهم وقفوا حجر عثرة في سبيل وحدتها وتقديمها، وزرعوا من أسفين التفرقة وبنوا من أسباب الخلاف ما وقف سدا منيعا في وجه أي وحدة شاملة لهذه الأمة حتى الآن، وحال دون إحياء وإقامة الخلافة الإسلامية التي يتطلع إليها جميع المسلمين، تلك الخلافة - وكما عرفها المسلمون - التي ظلت السد المنيع والدرع الواقي للأمة الإسلامية أمام مطامع الأعداء التوسعية ومحاولاته المسماة بوحدتهم أو اختراق صفوفهم.

ذلك أن (وجودها في المسلمين يتضمن لديهم معان سامية كثيرة من أجلها:
أولاً: أن بقاء الخلافة يعني وجود نظام سياسي يجمع شمل المسلمين مهما بلغ واقع
حال هذا النظام ووصوله إلى مستوى محزن من الضعف والرمزية بفعل
الدسائس الاستعمارية.

ثانياً: أن بقاء الخلافة دليل على استمرار تاريخ المسلمين في ظل شعار سياسي واحد.

ثالثاً: أن بقاء الخلافة يعني بقاء الرباط الذي يبرر للمسلمين الاشتراك والمساهمة
في الدفاع الدولي عن حياض المسلمين وصوففهم، وإقامة ألوان التعاون
فيما بينهم.

رابعاً: أن بقاء الخلافة يقضي - في أدنى الحدود الرمزية : بأن لا تقوم بين
بلادهم حواجز مصطنعة، وهذا يعني اشتراك الشعوب في ديارهم، وتمتعهم
بحريات تقليم وتملكهم وتجارتهم وسائر مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية
فيها)) (١)

من أجل ذلك كله بكى المسلمين الخلافة، وحق لهم أن يبكونها، وقام الشعراء
بتصوير هذا الحدث الجلل والتعبير عن ذلك الموقف المثير، مجندين أنفسهم
كمnarات هداية، ومسخرين مواهبهم كأصوات إعلامية عالية لتجسيد الموقف، وإلقاء
الضوء عليه بكل أمانة واقتدار وواصلت قافلة الشعراء مسيرتها الإعلامية الهدافـة،
ترسم لأجيال المستقبل طريق الأمل المنشود، وسبيل الوحدة الواجبـة، متطلعين
ومستشرفين إلى إحياء الخلافة الإسلامية - تلك المنارة المفقودة والفرصة الغائبة -
وإظهارها إلى حيز الوجود.

(١) عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني: أجنحة المكر الثالثة ص ٣١٥

وفي هذا الفصل الأخير من الباب الثاني سوف نستعرض بإذن الله تعالى لطائفه من الشعراء الذين شاركوا في الحنين إلى إحياء الخلافة الإسلامية والدعوة إلى وحدة هذه الأمة والتي هي مطلب لجميع المخلصين من أبنائها.

وقد أسهם في الاستشراف لإحياء الوحدة والخلافة الإسلامية هذه شعراء مخلصون من مختلف ديار العرب والمسلمين، وسجلوا صفحات مشرقة في كتاب شعرنا العربي الحديث، كانت هي الزاد الوجданى والغذاء الفكري لأجيال أمتنا العربية والإسلامية المعاصرة؛ لتثير لهم الطريق وتقودهم إلى تسم ذروة الشرف وقيادة العالم من جديد.

ومما هو جدير بالذكر أن الشعراء العرب المسلمين ظلوا طيلة قرون طويلة في ظلال الخلافة العثمانية، وخاصة إبان عهدها القوي، دون أن نلمح في شعر أحدهم أدنى معارضه للوضع القائم، أو محاولة لشق العصا، أو حتى إيداء الضجر والامتعاض منه، وظل الأمر كذلك حتى ظهور عوامل الضعف على الخلافة العثمانية ومن ثم سقوطها واحتقارها عن مسرح التاريخ، وعندما أظهر عدد منهم حماسهم لإحياء الخلافة الإسلامية، ولكن هذه المرة بحيث تكون قيادة عربية، معطلين ذلك بأن الخلافة منذ بدايتها نشأت بين ظهرانيهم وعلى يديهم، وظلت قرونًا طويلة وعهوداً مديدة، والخلفاء هم من العرب بل من قريش نفسها، مصداقاً لقول الرسول ﷺ (الأئمة من قريش).

ولما كانت الخلافة الإسلامية وعلى مدار التاريخ ظلت تخضع في كثير من الأحيان للجنس الأقوى من أنواع المسلمين المختلفة، ويتولى شؤونها من يملك القدرة المادية والمعنوية خاصة عندما قل شأن العرب وضعفت شوكتهم، فإن الناظر إلى أوضاع المسلمين الحالية وقدراتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، سوف يرى أن الجنس العربي اليوم يتميز عن باقي الأجناس الأخرى بهذه المقدرات والمقومات، لا سيما وأن العرب هم مادة الإسلام والفاتحون الأول، وأن الرسول

عليه السلام عربي، ولغة القرآن الكريم عربية، ولهم يد بيضاء في أعناق جميع أبناء المسلمين في كل زمان ومكان؛ وذلك لأن الفاتحين والداعية الأوائل الذين نشروا الإسلام في أنحاء المعمورة كانوا من العرب، وقد اعترف المؤرخون والعلماء المسلمين بهذا الفضل، ونشروه بين شعوبهم، أما في عصرنا هذا فما زال أيضا الكثير من علماء المسلمين وزعمائهم يعترفون بهذه الريادة العربية للMuslimين وينوهون بها، وهذا هو الشيخ العلامة المسلم الهندي أبو الحسن علي الحسني الندوي^(١) يؤكد على هذه الرعامة والريادة العربية في كتابه "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" وذلك تحت عنوان "رجاء العالم الإسلامي من العالم العربي" حيث يقول (والعالم العربي بمواهبه وخصائصه وحسن موقعه الجغرافي وأهميته السياسية يحسن الاضطلاع برسالة الإسلام، ويستطيع أن يتقدّم زعامة العالم الإسلامي، ويزاحم أوروبا بعد الاستعداد الكامل، وينتصر عليها بإيمانه وقوته رسالته ونصر من الله، ويحول العالم من الشر إلى الخير، ومن النار والدمار إلى الهدوء والسلام)^(٢).

لذلك لا تستغرب، وخاصة بعد أن سقطت الخلافة الإسلامية العثمانية، وما تبع ذلك من تجزئة وتقسيم للدولة الإسلامية الواحدة، وظهور العديد من الدول التي شاع فيها الظلم وعم الفساد، وتعرضت للغزو الأجنبي وتكلبت عليها الدول الاستعمارية، لا تستغرب والحالة هذه إذا هب الشعراء العرب للتذيد بهذه الأوضاع، والمطالبة بالوحدة العربية المنضوية تحت الوحدة الإسلامية أو الخلافة الإسلامية.

وهنا لا بد لنا في هذا المقام من أن نفرق بين فئتين من الشعراء، فئة تادي بالوحدة العربية المجردة، أو القومية العربية، وتحث عليها، وهذه الفئة لا تعنينا في

(١) الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي: رئيس رابطة الأدب الإسلامي الحديث.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين / السيد أبو الحسن الندوي ص ٢٩٤.

هذه الدراسة، لأن موضوع البحث متخصص في الخلافة والوحدة الإسلامية. أما الفئة الأخرى فهي فئة الشعراء العرب الذين ينادون بالوحدة الإسلامية أو بالوحدة العربية ولكن من خلال الوحدة الإسلامية التي هي المتبقي الأساسي الذي يجب أن يتطلع إليه المسلمون.

وسوف يكون لنا مع هذه الفئة وقفات مراugin قدر الإمكان التسلسل التاريخي لنشوء هذه القصائد والغرض المتواخي منها ...

ولقد كان من أبرز هؤلاء الشعراء الذين نادوا بالوحدة العربية من خلال الوحدة الإسلامية، الشاعر أبو الفضل الوليد^(١) (إلياس عبد الله طعمه) الذي نظم عدداً من القصائد والمقطوعات الشعرية طالب بها العرب المسلمين أن يتصدروا لمنصب الخلافة، وتوحيد هذه الأمة، وجمع شملها، وتعزيز موقفها صفاً واحداً في وجه الأعاجم والمستعمرات الطامعين بها، وعدم السماح لهم بالتلغل في بلادهم، وما يترتب على ذلك من نهب للثروات وزعزعة وتشويه للأفكار والمعتقدات، أولى هذه القصائد قصيدة بعنوان "رؤيا النبوية"^(٢) ومطلعها:

طربت لرؤيا أشرقت فاضمحلت وقلبي لها طور عليه تجلت
وفيها يهيب بأبناء الأمة العربية كما ذكرنا آنفاً لتوحيد الصفوف وصيانة
وقار الدولة الهاشمية التي أسسها الرسول العربي الهاشمي محمد بن عبد الله
صلوات الله وسلمه عليه، ثم سار على نهجها الخلفاء الراشدون من بعده.

والاليوم وبعد أن سقطت الخلافة العثمانية وأصبح المجال مفتوحاً يدعى الشاعر
العرب إلى التشرف بهذا المنصب الجليل، والتصدي لقيادة المسلمين، لما جبلهم الله
به من الأسباب التي تخولهم حق هذه القيادة، خاصة وأن العرب هم مادة الإسلام
حيث يقول:

(١) هو الشاعر اللبناني أبو الفضل الوليد (إلياس عبد الله طعمه) الجندي المجهول.

(٢) ديوان أبي الفضل الوليد.

بنيت على الإسلام أضخم دولة
خلافة بال المسلمين قوية
وتصونوا وقار الدولة الهاشمية
وأكبادها ما بين فتح ونصرة
فمنها رسول الله خير البرية
وما نوزعت إلا لنزع وشرة
وكونوا أمام الله أهل المبرة
رأها على الإسلام أكبر منه
بأطهر آيات وأطهر سنة

فعودوا إلى عهد الفتوح التي بها
وما قوته الإسلام إلا بدولة
قل لجميع المسلمين تجمعوا
بنت دولة المسلمين بهامها
سلالة إسماعيل خير سلالة
لها حق سلطان وحق خلافة
فلا تنقضوا عهد النبي وعهدها
يوجد عليكم بالعروبة منة
هي الشرف الأعلى لكم تتشوفوا

ولا يقتصر الشاعر على الدعوة إلى توحيد الصنوف وجمع القوى، بل يدعو
أيضا إلى توحيد النطق باللغة العربية من قبل جميع المسلمين، التي هي لغة القرآن
الكريم، ويفترض أن تكون اللغة العامة لل المسلمين جميعا، حيث أن الإسلام عقيدة
وعبادة وسلوك، ولللغة إنما هي تعبير عن هذه المعاني، فهي وسيلة لا غاية، يقول
الإمام الشافعي : (إن الله تعالى فرض على جميع الأمم تعلم اللسان العربي بالتابع
لمخاطبتهم بالقرآن والتعبد له) ويقول فقهاء الحنفية: (العربية فضل على سائر
الألسن وهو لسان أهل الجنة من تعلمها غيره فهو مأجور) وإن الإنسان كلما ازداد
معرفة باللغة العربية كان أقدر على فهم الإسلام، ولذلك خوطبت بها الأمم كما قال
الشافعي رحمه الله تعالى. ولا يعني كون اللغة العربية هي اللغة الرسمية للأمة
الإسلامية إفشاء بقية اللغات بل المسألة هكذا: لا بد للأمة الإسلامية من لغة مشتركة
تتفاهم بها، وليس معقولا أن تكون هذه اللغة غير العربية، وهي لغة عبادتهم،
وتكون إذن في هذه الحالة لغة الإنسان الأصلية لغة ثانية له، يدرج بها مع أبناء
جنسه، كما يدرج العربي بالعامية، عندما نقول أن العربية هي اللغة الرسمية لا
يعني هذا إثارة عصبية، فحاشا، بل المسألة أن تعلم العربية فخر لمن تعلمها، يقول

عليه الصلاة والسلام: (يا أيها الناس إنَّ الْرَبَّ وَاحِدٌ وَالْأَبُ وَاحِدٌ وَإِنَّ الدِّينَ وَاحِدٌ
وليسَتِ الْعَرَبِيَّةُ بِأَحَدِكُمْ مِنْ أَبٍ وَلَا أَمًّا هِيَ اللِّسَانُ فَمَنْ تَكَلَّمُ بِالْعَرَبِيَّةِ فَهُوَ
عَرَبٌ) ^(١)

يقول الشاعر:

إِلَى كُلِّ قَطْرٍ فِيهِ مِنْ أَهْلِ مَلَكِيٍّ
لَسَانِي وَدِينِي بَعْدَ ضُعْفٍ وَعِجْمَةٍ
كَمَا شَرَفُوا بِالشَّرِعَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ
وَهَذَا كِتَابُ اللهُ بِالْعَرَبِيَّةِ
بِنَبِيِّهِمْ وَأَهْلِيهِمْ لِإِنْتَامٍ وَحْدَةٍ
كَتُوحِيدِهِمْ اللهُ أَوْ لِلخِلَافَةِ
بِهَا نَزَلَ الْقُرْآنُ لِلأَضْلَالِيَّةِ
مَبْشِرَةً بِالْعَنْقِ بَعْدَ الْعَبُودِيَّةِ
وَقَدْ ظَلَّتْ أَرْضِيَّ وَقَوْمِيَّ وَعَرَبِيَّ
وَلِلْمَجْدِ فَوْقَ الْحَصْنِ أَوْ فِي الْكَنْيَةِ

عَلَى الْعَرَبِ إِرْسَالُ الْوَفُودِ تَتَابِعُ
لَيْسَ تَطْلُعُوا أَحْوَالَهُمْ وَيَثْبِتُوا
فِي شَرْفِ كُلِّ الْمُسْلِمِينَ تَعْرِبَا
فَلَا مُؤْمِنٌ إِلَّا الَّذِي هُوَ مَعْرِبَا
لَقَدْ حَانَ أَنْ يَسْتَعْرِبُوا وَيَعْرِبُوا
فَتَوْحِيدُهُمْ لِلنُّطُقِ وَالْمَلَكِ وَاجِبَا
فَلَا لُغَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ سَوْيَ الَّتِي
وَلَا رَأْيَةٌ إِلَّا الَّتِي طَلَعَتْ لَهُمْ
بِهَا أَشْرَقَتْ بِطْحَاءَ مَكَّةَ حَرَةٍ
هِيَ الرَّأْيَةُ الْعَرَبِيَّةُ تَخْفَقُ لِلْهَدِّي

وبعد هذه الدعوة الصريحة من الشاعر لتعيم اللغة العربية في جميع بلاد المسلمين، وتحthem على النطق بها في كل استعمالاتهم الحياتية لأنها لغة القرآن الكريم، والتي عبر عنها الشاعر بعاطفة جياشة صادقة وأسلوب سهل قوي، وحماس بالغ، يختتم الشاعر فصيحته بتوجيهه نداء إلى أبناء الإسلام في كل مكان يدعوهם إلى الوحدة والقوة والاتفاق لمواجهة الأعداء والانتصار عليهم فيقول:

فَلَا قَوْةَ إِلَّا بِحُبِّ وَأَلْفَةٍ
بِغَيْرِ اتِّحَادٍ فِيهِ تَوْحِيدٌ غَايَةٌ
وَتَوْحِيدٌ أُوطَانٌ وَنُطُقٌ وَرَأْيَةٌ
أَلَا يَا بَنِيَ الْإِسْلَامِ كُونُوا عَصَابَةٌ
وَلَا قَدْرَةٌ بَعْدَ الشَّنَّاتِ عَلَىِ الْعَدُوِّ
أَرِيدُ لَكُمْ مَلَكًا يَجْمِعُ شَمَلَكُمْ

(١) الإسلام / سعيد حوى ط ٢ ص ٣٤١

وهكذا نلمح من هذه الأبيات حرارة النداء الذي وجده الشاعر إلى أبناء أمته، وأنه لا سبيل لهم إلى استعادة أمجادهم واللحاق بركب المدنية والقدم إلا بلم الشمل ووحدة القوى واللغة والغايات والأهداف.

وفي قصيدة "المكية"^(١) يضرب الشاعر أبو الفضل الوليد أيضا على نفس الوتر، حيث يدعو إلى إقامة الدولة العربية، وإجراء الوحدة الإسلامية، وأن يشد المسلمون بعضهم أزر بعض ويكونوا كالبنيان المرصوص، متذمرين من الدين الواحد واللسان الواحد جوهر التمسك بهذه الوحدة .. فيقول منها:

ولكم تعود على الفجاج الأكدر لجموعكم فخذوا برأي مدبر فالملك أعظم بالعديد الأكثـر بعضا فـيـاـنـ كـلـ رـيـحـ صـرـصـرـ ولـسـانـكـمـ فـمـسـكـواـ بـالـجـوـهـرـ	الدولة العربية الكبرى بكم توحـيـدـكـمـ اللـهـ مـنـهـ وـحـدةـ وـتـجـمـعـواـ أـمـمـاـ وـصـيرـواـ أـمـةـ كـوـنـواـ كـبـنـيـانـ يـشـدـ بـعـضـهـ لـاـ شـيـءـ يـفـصـلـكـمـ وـهـذـاـ دـيـنـكـمـ
---	--

أما في قصيدة "البغدادية"^(٢) فيسرير فيها الشاعر "أبو الفضل الوليد" أيضا على نفس المنهج، وفيها يحث العرب على إقامة دولة قوية الأساس مهيبة الجانب، ويحذرهم من شر الدخلاء والأعاجم وخطورة تحكمهم في مصالحهم وأمورهم فيقول:

شـرـ الدـخـلـ فـدـأـهـ الإـفـسـادـ دـوـنـ الـحـدـودـ الـبـيـضـ وـهـيـ حـدـادـ يـتـحـكـمـ وـنـ فـتـحـكـمـ الـأـحـقادـ يـرـجـىـ لـهـاـ بـعـدـ الـفـنـاءـ مـعـادـ	يـاـ أـلـيـاـ الـعـرـبـ الـأـحـامـسـ حـاذـرـواـ وـتـجـرـدـواـ لـمـكـرـمـاتـ وـجـرـدـواـ لـاـ خـيـرـ فـيـكـمـ وـالـأـعـاجـمـ بـيـنـكـمـ شـدـواـ وـشـيـدـواـ دـوـلـةـ عـرـبـيـةـ
---	---

(١) ديوان أبي الفضل الوليد.

(٢) ديوان أبي الفضل الوليد.

وأخيراً ومن قصيده "الجهادية"^(١) التي رثى في بدايتها الخلافة الإسلامية^(٢) يخلص الشاعر في خاتمتها فيوجه النداء إلى أبناء الأمة المسلمين، العاكفين في بيت الله الحرام وحول الكعبة المشرفة، ويحثّهم على إقامة علم الجهاد، وتحرير الأوطان من الدخلاء والغاصبين، وأن يجمعوا الصفوف متّحدين تحت راية واحدة، لمحاربة هؤلاء الأعداء، فاما النصر والعيش الحميد، وإما الشهادة وحسن الخاتمة في جنات الخلود ... قال:

يا عكفا حول الحطيم تحطموا
هلا بطشتم بطشة كبرى بها
فإلى الجهاد إلى الجهاد تصارخ
صفوا كائنك وروضوا خيلكم
وتعاونوا متعارفين برایة
في ظلها نيل الشهادة والعلا
الحسنيان وقد علمتم نصرة
غيظا وكل في الوغى حطام
تحرر الأوطان والأحرام
وعلى الجهاد على الجهاد زحام
ونفوسكم فالظافر العزام
حفت بها الأملاك والأعلام
وأمامها الجنات والإكرام
وشهادة فالمؤمن الممداد

ولا ريب أن هذه الواجبات الإسلامية التي أشار إليها الشاعر في ما سبق من قصائد وأبيات، والمنتقلة في استتهاض هم العرب واستدعائهم لحمل أمانة الوحدة والخلافة الإسلامية، منفذ الأسباب التي تدعوا لذلك، ثم تركيزه على اللغة العربية وأهميتها في الوحدة الإسلامية، إذ يحضر جميع شعوب المسلمين إلى تعلمها وإتقانها، ليتسنى لهم بذلك فهم القرآن الكريم - دستور المسلمين - وفهم أحكام الإسلام من خلاله حتى أنه لا يعتبر من لا يتقنها: مؤمناً مكتملاً بالإيمان وذلك بقوله:

فلا مؤمن إلا الذي هو معرب وهذا كتاب الله بالعربية

(١) ديوان أبي الفضل الوليد.

(٢) انظر الفصل الأول.

وهذا لعمري واجب عربي إسلامي شريف يجب الاهتمام به وإعطائه حقه من الممارسة والتطبيق.

كذلك أشار الشاعر إلى أهمية وضرورة إعلان الجهاد المقدس ضد الدخلاء والمفسدين في ديار الإسلام، والالتفاف حول رأية واحدة تتمثل فيها وحدتهم الروحية والمعنوية إلى جانب وحدتهم الحسية الشاملة.

وهكذا عبر الشاعر أبو الفضل الوليد عن مشاعره وأحساسه الإسلامية تعبراً وجداً، بشعر يفيض بالحماس الحار لكل ما يهم الإسلام والمسلمين، ونستشعر فيه كل معاني الشعر الإسلامي الهاذف والأصيل.

واستمر الشعراء ينسجون على منوال القيادة العربية، ويشاركون مشاركة مبكرة في هذا الموضوع، وقد سرت في شعرهم روح جديدة تطفح بالحماس الشديد والشوق البالغ، منطقة لعودة الخلافة الإسلامية إلى حظيرة أبناء الأمة العربية، وإناطتها بزعيم عربي جدير بحمل هذا المنصب، خاصة وفي مثل هذه الظروف التي استفحل فيها أمر الحركات الكمالية والاتحادية في تركيا، التي أحبت فكرة القومية التركية وتعصبت للجنس التركي، وتتكررت لغيره من أجناس الدولة العثمانية ومنهم العرب، الذين ذاقوا الأمرين، و تعرض أحرارهم ومفكريهم للقتل والاعتقال من قبل المتعصبين الأتراك، الأمر الذي دعا بالبقية الباقيه من هؤلاء الأحرار لعقد آمالهم على شريف مكة الحسين بي على رحمه الله.

- نظراً لما كان يتمتع به من منزلة قيادية ودينية واجتماعية، وأملوا فيه تخليص العرب وبقية المستضعفين في أمم الإسلام، وإنقادهم من سوء الحال التي وصل إليها أبناءهم الغارقين في معمايات الجهل، والعالقين بين براثين الفقر والمرض، ووسط أجواء من الإهمال والتعنيف، ولما كان الشريف الحسين قد نذر نفسه لمثل هذا الدور منذ فجر شرارة الثورة العربية الكبرى، ويعتبر رائد العرب إلى الحرية والتحرر من ربقة الكماليين الأتراك، فقد لقي

من المضايقات والمكائد والمؤامرات الشيء الكثير، ورغم ذلك فقد "صمد الحسين في الحجاز ولم يقبل بأي تهديد، ومحاولات ليَ الذراع لم تفْ، وفي ١٩٢٣/١٨ استدعاه عبد الله إلى زيارة عمان، وفي الشونة حيث مشتى الأمير عبد الله توافدت إليه الوفود من مجل الأقطار العربية والإسلامية، وتمت مبادعة الشريف حسين بالخلافة، ووقف الشريف حسن المنتخب خليفة المسلمين خطيباً في الوفود حيث قال "لا أتنازل عن حق واحد من حقوق البلاد، لا أقبل إلا أن تكون فلسطين لأهلها العرب أقول لأهلها العرب، لا أقبل بالتجزئة ولا أقبل بالانتداب ولا أسكُت وفي عروقِي دم عربي عن مطالبة الحكومة البريطانية بالوفاء بالعهود التي قطعتها للعرب، وإذا رفضت الحكومة البريطانية التعديل الذي أطلبه فإني أرفض المعاهدة كلّها، أقول المعاهدة كلّها ولا أوقع المعاهدة قبل أخذ رأي الأمة" ^(١).

على أثر ذلك هبُ الشعراء يشيدون بدور الشريف الحسين بن علي في الاضطلاع بحمل الخلافة العربية الإسلامية، ودوره المنتظر، فنظم الشاعر / الشيخ سعيد الكرمي قصيدة حول هذا الموضوع بعنوان "بشرى الخلافة" ^(٢).

حيث استبشر فيها بعودة الخلافة إلى أهلها الأشراف الهاشميين القرشيين، بعد أن تداولها العديد من شعوب الأمة الإسلامية وأجناسها المختلفة، وقد نوه فيها بفضل الشريف حسين وعظيم أفعاله تجاه العرب والمسلمين، حيث يقول:-

لـأـهـلـهـاـ الغـرـرـ ذـوـيـ الشـرـافـةـ أـجـاجـةـ مـذـاقـهـاـ قـدـ عـافـهـ مـهـانـةـ فـيـ مـنـهـيـ السـخـافـةـ سـلـيمـةـ مـنـ شـرـ كـلـ آـفـةـ	بـشـرـىـ بـعـودـ مـنـصـبـ الـخـلـافـةـ مـنـ بـعـدـ أـنـ تـسـرـبـتـ لـمـوـرـدـ وـجـعـلـتـ مـنـ بـعـدـ عـزـ شـائـهـاـ عـادـ لـهـاـ رـونـقـهـاـ فـأـصـبـحـتـ
--	--

(١) يوسف أبو داهود / الثورة والنفير / قراءة في فكر الشريف الحسين بن علي ص ٢١٤.

(٢) الشيخ سعيد الكرمي شاعر فلسطيني والد الشاعر عبد الكريم الكرمي.

أعلمها وأرغمنت خلافة
 وأسمع الله العذا هنافه
 ومعدن المجد مع الحصافة
 لنجنا قد قرب المسافة
 لا عدموا طول المدى إتحافه
 للعرب كان معجزاً أسلافه
 وبالحسين بن علي رفعت
 قد هتف الكون به خليفة
 وكيف لا وهو سليل المصطفى
 أم كيف ننسى فضله وهو الذي
 أتحف قومه بمجده باهر
 أنقذهم من اعتدا أعدائهم
 وامتداداً لهذه الدعوة التي تنادي بالشريف الحسين بن علي خليفة عربياً على
 المسلمين ... نظم الشاعر محمد كامل شعيب^(١).

قصيدة بعنوان "الخلافة وجلاله الملك الهاشمي"^(٢). وذلك عندما دخل الملك
 حسين عمان عام ١٩٢٤م، ونوه باسمه خليفة على المسلمين في الحجاز وعمان
 وفلسطين
 والعراق وسوريا والهند، ومعظم الأقطار الشرقية تنويهاً باليبيعة^(٣). وقال
 فيها:

إليه انتهى أمر الخلافة إذ غدا
 ويا منفذ العرب الذي حاز فضله
 إليك مليك العرب مني بيعة
 لأعبائها في يعرب خير حامل
 مقاماً لعمري باذخاً لم يطأول
 مباركةً عن أهل صيداً وعامل^(٤).
 بكل هذا الوضوح، وبهذه الدعوة الصريحة، صاغ هؤلاء الشعراء قصائد
 متطلعين إلى زعيم عربي إلى الخلافة الإسلامية.

(١) دكتور / وليم الخازن: الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية.

(٢) المصدر السابق.

(٣) البيعة : مبادرة المسلمين.

(٤) صيدا وعامل مدینتا في جنوب لبنان.

ومن الشخصيات العربية التي تطلعت إليها الأنظار لجمع شمل الأمة العربية والإسلامية، وأن يكون إماماً وخليفة للمسلمين:

الملك عبد العزيز عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله - (١٢٨٠ - ١٣٧٣) ملك المملكة العربية السعودية (١٣١٩ - ١٣٧٣) الذي (نادى بالوحدة الإسلامية وحضر المسلمين على التآزر والتناصر وتوحيد الصف، فدعا إلى عقد أول مؤتمر إسلامي بمكة المكرمة في العشرين من ذي القعدة سنة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م وأرسل برقية في الثاني عشر من شهر رمضان عام ١٣٣٤هـ - ١٩٢٥م لعدد من زعماء المسلمين يدعوهم لحضور هذا المؤتمر ولقد استجاب المسلمون لندائـه وتقاطرت وفودهم على مكة المكرمة، فبلغ عدد أعضائهم سبعين عضواً من مختلف الأقطار الإسلامية^(١).

وقد ألقى عليهم خطاباً جاء منه^(٢) "إن المسلمين قد أهلكـهم التفرق في المذاهب والمشارب فائتمروا في التأليف بينـهم والتعاون على مصالحـهم ومنافعـهم العامة المشتركة وـعدم جعل اختلاف المذاهب والأجناس سبباً للعداوة بينـهم،

﴿وَاعْصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا﴾

وقد استبشر الشعراء بهذا المؤتمر خيراً، فنظم الشيخ محمد بهجة البيطار^(٣) قصيدة بهذه المناسبة مدح فيها الملك عبد العزيز الذي جدد بنـيان الإسلام ، وقام بحراسـة الدين وأحياـ سنة الشورىـ بهذا المؤتمـر^(٤) فقال:

عبد العزيز رعـاك الله من مـلـك قد جـدد الـيـوم للـإـسـلام بـنـيـانـا
في كلـ قـطـر بـديـن الله تـحرـسـه تـملـي عـلـيـنا من الأـعـمـال بـرـهـانـا

(١) د / عبد العزيز بن عبد الرحمن بن / الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث ص ١٩٣.

(٢) نفس المرجع

(٣) عضـو المـجمـع الـعـلـمـي بـدمـشقـ . وـالـعـضـو بـالـمـؤـتمـر الـإـسـلامـي بمـكـةـ .

(٤) صـحـيفـة أم القرـى العـدـد ٨٤ - ١٣ ١٣٤٥م حـرمـ سنـة ١٣٤٥ .

وأذعنوا لقبول الحق إذ عانـا
عن الشعوب ولاقتـ منك إحساناـ
تعاهدوا أن يعودوا اليـوم إخوانـاـ
ونـاشـراـ سـنةـ فـيـنـاـ وـقـرـآنـاـ
منـ المـخـاـوفـ لاـ تـحـاجـ عـدـوانـاـ
قدـ أـكـسـبـتـهـ عـلـىـ الإـقـبـالـ رـجـانـاـ

لبـتـكـ طـوـعاـ مـلـوكـ الـمـسـلـمـينـ بـهـ
إـنـ الـوـفـودـ الـتـيـ جـاءـتـكـ نـائـبـةـ
قدـ قـرـرواـ كـلـ أـمـرـ نـافـعـ وـلـقـدـ
يـاـ جـامـعـ الشـمـلـ مـنـاـ بـعـدـ تـفـرـقـةـ
رـدـدـتـ أـقـطـارـ بـيـتـ اللهـ آـمـنـةـ
تـكـ المـزـاـيـاـ الـتـيـ اـمـتـازـ الـإـمـامـ بـهـاـ

وهـكـذاـ يـتـضـحـ مـاـ فـيـ هـذـهـ الـأـبـيـاتـ مـنـ الـعـاطـفـةـ الـقـوـيـةـ وـالـحـنـينـ الـحـارـ اللـتـيـ عـبـرـ
بـهـمـ الشـاعـرـ عـنـ فـرـحـةـ الـمـسـلـمـينـ بـدـعـوـةـ الـمـلـكـ عـبـدـ الـعـزـيزـ بـقـادـةـ الـبـلـادـ الـإـسـلـامـيـةـ
لـبـحـثـ فـيـ وـحدـةـ الـمـسـلـمـينـ وـتـضـامـنـهـمـ،ـ وـنـطـبـيقـ شـرـيـعـةـ الـلـهـ وـسـنـةـ رـسـولـهـ (صـلـلـلـهـ عـلـيـهـ وـلـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ)ـ وـكـلـ
مـاـ يـهـمـ الـإـسـلـامـ وـالـمـسـلـمـينـ.

كـمـاـ لـاـ يـخـفـيـ مـاـ فـيـ الـأـبـيـاتـ مـنـ عـاطـفـةـ صـادـقـةـ تـجـاهـ الـمـلـكـ عـبـدـ الـعـزـيزـ وـتـجـسـيدـ
لـلـصـفـاتـ الـجـمـيلـةـ الـتـيـ اـتـصـفـ بـهـاـ وـالـتـيـ تـحـمـلـ فـيـ مـضـمـونـهـ مـعـانـيـ إـسـلـامـيـةـ جـلـيـلـةـ
مـثـلـ جـامـعـ الشـمـلـ،ـ نـاـشـرـ السـنـةـ،ـ مـطـبـقـ الشـرـيـعـةـ،ـ بـسـاعـثـ الـأـمـنـ ...ـ إـلـخـ وـكـلـهـاـ
اـصـطـلاـحـاتـ وـتـعـابـيرـ جـذـابـةـ وـمـثـلـ عـلـيـاـ يـحـتـاجـهـاـ الـمـسـلـمـونـ فـيـ كـلـ زـمـانـ وـمـكـانـ.

وـيـطـوـلـ بـنـاـ الـمـقـامـ لـوـ رـحـنـاـ نـسـتـعـرـضـ الـقـصـائـدـ الـتـيـ تـنـادـيـ بـالـمـلـكـ عـبـدـ الـعـزـيزـ
إـمـامـاـ لـلـمـسـلـمـينـ.ـ وـلـكـنـ سـنـكـنـيـ بـالـمـثـالـ التـالـيـ تـدـلـيـلـاـ عـلـىـ مـثـلـ هـذـاـ الـمـقـامـ.

فـقـدـ "ـحـضـ الشـيـخـ عـبـدـ الـعـزـيزـ بـنـ عـبـدـ الـلـطـيفـ آـلـ مـبـارـكـ الـمـسـلـمـينـ جـمـيعـاـ مـنـ
عـرـبـ وـعـجمـ عـلـىـ أـنـ يـعـقـدـواـ لـلـمـلـكـ عـبـدـ الـعـزـيزـ لـوـاءـهـمـ وـيـجـعـلـهـ خـلـيـفـهـمـ وـيـوـحـدـواـ
صـفـوـفـهـمـ تـحـتـ لـوـائـهـ فـقـالـ مـنـ قـصـيـدـةـ لـهـ^(١)

يـاـ لـيـتـ عـرـبـ الـمـسـلـمـينـ وـعـجمـهـمـ
عـقـدـواـ عـلـيـهـ عـقـدـةـ الـإـجـمـاعـ
وـاسـتـخـلـفـوهـ فـهـوـ خـيـرـ خـلـيـفـةـ
فـيـ نـصـرـةـ الدـيـنـ الـمـطـهـرـ سـاعـ

(١) د / عـبـدـ الـعـزـيزـ التـلـيـانـ - مـرـجـعـ سـابـقـ.

لا شك أن الجهد العظيم الذي أجزه الملك عبد العزيز آل سعود - رحمة الله - من توحيده لمعظم أنحاء شبه الجزيرة العربية التي كان يترعها العديد من الوحدات الإقليمية المتنافرة التي يغزو بعضها البعض، ثم ما قام به من تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد، وما نجم عن ذلك من شيوع الأمان والاستقرار في ربوعها، جعل أنظار العديد من أبناء المسلمين في جميع أقطارهم تتطلع إليه وتبشر فيه الخير لجمع شتات هذه الأمة التي سقطت خلافتها، سيمانا وأنهم لا يزالون حديثي عهد بالخلافة والوحدة الإسلامية، فأنبرى الشعراء بضررهم على هذا الوتر وينادون به إماما لهذه الأمة.

ولا شك أيضا أن هذه الدعوات المتكررة من الشعراء - وهم لسان الأمة وقلبها النابض ، وإلحادهم المتواصل ، وتعلقهم بأدباب الشخصيات العربية التي يسطع نجمها ، والمناداة بها خليفة وإماما للمسلمين ، لهو دليل قاطع على حاجة أمتنا الإسلامية الماسة للوحدة الشاملة ، وإنه لن يستقر أمرها ويهداها إلا بهذه الوحدة أو هذه الخلافة وهي قادمة بحول الله وعونه .

وروح الفكرة الاتحادية لأمتنا ، والتطبع إلى راع يقودها ويأخذ بيدها إلى معارج الفلاح ، ويعود بالإسلام إلى منابعه الصافية وأيامه الخالدة ، ما فتئت ترواد العديد من الشعراء وتشكل عالمة بارزة في تصورياتهم وتطبعاتهم .

ومن هذا المنطلق قصيدة للشاعر "محمود غنيم"^(١) بعنوان "وقفة على طل"

ومطلعها :

مالی وللنجم يرعاني وأرعاه أمسى كلانا يعاف الغمض جفاته

(١) شاعر مصرى معاصر .

(٢) ديوان "صرخة في واد".

والذي رثى فيها الخلافة الإسلامية، وأفضى مضجعه الحالة المفجعة التي آلت إليها أمتنا العربية، وأصبحت متقطعة على أهوائها، منقسمة على نفسها، بعد أن كان العالم مسرحها والدنيا تحت سلطتها^(١).

وهو أيضاً في غاية الأسى والحزن من أمر المسلمين الذين تتناوشهم الأحداث وتتنازعهم الأمم لضعفهم وقلة حيلتهم، وما ذلك بسبب اعتقدهم الدين الإسلامي كما يزعم بعض المغرضين من شوادء أبناء هذه الأمة، وأعدائهم الماكرين. ونراه في خاتمة القصيدة يسلط الضوء على دور الإسلام في تاريخ أمتنا، مؤكداً أنه ليس مجرد دين سماوي لا علاقة له بالسياسة فقط، ولكنه دين ودولة وجامعة شاملة تستظل بظلها أمّة الإسلام قاطبة، وينتعه بأن دستوره القرآن الكريم، ورسوله محمد الأمين (عليه السلام)، ورعاياه هم المسلمون وكفى بذلك فخراً...

يقول الشاعر:

إني لأعتبر الإسلام جامعه
أرواحنا تتلاقى فيه خافقه
الشرق .. لا محض دين سنه الله
كالنحل إذ يتلاقي .. في خلاته
دستوره الوحي والمختار عاهله
والمسلمون وإن شتوا رعاياه

وبعد هذه الظلال الموحية التي ألقاها الشاعر على الدين الإسلامي، يختتم قصيده بالتوجه إلى الله سبحانه وتعالى، وذلك بعد أن رأى هذه الأمة وقد أصبحت مرققاً وتشتت أقطارها وتوزعت أهواها، وعدت عليها عوادي الدهر، يدعوا لها الله سبحانه وتعالى أن يرحمها ويلم شباتها، وأن ييسر لها راعياً محمود السيرة طاهر السريرة بعيد لها مجدها وهبتهما، ويرجع لهذا الدين روحه وعزته فيقول:

لام قد أصبحت أهواؤنا شيئاً
فامن علينا برابع أنت ترضاه
رابع بعيد إلى الإسلام سيرته
يرعى بنيه وعيّن الله ترعااه

(١) انظر الفصل الأول.

ولقد أشار الشاعر في قصيدة أخرى^(١) إلى ما فرضه الإسلام على أتباعه من وجوب الوحدة والخضوع لإمام واحد كي تكون لهم القوة والغلبة فقال^(٢) :

فرض الإله خضوعهم لإمام	المسلمون على شتات ديارهم
وبحج بيت في الحجاز حرام	الله بالجمعات وحد بينهم
قبض الرشيد على الورى بزمل	دين ابن عبد الله دين باسمه
لا محض تكبر ومحض صيام	هو دولة كبرى وملك شامخ

ومرة أخرى يؤكد الشاعر على أن الدين الإسلامي إنما هو دين القوة والعزة والكرامة، لا مجرد كونه عبادات وطقوس كسواء من المذاهب والأديان، وإنما هو دين ودولة في نفس الوقت.

وعلى ذكر التطلع إلى حاكم أو راع، والذي يتمثل بالبطل المخلص والقائد الذي يسترجع أمجاد هذه الأمة، ويقودها إلى معارج التقدم والإزدهار، فلطالما طرقه الشعراء، وتعرضوا له في الكثير من قصائدهم، وظل على الدوام الهاجس الذي يشغل بالهم وبالعديد من أبناء هذه الأمة ...

ومن هذا القبيل قصيدة للشاعر : عبد الرحمن حسن حينكه الميداني بعنوان "قصة مأساة أمتي" والتي ألقى فيها الأضواء الكاشفة على العديد من الجراحات والسلبيات التي تواجهه أمتنا، وحدد العقبات والعرaciـل التي تقف في طريقها وتعوق مسيرتها، وتحول دون وحدتها وجمع كلمتها، ومن ثم تخلص إلى التطلع إلى قائد يلم شملها ويوحد مسيرتها فيقول :

هل وعيـنا؟ هل رأينا؟ هل سـنـصـحـوا لـلـبـلـيـة؟

هل سـيـأـتـيـنا رـشـيدـ العـقـلـ ذـوـ نـفـسـ أـبـيـةـ؟

(١) صرخة في واد (ديوان محمود غنيم) ص ١٠٠ - ١٠١.

(٢) د / عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان، الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث.

^(١) محمد محمود رضوان: شاعر مصرى معاصر.

(٢) مجلة الفتح: العدد ٣٤٢ (٢ محرم سنة ١٣٥٢).

في هذه الأبيات النابضة بالحكمة والوهج الإيماني يلفت الشاعر فيها أنظار إخوانه المسلمين إلى ماضينا المشرق وتاريخنا المجيد الجدير بالفخر والاحتزاء، ويحضهم على استئهام وأخذ الدروس والعظات وال عبر منه؛ لتسنم ذروة المجد من جديد، واستعادة عزتنا وكرامتنا.

ومن الشعراء الذين تغنو بالوحدة الإسلامية ولهجوا بذكرها في الكثير من قصائدهم، ونادوا بإقامة دولة إسلامية، واستهضوا هم المسلمين لجمع شملهم وتوحيد كلمتهم، الشاعر "إبراهيم أحمد عبد الفتاح"^(١) فنراه في قصيدة "الراية الإسلامية"^(٢) التي نظمها عام ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م يتطلع بشوق وترقب إلى اليوم الذي تتوحد فيه دولة الإسلام في دولة واحدة عزيزة الجانب عظيمة الشأن فيقول:

متى نرى دولة الإسلام شامخة
 بين الأنام وشمل الشرق مجتمعا
نلاحظ هنا ورود كلمة الشرق في بيت الشعر السابق، وسوف نرى ورود هذه الكلمة في الكثير من الأشعار القادمة، ولا شك أنهم يعنون بها مجموعة دول وشعوب الأمتين العربية والإسلامية، وهي نظير كلمة الغرب التي تطلق على الدول الأوروبية والأمريكية بشكل عام.

وفي قصيدة أخرى للشاعر "إبراهيم عبد الفتاح" بعنوان "في ظلال القومية العربية"^(٣) التي نظمها سنة ١٩٥٨م وفيها ينادي الشاعر أبناء الشرق ويدعوهم إلى الأخذ بأسباب الوحدة الكبرى وجمع الشمل، والرجوع إلى كنف الإسلام الذي يمكنهم من استعادة عزتهم وكرامتهم فيقول:

أساس نهوض الشرق دين ووحدة
 وذلك حق ثابت ليس يدفع
فللوحدة الكبرى وللدين فارجعوا
 إإن رمتم استرجاع سالف مجدكم

(١) شاعر مصرى معاصر.

(٢) ديوان الدعوة الإسلامية.

(٣) نفس الديوان.

أما في قصيدة "ذكرى المولد النبوى الشريف"^(١) للشاعر نفسه، فإنه يدعى المسلمين ويناديهما لتطبيق الشريعة الإسلامية والحكم بما أنزل الله، وما في ذلك من العز الشامخ والنصر المبين ... يقول:

متى نرى عزة الإسلام شامخة والحكم في الناس من شرع وقرآن
متى نرى شرعة الإسلام مالكة زمام حكامها في كل ميدان

وهكذا يتضح أن الأمثلة التي ذكرناها، والأدلة التي سقناها تدل على أن الشاعر يدعو إلى الوحدة الإسلامية الشاملة، وتطبيق شريعة الله العادلة، والحكم بما أنزل الله في كتابه العزيز، وذلك ما يجب أن يقوم به حكام المسلمين إذا أرادوا أن يستعيد المسلمون ماضيهم المجيد وعزهم التليد.

ومن الداعين إلى الوحدة الإسلامية ومنذ وقت مبكر، الشاعر معروف الرصافي^(٢) الذي لمس ورأى الكثير من دعاه الفرق والانقسام من أعداء أمتنا، سواء من خارجها، أو من أبناء جلدتها، يعيثون فساداً في جسمها ووحدتها، ويعملون في الظلام لتوسيع شقة الخلاف بين شعوب المسلمين؛ لتحقيق أغراضهم وماربها الشخصية الهدامة، غير أن الشاعر وهو لا يملك إلا سلاح الكلمة الشريفة التي ينافح بها عن وحدة أمته وإخوانه المسلمين، فينظم قصيدة بعنوان "تحن والحالة العالمية"^(٣) ومطلعها:

صاحب إن الخطوب في غلستان فيماذا يطرق الملون^(٤)

وفيها يتصدى لهؤلاء المغرضين من أعداء الأمة، ويفهمهم أن أمتنا الإسلامية قامت وحدتها على أساس راسخ من الإسلام والسنّة النبوية المطهرة، وأنها من القوة والتماسك بحيث لن تؤثر طرقاتهم الضعيفة على جدار وحدتها المتين حيث يقول:

(٤٣) نفس الديوان.

(٤٢) معروف الرصافي: شاعر عراقي.

(٣) ديوان معروف الرصافي.

(٤) الملون: الليل والنهار.

أنت كالوعل ناطح الصفوان
 وحدة مثل وحدة الرحمن
 هو جبل الإيمان

قل لمن رام ضدغا بشقاق
 ويک إن الإسلام أوجد فينا
 فاعتصمنا منها بحبلوثيق

ليس معنى توحيدنا الله في الملة إلا اتحادنا في الكيان

نحن فزنا بوحدة الديان
 من صروف الدهر والأزمان
 مرسى بالكتاب والفرقان
 واحد عنده القرون ثوانى
 غير سلطان خالق الأكوان

فلهذا نعم .. لهذا لها
 وحدة لا يفلها المتأولى
 وحدة جاءنا من الله فيها
 فهدانا بها إلى قديم
 ما نرى سلطة علينا لخلق

نعم بهذه الوحدة التي أوجدها الإسلام فينا، والتي تلح علينا في ممارساتها
 وتطبّيقها كل وقت وحين، خلال توجهنا بالعبادة إلى الله سبحانه وتعالى وفي كافة
 حفائقها ومظاهرها، والتي هي رائدنا ودليلنا إلى وحدة كياننا الإسلامي الكبير،
 حيث نستمد قوتنا وسلطانا من قوة وسلطان الله سبحانه وتعالى، وحاشا للمسلم
 الحق أن يعترف بغير سلطان المولى جل جلاله، أو أن يتخذ من دونه ولية ولا
 نصيرا.

وأنشأ الشاعر محمد محمود الزبيري^(١) قصيدة بعنوان "عالم الإسلام"^(٢) ألقاها
 في مؤتمر إسلامي حاشد في دولة الباكستان ، يؤكّد فيها ويصر على وحدة العالم
 الإسلامي من جميع جوانبه ووجوهه، وذلك رغم ما يتراهى للكثير من الناس أنه
 مؤلف من العديد من الدول والتقييمات، الذي يؤكّد أنها ستلاشى مع الأيام وتبقى
 وحدته وتماسكه حقيقة ماثلة وكيان مستقل رغم ألف الأعداء الحاسدين...

(١) محمد محمود الزبيري: شاعر يمني معاصر.

(٤٨) شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ج ١ ص ٤٦.

يقول الشاعر في مطلع القصيدة متحدثاً عن العالم الإسلامي:

هذه روحه وهذی جنوده فلیحاذر من بشرٌ یریده

ثم ينتقل بعد ذلك إلى التأكيد على وحدته، موجهاً الخطاب إلى وفود المسلمين

بِقُوَّلِهِ:

يا وفود الإسلام تاريҳكم ضخم
ألف عام مرت عليه إلا
أنتم عالم من المغرب الأقصى
عالم واحد وأن زعمته
عالم مسلم عزيز فلا
سوف يبقى حقيقة تملاً الأرض

لقد استطاع الشاعر أن يعبر في هذه القصيدة البديعة عن ثقته واعتداده بوحدة عالمنا الإسلامي الذي تنظم أقطاره من أقصاه إلى أقصاه، وهي وحدة ثابتة ومؤكدة، وإن بدا للبعض أنها موزعة ومشتتة، وتتنازعها الأمم والشعوب الأخرى، وإن صح زعمهم هذا فهي فترة طارئة ومؤقتة ومصيرها للزوال، أما وحده وتضامنه وتماسكه فسيبقى حقيقة ثابتة وأبدية بإذن الله وعنايته على مرّ الدهور وذكر العصور.

والحديث عن شعر الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، وتطبيق الشريعة الإسلامية في حياتنا العامة حديث مستفيض وطويل، وهنا يطالعنا الشاعر مصطفى زيد الكيلاني^(١) بقصيدة تنبض بالحياة والحركة، نظمها في الخمسينات من هذا القرن بعنوان "متى الإسلام في الدنيا يسود"^(٢)، وذلك عندما رأى دول الإسلام وأبناء الإسلام يرزحون تحت نير الاستعمار، وبكافة صوره وأشكاله، حيث أوسعوه هم نهباً

(١) مصطفى زيد الكيلاني: شاعر أردني معاصر.

(٢) ديوان مصطفى زيد الكيلاني.

وسلباً وظلماً وتشريداً، فحزن في نفس الشاعر هذا الواقع التعيس والمصير البائس، فجأر بالدعاء إلى الله العلي القدير أن يرحم هذه الأمة ويهديها إلى العودة إلى منابع الإسلام، وأن تسود في حياتها مفاهيم الإسلام وتعاليمه السامية، وأن يرى راية الإسلام، راية العقاب، راية الوحدة الإسلامية ترفرف من جديد في ديار الإسلام عالية خفاقة تخر لها أعلام ورايات الدول المعادية، وتسقط ناكسة على أعقابها..

يقول الشاعر:

ويشرق بيننا الفجر الجديد
سامواياً تقوم به الحدود
صواعق ما يشق لنا عمود
نريهم كيف تتحطم القيدود
مرفرفة تخر لها البنود
أضر بنا التخاذل والقعود

متى الإسلام في الدنيا يسود
متى نستأنف الإسلام حكماً
متى ننقض كاللهب البواري
على المستعمرين وتابعهم
ورايتنا "العقاب" تعود يوماً
متى يارب ترحمنا فإنـا

بعد ذلك يخلص الشاعر إلى دعوة المسلمين إلى الالتزام بقواعد الدين الإسلامي الحنيف، مكرراً إيراد كلمة الإسلام أكثر من مرة، ومركزًا عليها وكأنه لمس عزوف الشباب وابتعادهم عن سنن الإسلام الغراء، والالتجاء إلى اعتناق الأحزاب والأفكار المنحرفة، التي استمالت الشباب الإسلامي، وخاصة في تلك الفترة التي قيلت فيها القصيدة، في أوائل الخمسينات من هذا القرن، حينما نشطت حركات الأحزاب والدعوات الهدامة بشكل ملفت للنظر، وفيها يحذر أبناء المسلمين من اعتناق هذه الأفكار أو الركون إليها، وأن عليهم العودة إلى منبع الإسلام الصافي حيث يقول:

لعمري إن ذاك هو الجحود
ألا عودوا لقول الله عودوا
في الإسلام طالعنـا السعيد

أنتـخذ الملاحـد أولـيـاء
أتبغـي عـنـهـم عـونـاً وـعـزاً
وـلـا تـرـضـوا سـوـيـ إـسـلامـ دـيـنـاـ

وبالإسلام قد سدنا البرايا
دعاة الكفر لا مولى لديهم
وهكذا نجد أن الشاعر بهذه القصيدة يعبر لنا عن شعوره وإحساسه الفياض
تجاه قضيانا الإسلامية، ودعوته الصريحة لإخوانه المسلمين للقتبس من نور
الإسلام المشرق، والإعراض عن مبادئ الكفرة والمرتكبين وعدم محاباتهم
وموالاتهم، والاعتماد على الله سبحانه وتعالى والتوكيل عليه فهو نعم المولى ونعم
المصير.

ويأتي شاعر إسلامي آخر هو الشاعر أحمد مظهر العظمة^(١) الذي اتجه منذ
بداية حياته إلى إيقاظ الشعور الديني لدى المسلمين، والتذكير بماضي العروبة
والإسلام، طارقاً معظم المواضيع التي تدور في فلك الإسلام والمسلمين، وهو هنا
في هذه الأبيات من قصidته (وهو يعاصر هبوط المسلمين، ويرى ما هم فيه من
ضلال، ويلمس ما يصيبهم من هزائم متلاحقة ينادي رسول الله ﷺ)، ويهيب
 بشباب المسلمين لكي يهبووا لنجدتهم أمتهم باتباع هدى الرسول، ويدعوهم لعقد البيعة
على نصرة الرسول وهديه والإسلام وشرعه، بل إن الشاعر يرى أن ما يعانيه
العالم من شقاء وضلال لا انتهاء له إلا بالارتقاء من النبع النبوي، وأن الفوضى
التي تضرب أطنابها في الأرض لا علاج لها إلا بالاheedاء بالنور الإلهي)^(٢) حيث
يقول:

وأنت لها الآسي الحكيم الموفق
وكل بطب المصطفى سيفوق
وهذا كتاب الله بالحق ينطق
وناصر طه خصميه الدهر يزهق
محمد هذى الأرض طراً وجيعة
 فأرسل شباب المسلمين لدائها
أتيناكم نرجوا أن تمن موجهاً
مبایع طه للإله مبایع

(١) أحمد مظهر العظمة.

(٢) شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث جـ ٨.

فوا شوق نفسي للشبيبة والهوى
 إلى علم الإسلام بالعز يخفق
 في شرق عيش كاد في الذل يغرق
 في شباب المسلمين إلى الهوى
 وإذا نحن تأملنا الأبيات السابقة، نلاحظ أن الشاعر يدعو الشباب المسلم دعوة
 صريحة وواضحة إلى المبادعة أو البيعة، والبيعة كما هو معروف لا تؤدي معناها
 على أكمل وجه في مأثورنا الإسلامي إلا لخلفية يجمع شتات هذه الأمة تحت علم
 واحد هو "علم الإسلام".

وهذه الألفاظ: علم الإسلام، راية الإسلام، منارة الإسلام، الجامعة الإسلامية
 والخلافة الإسلامية، كلها عبارات متراوفة تحمل معنى واحداً وتصب في بوتقة
 واحدة، هي الوحدة الإسلامية التي يتطلع إليها ويصبو إلى تحقيقها كل مسلم حر
 غيره.

ومن قبيل هذا المعنى ها هو الشاعر / أحمد محمد الصديق^(١) يرمي إلى
 الخلافة "بالمنارة" ففي قصيده "وقفة على متحف طوب قابي"^(٢) بمدينة استانبول
 (عاصمة الخلافة السابقة) حيث أصابه الذهول والارتياب عندما شاهد الآثار
 الإسلامية العظيمة التي ذكرته بأمجاد الخلافة، العثمانية أبان مجدها وعزها، وكيف
 أصبحت الآن عاطلة من الخلافة فتألم الشاعر من ذلك أشد الألم، وحز في نفسه
 غفلة المسلمين عن الرجوع إلى هذه الفريضة الفانية، والمنارة المفقودة، فلم يسعه
 إلا التوجّه بالنداء إلى أبناء المسلمين مفتثاً وباحثاً عن من يقود سفينته هذه الأمة،
 ويرسي بها في ميناء الأمان والإيمان، ولكنه لا ينتظر الجواب، فيجيب عن سؤاله
 بقوله: إنه لا سبيل لسلامة هذه الأمة ولا عزة لها ولا كرامة إلا بوحدتها واجتماع
 كلمتها، بإعادة الخلافة الإسلامية، تلك المنارة المفقودة والدرة المنضودة فيقول:

(١) أحمد محمد الصديق.

(٢) جريدة "المسلمون".

يا من يقود الركب إن طريقنا
عظمت به الأهوال والأخطار
إن شئت نهجاً للفلاح وخطة
فيها بنبع الحق وهو نهار
فأعد منارتنا التي فقدت فما
تجلى بغیر ضيائها الأكدر
بهذا الأسلوب العذب الجميل، وبهذه الألفاظ الرقيقة الموحية والمعانى الصادقة
الرائعة، ساق الشاعر أبياته السالفة؛ مستهدفاً من هذا العرض الشائق الوصول إلى
هدفه المنشود وأمله المعقود، وهو أنه لا خلاص لمشاكل هذه الأمة، ولا مخرج لها،
ولا سبيل لفلاحها وكرامتها إلا بالعودة إلى الخلافة الإسلامية.

والقرآن المجيد هو كتاب الله الناطق ودستور المسلمين الحي، ومعجزة
الإسلام الخالدة على مرّ الدهور، أنزله الله على رسوله ليكون للعالمين نذيراً،
وليكون لهم سلوكاً؛ ليوحد صفوفهم ويجمع شملهم، وليلتقوا حوله صفاً واحداً وأمة
واحدة، ويتشربوا من معينه ويتذوقوا بيانه وينفحوا أسراره وأحكامه.

وقد لهج الشعراء قديماً بذكر القرآن الكريم، واعتبروه القوة الخفية التي
حفظت للمسلمين وحدتهم، حتى إذا ما تفرق شمل المسلمين وسقطت خلافتهم، عاد
الشعراء يلهجون بذكره، ويذكرون إخوانهم المسلمين بأهمية القرآن المجيد، ودوره
العظيم في حياتهم، ويحتذونهم على الالتفاف حوله من جديد؛ ليس تعبدوا مجدهم
ويستردوا ماضيهم العزيز.

من هؤلاء الشعراء الشاعر محمد مصطفى حمام⁽¹⁾ الذي نظم قصيدة بعنوان
"محمد إقبال"⁽²⁾ ومطلعها:

روضي .. جني ثماره التبيان والشعر ورد فيه أو ريحان

(1) محمد مصطفى حمام: شاعر مصرى معاصر.

(2) ديوان حمام.

حيث يستهلها بمناجاة المسلمين، وحثهم على الوحدة، والتمسك بأهذاب الدين، لا سيما وأن هناك الكثير من القرائن الملموسة، والشواهد المحسوسة في حياتهم العامة التي تؤكد على هذه الوحدة، وتدعى إلى تمتين عراها وروابطها المادية والمعنوية، ألا وهو القرآن الكريم، ورسالة الإسلام الخالدة، والمساجد والمنابر، إلى غير ذلك من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة التي تدعوهم ليل نهار إلى نبذ الخلافات، ودعوي الفرق، والانقسام، والعودة إلى حرم الوحدة الشاملة المقدسة والتي سوف يستعيدون بها مجدهم القديم وسلطانهم العظيم .. يقول الشاعر:

يا أمة الإسلام .. عودوا إخوة
يرجع إلينا العز والسلطان
ماذا يؤلف بيننا وإنما
إن لم يؤلف بيننا القرآن
ماذا يؤلف قدسية ومساجد
ومنابر ومن آذن وأذان

وأخيراً يلخص الشاعر في خاتمة القصيدة إلى تذكير المسلمين بضرورة وحدتهم وتضامنهم وجمع شتاتهم، وسد الثغرات التي تسرب منها أعداؤهم وأوسعوهم عذاباً وتنكلاً، وهنا يلفت انتباهم بأنه أصبح عليهم لزاماً وقبل فوات الأوان أن يتخدوا جميعاً، وأن يحيطوا بهذه الوحدة بسور عظيم، وجدار منيع من التلام والتکاليف، وإلا فلن يبقى هناك بنيان ولا ديار يمكن أن تتحدى في يوم من الأيام لا سمح الله.

كذلك وفي نفس الموضوع ينظم الشاعر / مأمون فريز جرار^(١) قصيدة بعنوان "النصر للإسلام"^(٢) ومطلعها:

كفك دموعك فالإسلام منتصر
ونوره في سماء الكون منتشر
هذا البشائر في الآفاق قد لمعت
بروفها .. وجيوش الليل تتدحر

(١) مأمون فريز جرار: شاعر أردني معاصر.

(٢) ديوان: قصائد للفجر الطالع ص ٧.

حيث يلمس الشاعر بنظرته الثاقبة ويستشف بحدس المؤمن أن بشائر النصر للإسلام، وأنها تلوح في الأفق وقد آن أوانها، وإن بدا للبعض أن الظلم دامس والمخاض عسير، ولكن قدرة الله فوق كل شيء، ووعده بنصر المسلمين فوق كل اعتبار.

ولطمأنة المسلمين، وإشعارهم بقرب هذا النصر يافت الشاعر انتباهم ويدركهم بأهمية القرآن الكريم، وبدوره العظيم في حياة أمتنا الإسلامية، داعياً إياهم إلى العودة إلى منابع الدين الحنيف، وتطبيق الشريعة الإسلامية، والأخذ بما جاء به القرآن الكريم، وترسيم طريق الوحدة، معتبراً أن ذلك هو النصر بعينه، وأنه السبيل الوحيد للمضي قدماً في طريق النصر والعزة والسؤدد .. فيقول:

قرآننا يا أخي دستور نهضتنا وحرز وحدتنا ما مثله الدرر
ودرب أحمد خير الخلق مسلكنا ونحن أتباعه نمضي ونأتمر
وعلى نفس المنوال وبمناسبة ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر،
والتي يجتهد المسلمون في كافة أنحاء المعمورة في إحياء هذه الليلة المباركة،
استغل الشاعر / محمد الأخضر السائحي^(١) هذه المناسبة الكريمة فنسّج قصيدة
بعنوان "ليلة القدر"^(٢) ومطلعها:

رجعت وعادت من جديد بنا الذكرى لأيام ماضينا الذي شغل الدهرا
حيث أودعها تأملاته وتعلمهاته واستشرافاته الوجданية، ثم نظر في أحوال المسلمين المعاصرة فرأى تعثرهم في سبل الحياة التي اقتادتهم إلى مهاوي الجahليّة الجهلاء والضلالات العمياء، فهو لا يرى علاجاً ناجعاً لأدواء هذه الأمة إلا بالتعلق بالقرآن الكريم والرجوع إلى حظيرة الدين الحنيف، هذا الدين المبارك الذي يدعوا إلى التصالمن والوحدة ولا يقبل الفرقنة والانقسام ..

(١) شاعر جزائري معاصر.

(٢) ديوان الإسلاميات.

يقول الشاعر :

ويعطي كما أعلى قدماً لنا فدرا
تصارع حتى لا تجوع ولا تعرى
وإلا كلاماً طيباً يشرح الصدرا
فلا يقبل الدين التفرق والنكرا

وليس سوى القرآن يجمع شملنا
ومل نحن لولاه سوى جاهلية
وما الدين إلا العدل في كل نظرة
والا اجتماعاً في الصفوف ووحدة

ومرة ثانية يؤكد الشاعر السائحي هذا المعنى، وخاصة فيما يتعلق بأهمية الدين الحنيف، ومدى أثره في توحيد دين المسلمين؛ وذلك بقصيدة أخرى له بعنوان "مناجاة هلل المولد النبوي الشريف"^(١) حيث يقول:

الدين وحدنا صفاً فأقعدنا
حين اتحدنا به في أرفع الرتب
وكل فكر من الأفكار مغترب
فلقطعوا كل كف شذ أصعبها
وأقضوا على الخلف والإلحاد والريب
ووحدوا الصف إن الله وحده

وهكذا يتضح ما للقرآن الكريم من مكانة بارزة ودور أساسـي في حـياة
المسلمـين، وما يتضمنـه من معانـي الوحدـة الإسلامية الغـراءـ.

أما الشاعر أحمد محمد الصديق^(٢) فهو من المؤمنين بأصالة ديننا الإسلامي الحنيف ودوره الكبير والمميز في حـياة أمـتنا، وهو أيضـاً من الـوابـقـين بمقدرات هذه الأمة وسـعة مواهـبـها وعـراقـتها في عـالـمـ الخـيرـ والـفضـيلـةـ، لذلك فهو يدعـوهاـ من خـلال قـصـيدـتهـ "يا أمـيـ"^(٣) إلى العـودـةـ إلى نـبعـ الإـسـلـامـ الصـافـيـ، والـارـتقـاءـ في عـالـمـ المـجـدـ والـكـرـامـةـ، والتـخلـيـ عن سـفـاسـفـ الأمـورـ وـمـنـكـراتـ الأـعـمالـ، والـابـتـعادـ عن كلـ معـانـيـ الفـرقـةـ وـالتـشـتـتـ وـالـانـقـسـامـ، ومن ثمـ التـعـلـقـ بـأـهـدـابـ الـوـحدـةـ وـالتـضـامـنـ، وـحـينـئـذـ فـسـوـفـ نـسـتـلـمـ دـفـةـ الـقـيـادـةـ وـالـرـيـادـةـ وـنـقـوـدـ الـعـالـمـ مـنـ جـدـيدـ .. يـقـولـ:

(١) ديوان الإسلاميات.

(٢) أحمد محمد الصديق: شاعر فلسطيني معاصر.

(٣) ديوان نداء الحق.

وتسنمى عرش الوجود
إلى نبوغك من جديد
متاهة الفكر الشرود
خلف السراب بلا حدود
في الفيافي والنجود
حطمي ذل القى وود
فَد آن بعثك من جديد
عظيم دورك في الوجود

عودي إلى الإسلام عودي
عودي إلى النبع الأصيل
عودي إلى الأمجاد بعد
بعد ارتحال لاهث
بعد التمزم والتشتت
يا أمتي أنت العريقة
ودعى المآتم وانهضي
يا أمتي هل تجهلين

وكذلك نراه في قصيدة أخرى نظمها عقب نكبة ٥ حزيران ١٩٦٧ م بعنوان " "

يا مسلمون^(١) مطلعها:

حق الجهاد فليس عنده خيار وغلت مراجل ما لهن قرار

نراه يعلن بكل ثقة وفخر، ويُشيد بكل اعتزاز بدور الجهاد في حياة الأمة الإسلامية، وأن كلمة "الله أكبر" تفعل مفعولها في وجдан هذه الأمة، وما انتصارتها العظيمة التي شهدتها التاريخ الإسلامي إلا ولidea هذه الكلمة التي اتخذها المسلمون شعاراً لهم في حروبهم مع أعدائهم وبها ينتصرون بعد نصر الله وتأييده حيث يقول:

سيظل يخفق صوتها الهدار	الله أكبر في الحياة نشيدنا
يعلو به للمؤمنين شعار	في ظلها يتحقق النصر الذي
ترجي به للعالمين ثمار	هل غير ربك ناصر ومؤيد

وهذا الطريق طريق الجهاد المقدس هو سبيل عزتنا، ورمز فلاحنا، وفيه نحيي مقدساتنا، ونصون أعراضنا، ونجلوا نفوسنا وأفكارنا من أدران الهاوى وأصداء الذنوب:

(١) ديوان "نداء الحق".

فيها نCHAN محرام وذمار
 أبداً لها يتطلع المذمار
 صداً القلوب وتسنوي الأفكار
 هي عزة الإسلام سر فلاحنا
 هي شعلة الإيمان والروح التي
 فعلام لا تصفو النقوس وينمحي
 ثم وبهمة المناضلين الشرفاء، وبعزيمة المجاهدين البررة الأولياء نصون
 وحدة هذه الأمة، لتبقى رايتها خفاقة ملحقة في سماء العزة والكرامة:
 وتعز بالتوحيد رايتها التي ثوارها حقاً هم الثوار
 وبذلك يكون الشاعر قد ألهب حماسنا من خلال قصيدة صادقة العاطفة شديدة
 التأثير دعا فيها المسلمين للانخراط في سلك الجهاد الإسلامي الذي لن تخبو جذوته،
 ولن تنتفع شعلته إلا بالالتفاف حول راية الإسلام الواحدة.
 وكذلك فإن الشاعر بدوي الجبل^(١) قد استوحى من مناسبة وقوفه أمام الكعبة
 المشرفة قصيدة بعنوان "الكعبة الزهراء"^(٢) دعا الله فيها أن يحفظ المسلمين ويؤلف
 بينهم، كما دعا فيها المسلمين أنفسهم لجمع شتاهم، ووحدة قلوبهم، والعودة إلى
 منابع دينهم الذي فيه دواؤهم من كل ما ألم بهم فيقول:

شتات قلوب لا شتات دروب
 ويا رب صن بالحب قومي مؤلفاً
 إذا لم يصاحبه صفاء قلوب
 ويا رب لا تقبل صفاء بشاشة
 وراءهم الإسلام خير طيب
 تداووا من الجلى بجلى وخلفوا
 وشوق نسيب نازح لنسىب
 ويا رب في الإسلام نور ورحمة
 إلى أمم مقهورة وشعوب
 فائل على الإسلام دنيا تمزقت
 إليه وإن شط المزار قريباً
 وكل بعيد حج للبيت أو هفا

(١) بدوي الجبل: شاعر سوري معاصر اسمه محمد سليمان الأحمد.

(٢) مجلة "المجلة العربية" الرياض العدد ١ آب ١٩٧٥ م.

في ثنايا هذه الأبيات التي استهلها الشاعر بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى أن يجمع شتات هذه الأمة، ويؤلف بين قلوبها، نجد عاطفة دينية قوية، ورغبة صادقة في المودة والترابط بينه وبين المسلمين كافة.

وفي سبيل تأكيد هذا المعنى أيضاً، وإبراز دور الدين الكبير في توحيد شمل هذه الأمة، يختتم الشاعر محمد مصطفى البلخي^(١) قصيده الموسومة بعنوان "من وحي عرفات"^(٢) ويدعو أبناء الإسلام إلى لم الشمل، والعودة إلى منابع الدين الحنيف، وإذابة جميع الفوارق والإختلافات والحواجز بين صفوفهم وأفرادهم التي هي من صنع الأعداء والطامعين، وبذلك يتهيأ لهم النصر والغلبة فيقول:

أبناء هذا الدين لمواشكم فأواصر الإيمان خير صلات قد ذاب في يوم على عرفات والله يا إخوان صنع عداتي	وأنـا أبشركم بنـصر آتـ عـودـوا إـلـى دـيـنـ يـوـحـدـ بـيـنـاـ إـنـ اـخـتـلـافـ عـرـوـقـكـمـ وـلـغـاتـكـمـ هـذـيـ الـحـواـجـزـ بـيـنـ كـلـ بـلـادـنـاـ
---	--

. لا شك أن ما جاء في هذه الأبيات النابعة بالصدق هو لفحة ذكية من الشاعر الذي يعقد مقارنة لطيفة بين احتشاد المسلمين على جبل عرفات، وقد ذابت بينهم الفوارق، وتحطمـتـ الـحـواـجـزـ، وظـهـرـواـ بـمـظـهـرـ واحدـ منـ الـأـلـفـةـ وـالـمـوـدـةـ وـالـأـخـوـةـ، وـبـيـنـ تـوـاجـدـهـمـ فـيـ بـلـادـهـمـ وـأـقـطـارـهـمـ الـمـصـطـنـعـةـ الـذـيـ يـعـكـسـ هـذـاـ الـوـضـعـ، وـيـظـهـرـهـمـ بـمـظـهـرـ الـعـدـاءـ وـالـشـفـاقـ وـالـنـزـاعـ، فـمـاـ الـذـيـ غـيـرـهـمـ وـعـكـسـ حـالـهـمـ يـاـ تـرـىـ؟ـ لـوـلـاـ مـاـ صـنـعـهـ بـهـمـ الـعـدـاءـ وـمـاـ زـرـعـواـ بـيـنـهـمـ مـنـ أـسـبـابـ الـفـرـقـةـ حـتـىـ أـوـصـلـتـهـمـ إـلـىـ هـذـاـ الـوـضـعـ

المشين.

وفي مناسبة أخرى يركز الشاعر البلخي على ترسیخ أخوة الإيمان، وتمتين عرى المحبة بين المسلمين، مبيناً أنه لا فرق بين مسلم ومسلم مهما تباعدت الديار

(١) شاعر معاصر له ديوان "فنديل السعادة".

(٢) ديوان فنديل السعادة.

واختلفت الأمصار، ثم يوضح أن أقوى الطرق وأفضل الوسائل لضم شatas هذه الأمة، وجمع كلمتها هو العمل على توحيدها في دولة واحدة وتحت ظل راية واحدة، حيث يقول من قصيدة له بعنوان "توحيدها أقوى على توحيدها":^(١)

فأخوة الإيمان .. أمن عروة
لا فرق بين ديار أمة محمد
قولوا لمن يسعى لضم شتاتها
وعلى أن أسعى إلى توطيدها
فقربيها في الدين مثل بعيدها
"توحيدها" أقوى على توحيدها

حقاً إن توحيد المساعي التي يبذلها الداعون لوحدة هذه الأمة، وانطلاقهم من نقطة واحدة، ورميهم عن قوس واحدة، هو أقوى لهذه الوحدة وأضمن نتائجاً من كل الجهود المبذولة والاتجاهية.

وعلى هدى هذه المعانى الإسلامية الخالصة تمتزج الأسواق الروحية بالمشاعر الوطنية الصادقة فى قصيدة للشاعر / محمد هاشم رشيد^(٢) بعنوان "فى ظلال السماء"^(٣) التى نظمها فى رحاب البيت العتيق أو ظلال السماء كما شاء أن يسمى بها، وقد استهلها بقوله:

بشايراك يا قلب إنا هنا بظل السماء

وبعد أن حلَّ الشاعر في عالم دنياه وأحلامه الخاصة، وتلألأَتْ في شعره المعاني السامية، والصور المترفة، يلتفت فيصف لنا أحوال المسلمين البائسة، وينعى عليهم فرقتهم وانقسامهم إلى دول عديدة ورأيات شتى^(٤)، ثم نراه يخاصم أخيراً بالتوجه إلى الله سبحانه وتعالى والدعاء إليه بأن يقيِّل عنزة المسلمين، ويجمع كلمتهم، ويوحد صفوفهم، متلماً هم اليوم متحدون من حول بيته العتيق وفي رحابه الطاهرة، ولا يعودون إلى أوطانهم إلا والوحدة تغمر كيانهم وأرواحهم فيقول:

(١) ديوان قنديل السعادة.

(٢) محمد هاشم رشيد: شاعر سعودي معاصر: رئيس نادي المدينة المنورة الأدبي.

(٣) محمد هاشم رشيد، الأعمال الشعرية الكاملة ص ٣٥٠.

^{٤)} انظر الفصل الخامس ص .

تبدلت حين تاهت عن خط النور
 بها المتأهات في أحلالك ديجور
 نهباً بكل حديد الناب مسحور
 ليرتني كل أفق ومائجور
 وباسمك اليوم حول البيت تتحدد
 أنا وإن بعْدَتْ أوطاننا جسد
 نشعر ورحنا عن الإسلام نبتعد
 شئ على مذبح الأهواء نحتشد
 وتلقي هذه المعاني التي ساقها الشاعر هاشم رشيد مع معاينه في قصيدة
 "أمام البيت"^(١) (حيث أوجز فيها المعاني الإسلامية الكثيرة التي تتحقق من تجمع
 المسلمين حول البيت العتيق، فيعرفون معنى الإباء الحقيقي، وتزول الفوارق،
 ويذكرن وحدة أصلهم، وتذوب من بينهم فوارق اللون والجنس والعنصر، فلا
 تفاضل بينهم إلا بالتفوى)^(٢) يقول:

من كل فرج عميق من ألف ألف طريق ما بيننا من فرروق لا ينتهي لفريقي معنى الإباء الحقيقة	ليك يارب إنا جئنا إليك شعوباً فزال حين التقينا فلا تدعنا فريقة فالليوم نحن عرفنا
--	--

وهكذا فإننا نلاحظ في المقطوعتين السابقتين للشاعر هاشم رشيد
 أن روحًا واحدة وهمًا واحداً يسيطر على كليهما، وهو هم الأمة الإسلامية المتشتتة
 والمنقسمة على نفسها، ذلك الهم الذي يقض مضجعه ويشغل باله إلى جانب بال كل

(١) محمد هاشم رشيد، الأعمال الشعرية الكاملة ص ٢٦٤.

(٢) د / رزق داود / محمد هاشم رشيد. مرجع سابق.

مسلم غيور، ورأينا كذلك كم حملت هاتان المقطوعتان في ثناياهما من العاطفة الجياشة والإحساس المتوفّد، الذي أشعّله وجوده في ظلال بيت الله العتيق وفي رحابه الظاهرية، كما نلاحظ اندماجه التام في الجماعة الإسلامية، وذوبانه معهم في بوتقة واحدة هي بوتقة الإخاء الإسلامي الحقيقي.

ونمضي قافلة الشعراء مجسدة معنى الوحدة الإسلامية في قصائدهم، ومركزة على أن الإسلام ونبعه الصافي هو أساس هذه الوحدة التي اختارها الله لعباده المؤمنين.

وهذا هو الشاعر عبد الرحمن صالح العشماوي^(١) الذي استغل مناسبة زيارة وفد جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، إلى جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان، فنظم قصيدة بعنوان "الله أكبر"^(٢) ينادي فيها بالوحدة الإسلامية تحت شعار "الله أكبر"، ويدعو المسلمين ليقيوا ظلال هذه الوحدة من دوحة ديننا الإسلامي الحنيف، ويحثّهم على ترك الموبقات والترفع عنها، والركون إلى عمل الطاعات وتزكية النفوس فيقول:

لا نرتضي للMuslimين سفاها صعب و همتا تحت خطاهما زكي النفوس بهديه و سقاها جمع النفوس على النقى و هداها فالله جل جلاله يرعاها فلترفعوها و اعرفوا معناها	يا أخوة الإسلام إنّا وحدة يا أخوة الإسلام إن طريقنا ما أجمل الإسلام منهـل وحدة ما أجمل الإسلام دين عدالة وإذا النفوس ترـفت عن غـيـها الله أكـبر رـمزـنا وـشـعارـنا
--	---

(١) عبد الرحمن صالح العشماوي: شاعر سعودي معاصر له العديد من الدواوين الشعرية.

(٢) ديوان: يا أمّة الإسلام.

كذلك فإن الشاعر / عبد الرحمن سليمان رفه^(١) يجسد في شعره هذا المعنى الذي يعتمد الإسلام أساس وحدة المسلمين ورمز تضامنهم، ويتجلى ذلك في قصيدة "إنا بنو الإسلام"^(٢) التي نظمها في ذكرى حريق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٨م، وفيها ينفي الدعوات المشبوهة التي تتادي بإحياء القوميات المتعددة للأمة الإسلامية، والذي لا يرى فيها سوى أنها مصدر لبعثرة الجهود والطاقات، وتبييد الشمل والغaiات، ويؤكد على أن الشريعة الإسلامية وبنينا الحنيف الذي نزل على سيد الخلق محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام هو الأساس والمرتكز الذي تقوم عليه وحدتنا الإسلامية، وأن القرآن الكريم هو دستورنا ونظام الحكم فيما بيننا، ونحن كلنا أمامه سواء حيث يقول:

وبه الفخار وحقه لا ينكر
يعلو التقى ومن به يتأثر
لم يعل فيها فاسق أو يذكر
إلا بما ذكر الحبيب الأخير
وتعيد ماضي بالماسي يزخر
وبه تسوء حياتنا وتكدر
أبداً وليست ملأة تتأثر
وبه نحتاج .. هل ترى من ينكر؟
 فهو الرسول محذر ومبشر
فالدين يحكم بينكم ويقدر

إنا بنو الإسلام وحد بیننا
فالدین دین محمد فی ظله
ونقول أنتم فی الشريعة أمة
ولكم وشائج لا تفاضل بینها
فحذار دعوى قد تبدد شملنا
فالجهل داء للصفوف مفرق
إن العروبة أحرف لا مذهب
قرآننا دستورنا وإمامنا
وحديث من جاء البرية كلها
أنتم سواسى .. لا تفاضل بینکم

وهكذا نرى أن الشاعر في هذه الأبيات من قصيده السالفة، وما ساقه في ثناياها من تلميحات وإشارات إسلامية مشهورة، إنما يستهدف من وراء ذلك تذكير

(١) عبد الرحمن سليمان رفه: شاعر سعودي معاصر / عضو نادي المدينة المنورة الأدبي: عمل مديرآ للمطبوعات في المدينة المنورة.

(٢) ديوان: جداول وينابيع / عبد الرحمن سليمان رفه ص ٤٣١ ط ٤٠١ هـ.

إخوانه المسلمين باتخاذ الإسلام، والإسلام فقط دون كل الاعتبارات الأخرى أساساً لوحدتنا المرجوة، وجعل القرآن الكريم وهديه الشريف دستوراً لهم ومنهاج حياة، وبذلك تتغشى السعادة في الدارين ويكونون أخوة متساوين متحددين.

وتمر ذكرى الإسراء والمعراج على الشاعر يوسف العظم^(١) فتألمه هذه الذكرى العزيزة قصيدة بعنوان "في ذكرى الإسراء والمعراج"^(٢) وتنقله على جناح الشوق والمحبة إلى أرض الإسراء، إلى القدس الحبيبة - ضمير الأمة الإسلامية - التي طلما غناها أذب أشعاره وأصدقها، ومنحها أسمى عواطفه وأغلاها، في الوقت الذي صب جام غضبه على أعدائها والمتاجرين بها، وكان سيفاً مصلاناً عليهم، حتى لا تكاد تخلو قصيدة من قصائده الكثيرة من التعبير عن هذه المعانى سواء أكان ذلك تصريحاً أو تلميحاً.

وفي هذه القصيدة يدل الشاعر على شدة تعلقه وحبه لمدينة القدس التي ينعتها بأنها استقبلت جنود الله الغاثحين بكل فرح وسرور، وارتقت فيها راية التوحيد عزيزة مشرقة، وظل الأمر كذلك حتى سقطت راية الإسلام فساعات الأحوال وتغيرت الأمور وسقطت القدس والمسجد الأقصى بيد أعداء اليهود فيقول:

أنا للقدس خافقى وورى دى وحياتى ومهجتى ووجودى وقوافي شعري وبيت قصيدي تستحث الخطاب عززم شديد وعلى كل ربوة وصعيد في ذرا القدس راية التوحيد	وعلى القدس قد فصرت حدثى في رباها الله سارت جنود وحديث الإسراء في كل واد يتحدى الكفر الصراح ويعطى
--	---

(١) يوسف العظم: أديب وشاعر أردني معاصر له العديد من المؤلفات الأدبية والشعرية.

(٢) ديوان في رحاب الأقصى ص ٧٣ ط ١٩٧٠م.

بعد ذلك يستشعر الشاعر كل معاني الحزن والأسى والأسف على هذا المصير الذي منيت به مدينته الأثيرة، وأصبحت تئن وتستغيث بأبطالها الميامين من وطأة أعداء الله اليهود الذين دنسوا معالمها ومقدساتها برجسهم الأنثيم:

فيه تحيا حشالة من قرود
لهف نفسي على عرين تهاوى
وأنين الأقصى الحريج ينادي
وبارجس من علوج اليهود

والشاعر وهو في غمرة هذا الحزن يتطلع بكل لهفة وشوق إلى أمل هذه الأمة المتمثل في كتاب (فتح) الجهادية التي استبشر بها المسلمون كنواة للجهاد الشامل الذي يجب أن تسلكه هذه الأمة:

يا سماء القدس أمطريهم لشهيبياً
وأعدي رايات "بدر" أعيدي

ثم يلتفت الشاعر فيوجه الخطاب إلى الأمة الإسلامية داعياً إياها لإعلان الجهاد والجود بأعز ما تملك من متاع الدنيا الزائل، وتسطير أسمى آيات النصر الممهور بالدماء الغالية والنفوس العزيزة، وبعد ما فلترفع علم العز والخلود، ولتنبوا أعلى المناصب وأحظ الأدوار:

أمة المصحف الظهور أفقني
وابغلى ما يملك الحر جودي
واكتبني النصر بالدماء عزيزاً

إن معاني الجهاد وبكافة أنواعه وأشكاله التي ساقها الشاعر في أبياته، وذكرها أكثر من مرة، لدليل واضح على أهمية هذا الجهاد في حياة المسلمين المعاصرة، وأنه السبيل الوحيد لنسعيد به حقوقنا المسلوبة وأرضتنا المغتصبة، والنصر على الأعداء، وتف gio ظلال العز والخلود.

وكذلك نطرق الشاعر/ عبد القدوس أبو صالح^(١) في شعره لإقامة دولة الإسلام، وذلك من خلال قصيده "شاعر الإسلام"^(٢) التي نظمها سنة ١٤٠٦ هـ بمناسبة انعقاد المؤتمر الأول لرابطة الأدب الإسلامي في لكتو بالهند، والذي استطاع أن يوضح فيها مهمة الشاعر الإسلامي في الحياة، ويبين أهمية وضخامة دوره تجاه قضيـاً دينـه وأمـته، ومن خـلال هـذا التوجـيه يستشعر الشاعـر الفـراغ الكـبير الذي يعيشـه ويحسـه هو وـمن معـه من كـافـة أـبـنـاء إـسـلـام بـعـد سـقوـط الخـلافـة إـسـلامـية، وـاخـتـفـاء دـولـة إـسـلام من مـسـرـح التـارـيخ، فـلم يـغـلـ وـهـو يـوجه النـداء فـي خـاتـم القـصـيدة إـلـى رـمـز مـن رـمـوز حـضـارتـا إـسـلامـيـة الـحـدـيـثـة، فـضـيلـة الشـيـخ أـبـو الحـسـن النـدوـي^(٣) - الـذـي أـلـقـيـت القـصـيدة تـحـت رـعـائـته - وـيـدعـوه إـلـى اـسـتـهـاضـ هـمـ دـعـة المـسـلـمـينـ، وـدـعـوـتـهـمـ إـلـى جـمـعـ كـلـمـتـهـمـ، وـتـجـدـيدـ عـهـدـ إـسـلـامـ وـالـنـهـوضـ بـهـ مـنـ كـبـوـتـهـ، وـدـفـعـهـمـ إـلـى إـقـامـة دـولـة إـسـلامـ الـتـي طـالـ اـنـتـظـارـ لـهـاـ ... يـقـولـ:

إـلـهـا "أـبـا حـسـنـ" أـتـيـنا	نـقـبـسـ الإـرـشـادـ وـقـدـاـ
فـاحـشـدـ دـعـاـةـ الـمـسـلـمـينـ	وـكـنـ لـهـمـ عـلـمـاـ وـبـنـداـ ^(٤)
وـادـفـعـ بـنـاـ نـخـضـ الغـمـارـ	وـكـنـ لـنـاـ سـيفـاـ وـغمـداـ
لـنـهـيـبـ بـإـسـلـامـ .. جـددـ	عـهـدـكـ المـيمـونـ عـهـداـ
وـنـقـيـمـ لـإـسـلـامـ دـولـتـهـ	الـتـيـ تـزـدادـ مجـداـ

في هذه الأبيات يتـبـادر للـأـذـهـانـ أـهـمـيـةـ الـعـلـمـاءـ - الـذـينـ هـمـ وـرـثـةـ الـأـنـبـيـاءـ، وـضـخـامـةـ الدـورـ الـذـي يـضـطـلـعونـ بـهـ فـي حـيـاةـ هـذـهـ الـأـمـةـ، وـالـذـيـ بـهـ يـسـتـطـيـعـونـ أـنـ يـنـفـخـواـ فـي عـزـمـ أـبـنـائـهـ، وـالـدـفـعـ بـهـمـ فـي غـمـارـ الصـعـابـ لـتـحـقـيقـ أـسـمـيـ الـأـهـدـافـ وـالـغـايـاتـ.

(١) شاعر سوري معاصر ولد في حلب / نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي.

(٢) من الشعر الإسلامي الحديث / منشورات رابطة الأدب الإسلامي.

(٣) من علماء الإسلام في العصر الحديث: رئيس رابطة الأدب الإسلامي في الهند.

(٤) بـنـداـ: عـلـمـ.

والشاعر هنا يشير إلى أهمية هذا الدور للعلماء بأن يكونوا قادة ووقداً لأبناء شعبهم، ورمزاً لجهادهم ونضالهم، لا مجرد أن يكتفوا بالإرشاد والتوجيه أو السكوت عن البهتان والأباطيل، والتلتفّع في أبراهم العاجية، وذلك هو الدور الجدير بهم والذي فضلهم الله من أجله.

ومع كثرة الدعوات إلى إقامة الوحدة الإسلامية، وعلى كثرة ما فاضت به قرائح الشعراء لاستهانهم هم إخوانهم المسلمين لجمع الشمل وتوحيد الكلمة فيما ذكرناه آنفاً، إلا أن الدكتور / عدنان علي رضا النحوي^(١) في قصidته "ملحمة التاريخ"^(٢) التي نظمها سنة ١٤٠٦هـ عندما وقف على آثار مدينة استامبول، ورثا فيها الخلافة الإسلامية الغابرة، وذكر بعض أسباب هذا السقوط والآثار التي تربّت عليه، نراه ينتهي في خاتمة القصيدة خطأ آخر في الدعوة لوحدة هذه الأمة حيث يشترط على المسلمين إقامة هذه الوحدة الإسلامية ورص الصوف وتوحيد القلوب والأهداف، والالتفاف حول كتاب الله الكريم، وتطبيق السنة الشريفة في حياتنا، وإن حياة بائسة سوف تسود حياتهم، ومصيرأً قاتماً ينتظرون، وسوف لن ينفع عندها تجّرع غصص الندم واجترار الحسرة وسوء العافية، وذلك في قوله:

إن لم تقم أمّة الإسلام واحدة
إن لم نرص صفوّن الحق صادقة
على كتاب من الرحمن أنزله
فرجعي يا دار المسلمين أسى

فأي درب كريم النصر مرتفب
الله من كل قلب غير منشعب
وسنة جمعاً وحياناً وهدي نبى
ورجعي اللحن من شکوى ومن نصب

ولا شك أن ما ألمح إليه الشاعر في أبياته السابقة من سوء العاقبة، والمصير الذي ينتظر هذه الأمة إن لم توحد أهدافها وتجمع كلمتها وصفوفها، هو منتهى الحق وعين الصواب، فالآوضاع التي تعيشها هذه الأيام والظروف التي تكتفتها لهي من

(١) شاعر معاصر له العديد من الدواوين الشعرية المطبوعة.

(٢) ديوان جراح على الدرّب.

السوء والشُؤم والهوان مالاً مزيد عليه، خاصة وأنها تعيش في عصر العلم، وعهد التدوير، وقرب المسافات وإمكانية التواصل والتشاور، وتملك مجتمعة من الثروات والقدرات والإمكانات ما لا تملكه أمة مثلها، ولكن للأسف هذه الثروات تذهب أدراج الرياح، وتتفق في سبيل الغواية والضلال والإستهلاك الذي لا جدوى منه، أو عن طريق الحروب، والحروب المقابلة التي لا طائل من ورائها إلا الدمار والخراب وسوء المصير والعياذ بالله، قال رسول الله ﷺ "إذا التقى المسلم بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار" ويبلغ الحنين مداه والترقب غايته إلى إقامة دولة الإسلام وإحياء الخلافة الإسلامية، والتطلع إلى ذلك بكل صراحة ووضوح، وذلك في أبيات من قصيدة للشاعر يوسف إبراهيم^(١) بعنوان "الكوكب الأفل في ذكرى مأتم الخلافة"^(٢) التي نظمها عام ١٤١٠ هـ وقدم لها بقوله (إلى الأمة التي ترَّقَّب فجر الخلافة المنتظر، إلى الشباب الذين حملوا راية التحرير بيقين المؤمنين وعزيمة المihadين؛ ليُعيدوا دولة الخلافة في ظل رسالة الإسلام الخالدة) وقد خصص الشاعر قصيده الطويلة هذه التي تجاوزت السبعين بيّناً في الحديث عن الخلافة الإسلامية فرثاها، ورسم صورة زاهية لها، ووقف على مدائِنها وأثارها ورموزها، وبين أسباب سقوطها ونتائجها، وقد ذكرنا ذلك في مواضعه من الفصول السابقة، إلى أن يخلص في ختام القصيدة إلى التطلع والحنين إلى إقامة هذه الخلافة التي طال الانتظار لها، والحاجة لممارستها، وإخراجها إلى حيز الوجود، حيث يعتبرها مطلباً أساسياً وهدفاً جوهرياً في حياة أمتنا الإسلامية، خاصة بعد ما ساء وضع المسلمين واستبد بهم أعداؤهم وجلاّدهم، وأذاقوهم الأمرين، لذلك فهو من المتحمسين لإحياء الخلافة، بل واثق ومتأكد من عودتها التي سوف يعم نورها ويزع فجرها وترفرف أعلامها بما قريب في ديار المسلمين بفضل الله وقوته، ثم

(١) يوسف إبراهيم: شاعر سوري معاصر.

(٢) مجلة الوعي / رمضان ١٤٠١ هـ.

بعزם المجاهدين والساعنين إلى تحريرها وتخلصها من رق المستعمررين والجلادين،
وسوف تعود دولة الإسلام شامخة كسابق عهدها وسالف مجدها، وما ذلك على الله
ببعيد حيث يقول:

يا رأية التحرير تاه الركب في ظلماء حالكة وطال بها الشرود
والأعين الظماء تحن إلى الضياء وترقب الفجر الجديد
وكتايب التحرير دائبة الجهاد الظافر المنصور في درب الخلود
لا لن يظل بأرضه الإسلام تحت سياط جلاديه كالصياد الطريد
ستبهد آلهة الضلال ودولة الأصنام في وطني تبهد
ونتعود رأيات الخلافة والجهاد ودولة الإسلام شامخة تعود

نلاحظ أن الشاعر في هذه الأبيات يتفاعل بعودة الخلافة الإسلامية، وفي أيام
دولة الإسلام الكبرى وسقوط كل العوائق والعرaciل من أمامها، وهو إذ يقرر ذلك
لا يلقي بذلك جزافاً، بل إنه يجزم عليه من قبيل الأمر الواقع المتمثل في الجهاد
المتوافق، والعمل الدؤوب الذي تتولاه وتشرف بحمله كتائب الحق
والتحرير، التي وضعـت نصب أنظارها تحقيق هذه الغاية التي لا تغفل عنها أبداً
وتعتبرـها حبـها الأكـبر وشـغلـها الشـاغـلـ حتى تتحققـ بإذن اللهـ.

وقد عرضـ الشـاعـرـ لناـ هـذـهـ الأـبـيـاتـ فيـ لـوـحـةـ فـنـيـةـ رـائـعةـ بـسـيـطـةـ الـأـفـاظـ قـرـيبـةـ
الـمعـانـيـ مـلـيـئـةـ بـالـصـورـ الـبـيـانـيـةـ وـبـخـاصـةـ الـاسـتـعـارـةـ وـالتـورـيـةـ، وـعـبـرـ عـنـ معـانـيـهاـ
تعـبـيرـاـ جـمـيلـاـ وـمـؤـثـراـ.

وتـمرـ الأـيـامـ وـالـسـنـونـ وـهـاجـسـ الـخـلـافـةـ كـماـ ذـكـرـنـاـ، لـاـ يـزالـ يـراـودـ مـخـيلـةـ
الـشـعـراءـ وـيـسـيـطـرـ عـلـىـ أـفـكـارـهـ وـوـجـانـهـمـ، وـيـسـتـغـلـونـ أـيـ منـاسـبـةـ لـلـتـعـبـيرـ عـنـ هـذـاـ
الـهـاجـسـ، وـإـبـرـازـهـ إـلـىـ حـيزـ الـوـجـودـ وـالـعـيـانـ.

ومن هذا القبيل حادث سقوط المجاهد الدكتور عبد الله عزام^(١) شهيداً - إن شاء الله - على أرض أفغانستان، الذي اغتالته يد الغدر والخيانة من أعداء الإسلام، بعد حياة حافلة بالبطولة والجهاد أواخر سنة ١٩٨٩م وعلى أثر ذلك انبرى الشعراء يرثونه ويعبدون مناقبه وبطولاته الجهادية في خدمة الإسلام والمسلمين، ودعوته المتواصلة لوحدة هذه الأمة وإحياء خلافتها الغائبة.

من هؤلاء الشعراء: الشاعر الإسلامي/ عمر بهاء الدين الأميري^(٢) الذي نظم قصيدة بعنوان "شهيد الخلافة الراشدة"^(٣) ومطلعها:

قالوا قد اغتالوه لا ألف لا بل خصه الله بأعلى العلا

حيث نلاحظ أن الشاعر بدأ القصيدة بأسلوب تقريري استكاري يثبت فيه اغتياله ثم ينفي ذلك بداعي أن الله سبحانه وتعالى قد اختصه بشرف الشهادة، ورفعه إليه في أعلى علية، بعد ذلك يأخذ الشاعر في سرد بطولات الفقيد وجهاده الطويل في سبيل الله مقتحماً شتى الصعوبات والأخطار، غير مبال ولا هياب، ما دام ذلك يحقق المبادئ التي نادى إليها والمتجلية في الدعوة إلى جمع شتات هذه الأمة، وبعث خلافتها بعد غيابها الطويل الذي جر عليها الكثير من المأساة والمصائب، وأبعدها مسافات طويلة عن قمة المجد والقيادة فيقول والحديث ما زال عن الشهيد عزام:

فتقتحم الهول الضروس ولا يعيها
يطوف بأرجاء البلاد محرضاً
ينادي إلى بعث الخلافة أمّة
مشتة عن مجدها أبعدت نأيا

(١) مناضل وشهيد ومربي / اشتهر في أفغانستان ١٩٨٩م.

(٢) شاعر سوري معاصر.

(٣) أحمد أبو بكر "ديوان الوداع المر"، ٤١٠ هـ.

نلاحظ في هذه الأبيات التي تمتاز بالسهولة والسلسة، والتي يرثى فيها الشاعر أحد شهداء الأمة الأبرار، كيف أنه استغل هذه المناسبة ليبرز من خلالها معنى كبيراً ويجسد غاية عظمى يسعى لها كل مجاهد وعامل من أبناء هذه الأمة وهي إقامة وحدتها وإحياء خلافتها.

وفي نفس المناسبة طالعنا قصيدة ثانية للشاعر محمد ضياء الدين الصابوني^(١) بعنوان "قد كان عبد الله ليناً ثائراً"^(٢) ومطلعها:

دعني أرق يا صاحبي عَبْرَاتِي أطفي لهيب الحزن في زفراتي

وقد رثى الشاعر في بدايتها الشهيد عزام، وبكاءه بكاء مرّاً، وأراق عليه عبرات الأسى والحزن، وبعد ذلك يخلص إلى مناجاة إخوانه المسلمين الذين أحزنهم الحدث وأثر في وجدانهم، فيدعوهם إلى نبذ الخلافات من بينهم، وترك عوامل الفرقـة والانقسام، تلك العوامل التي بدأـت وحـدتهم ومزقت رـأيـهم، وزـعـت جـهـودـهم ومـقدـراتـهم، وينصحـهمـ بالـعودـةـ إـلـىـ رـاحـبـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ وـمـنـابـعـ الـصـافـيـةـ، وـحـمـايـةـ دـيـنـهـ وـمـعـقـدـاتـهـ منـ كـلـ الـأـفـكـارـ الـمـضـلـلـةـ وـالـمـبـادـئـ الـزـائـفـةـ، وـأـنـ يـجـمـعـواـ شـمـلـهـمـ فـيـ وـحـدةـ شـامـلـةـ تـخـولـهـمـ حـمـايـةـ هـذـاـ الـدـيـنـ مـنـ كـلـ دـعـاءـ الـهـدـمـ وـالـتـضـليلـ فـيـقـولـ:

أنتـمـ أـبـاهـ الضـيـمـ خـيرـ كـفـاهـ	يـاـ قـومـ لـاـ تـهـنـواـ وـكـونـواـ وـحـدةـ
الـنـصـرـ الـمـبـينـ وـمـزـقـتـ رـأـيـاتـيـ	مـذـ دـبـ بـيـنـكـمـ الـخـلـافـ تـأـخـرـ
تـلـكـ الـجـهـودـ لـفـرـقـةـ وـشـتـاتـ	مـذـ حلـ بـيـنـكـمـ الشـقـاقـ تـوزـعـتـ
مـنـ كـلـ تـضـليلـ وـكـيـدـ سـعـةـ	عـودـواـ إـلـىـ الـقـرـآنـ وـاحـمـواـ دـيـنـكـمـ

نلاحظ أن هذه الأبيات وبرغم بساطتها وأسلوبها الخطابي المباشر تحمل بين ثناياها معانٍ كبيرة وتفاصيل كثيرة، بل إنها تكاد تلخص جلّ تاريخ المسلمين

(١) شاعر سوري معاصر يلقب بشاعر طيبة.

(٢) أحمد أبو بكر / المرجع السابق.

الحديث الذي بدا بالتقهقر والانتكاس بعد سقوط الخلافة مباشرةً، ولن تستقيم خطاه إلا بالعودة إلى الوحدة الشاملة التي تستقي مبادئها وأهدافها من النبع الرباني العظيم، من كتاب الله الكريم.

ومن هذه النماذج الشعرية التي يبني فيها الشعراء تطلعاتهم تجاه الوحدة الإسلامية من خلال فصائده قيلت في مناسبات خاصة، قصيدة لكاتب هذه السطور^(١) الذي يشارك إخوانه الشعراء في "مهرجان النصر الثقافي" الذي أحياه نادي المدينة المنورة الأدبي في ١٤١٢/١١/١٢هـ وذلك تضامناً مع انتصار المجاهدين الأفغان في حربهم الطويلة والمريرة مع الإتحاد السوفياتي، وسقوط هذه الأخيرة، وتفكك دولها، وانسحابها مرغمة من أفغانستان وذلك في قصيدة بعنوان "في مهرجان النصر" ومطلعها:

النصر يكفل صنعه الرحمن فابذل جهودك أيها الإنسان
حيث يبارك الشاعر فيها إخوانه المجاهدين الأفغان بانتصارهم الرائع على
أعدائهم من الروس الشيوعيين.

وكان الشاعر لم يطمئن لما صنعه هؤلاء الأعداء ومن لفَّ لهم إزاء هذا الانسحاب، فشك في نواياهم، واعتقد أن وراء الأكمامة ما وراءها، وذلك لما يعرفه من مكرهم ودهائهم وأسبقياتهم الطويلة في تدبير المكائد لبلاد المسلمين، فهو يحذر من مكرهم ودسائتهم وخداعهم، ثم إنه لا يقف عند هذا الحد من التنبية والتحذير، بل يتعدى ذلك فيدعو المسلمين إلى اليقظة وتعبئة النفوس بروح الإيمان، وتوحيد الصفوف في وحدة مقدسة شاملة تستمد طاقتها ومعنوياتها من مبادئ الإسلام الحنيف، ومنابع القرآن الشريف حيث يقول:

يا مسلمون تبهوا للسائلين يلقي بها الأعداء والأعون
الكفر مجتمع على إذلانا والشمل يقطع نسجه الهران

(١) ماجد إبراهيم العامري، ولد في رحابا بالأردن عام ١٩٤٤م.

فـكـل دـار دـولـة وـكـيـان
 قـد آـن أـن يـرـقـى بـنا الإـيمـان
 عـنـوـانـهـا إـسـلـامـ وـالـقـرـآن
 وـبـانتـصـارـ الـأـفـغـانـ عـلـىـ أـعـدـائـهـمـ، وـتـحرـرـهـمـ مـنـ رـقـ الـإـسـتـعـمـارـ الشـيـوعـيـ،
 يـعـتـبـرـ الشـاعـرـ أـنـ هـذـاـ الـإـنـتـصـارـ إـنـمـاـ هـوـ مـرـحـلـةـ أـلـىـ مـرـاحـلـ إـنـتـصـارـ الـمـسـلـمـينـ
 الـمـقـبـلـةـ بـإـذـنـ اللهـ، حـيـثـ لـاـ تـزـالـ أـقـطـارـ عـدـيدـةـ مـنـ بـلـادـنـاـ تـئـنـ تـحـتـ نـيـرـ الـاحـتـالـ،
 وـهـنـاـ يـلـقـتـ الشـاعـرـ فـيـرـنـوـ بـبـصـرـهـ وـبـصـيرـتـهـ إـلـىـ قـلـبـ الـوـطـنـ إـلـىـ أـلـىـ
 الـقـبـلـيـنـ وـثـالـثـ الـحـرـمـيـنـ الشـرـيفـيـنـ، إـلـىـ الـقـدـسـ الشـرـيفـ وـفـلـسـطـيـنـ السـلـيـةـ، فـيـرـىـ أـنـ
 الـاحـتـالـلـ الصـهـيـونـيـ الغـاشـمـ مـاـ يـزـالـ مـسـيـطـرـاـ عـلـيـهـاـ، وـمـتـسـلـطاـ عـلـىـ أـهـلـهاـ الـذـيـنـ
 رـفـضـوـهـ وـقاـوـمـوـهـ بـالـحـجـارـةـ وـالـسـوـاءـدـ، بـيـنـمـاـ هـنـاكـ جـهـودـ تـبـذـلـ، وـتـرـفـعـ أـغـصـانـ
 الـزـيـتونـ مـنـ أـجـلـ سـلـامـ ذـلـيلـ هـزـيلـ، فـيـنـدـ الشـاعـرـ بـهـذـاـ السـلـامـ كـافـةـ إـلـىـ إـلـانـ الـجـهـادـ
 الـمـقـدـسـ تـحـتـ ظـلـلـ وـحدـةـ إـسـلـامـيـةـ عـزـيزـةـ الـجـانـبـ، يـعـنـوـ لـهـاـ الـعـالـمـ أـجـمـعـ وـذـلـكـ
 بـقـوـلـهـ:

الـيـوـمـ دـورـ الـقـدـسـ نـبـذـلـ دونـهـاـ
 لاـ سـلـمـ وـإـسـلـامـ تـسـلـبـ أـرـضـهـ
 لاـ سـلـمـ وـإـسـلـامـ يـسـفـحـ عـرـضـهـ
 اللهـ أـكـبـرـ حـيـنـ يـخـفـقـ عـالـيـاـ
 وـيـعـودـ لـإـسـلـامـ مـشـرـقـ وـجـهـهـ
 نـهـمـ لـقـدـ آـنـ لـلـقـدـسـ الشـرـيفـ أـنـ يـحـشـدـ لـهـاـ جـمـيعـ الـمـسـلـمـيـنـ فـيـ كـلـ بـقـاعـ الـدـنـيـاـ
 فـهـيـ لـهـمـ جـمـيعـاـ وـمـنـ حـقـمـ جـمـيعـاـ، فـأـرـضـ فـلـسـطـيـنـ، أـوـ أـيـةـ أـرـضـ إـسـلـامـيـةـ مـحـتـلـةـ،
 هـيـ أـرـضـ تـهـمـ كـلـ الـمـسـلـمـيـنـ، وـشـرـفـ الـجـهـادـ فـيـ سـبـيلـ اـسـتـرـدـادـهـاـ مـنـ يـدـ الـمـحـتـلـ
 وـاجـبـ عـلـىـ كـلـ مـسـلـمـ وـمـسـلـمـةـ، وـلـيـسـ مـقـتـصـرـاـ عـلـىـ فـئـةـ دـوـنـ أـخـرـىـ.

و هذه قصيدة أخرى للشاعر يوسف إبراهيم^(١) بعنوان "تحت الثلج والصقيرع
والخيام"^(٢) والذي نظمها في ٢٠١٩ م و مطلعها:

أصبحت في وطني غريباً ومشرعاً ضلّ الدروب
وسياط إسرائيل تلهيني على ذل وتوسعني ندوبا

حيث يصف فيها واقع المسلمين المرير، وحاضرهم المؤلم، فيقوده هذا
الوضع، إلى تذكر أمجاد الخلافة الإسلامية، فيرسم لها صورة زاهية، ثم يخلص في
ختام القصيدة إلى مخاطبة الغافلين واللاهين من أبناء أمتنا الذين ما زالوا يجرؤون
ويلهثون خلف الأماني الكاذبة والوعود البراقة التي يطلقها المسيطرون في الهيئات
الدولية المختلفة من أجل حلول القضايا الإسلامية، ولا سيما قضية القدس الشريف،
والمسجد الأقصى المبارك، وحيث أنه لا يعتقد بصدق هذه الوعود، ويشك في
صدقها، بل يندد بها ويرفضها، فإنه إزاء هذا الموقف يطرح حلّ آخر يراه
كفيلاً بحل كل مشاكلنا وقضاياها، وجديراً باسترداد مقدساتنا وكرامتنا، ألا وهو
إعلان الجهاد المقدس، وإشعال الثورة الإسلامية العارمة، التي سوف تتجلى برفع
رايات النصر الإسلامي فوق الأقصى المبارك بقيادة أمير المؤمنين وخليفة رب
العالمين حيث يقول:

يا راقيين على يد الأحلام في سكر الوعود مخدريين
اللهثين بمجلس "الرعب" الصليبي الذي في قبضة المستعمرين
ماذا وراء القدس .. غير المسجد النبوى والحرم الأمىن
أنا صيحة من صوت تارichi تهز ضمائير المتمردين
أنا ثورة جنت فلم تعرف طريقاً للكفاح سوى الجنون
لا سلم حتى تتحقق الرغبات في الأقصى لتمحو من حمام الغاصبين
ويقود جيش النصر في ظل الخلافة نحو غايته .. أمير المؤمنين

(١) يوسف إبراهيم.

(٢) مجلة الوعي. عدد ٧٢ شوال ١٤١٣ هـ.

من هذه القصيدة والقصيدة السابقة "الكوكب الأول" للشاعر يوسف إبراهيم يتضح لنا مدى تعلقه القوي وحماسه الشديد للجهاد المقدس والخلافة الإسلامية، وأنهما هاجسه الأول والأخير، ويتبين أيضاً أنه من العاملين من أجل هذه القضية، ذلك أن هذا الشعر القوي النبرات الصادق اللهجة، والبالغ في التعبير والتأثير لا يأتي من فراغ، بل يدل على أنه صادر من شاعر ملتزم مشبع بالأفكار الإسلامية البناءة، ومنفعل بقضايا أمتنا الإسلامية وتفاعل معها.

وبهذا القدر نكتفي من إيراد ما سطره الشعراء من أشعار في الحنين للخلافة الإسلامية والدعوة إلى وحدة المسلمين، وذلك خشية أن يطول بنا البحث آمليين أن تعطي الأشعار التي استعرضناها في هذا الفصل فكرة شاملة عن الموضوع.

الباب الثالث

الظواهر الفنية والبلاغية في شعر الأصياد

• توطئة

الفصل الأول: الظواهر الفنية والبلاغية من حيث:-

أ - المعجم الشعري

ب - البناء الفني

ج - الوحدة الموضوعية

د - الموسيقى

ه - الظواهر البلاغية

الفصل الثاني:- السمات العامة والخصائص المشتركة من حيث:-

١ - الصدق في التعبير

٢ - الموقف والالتزام

٣ - التقريرية والخطابية

٤ - المعاني الإسلامية

الباب الثالث

الظواهر الفنية والبلاغية في شعر الأصياد

توطئة:

بعد سقوط الخلافة العثمانية الإسلامية سنة ١٩٢٤م كان الشعراء المعاصرون لهذا الحدث قريبين منه بأجسامهم وأرواحهم، لذلك جاء شعرهم أقرب إلى واقعه، وأكثر حماساً وأشد تأثيراً من الأشعار التي تلتنه، وكذلك كان أعظم فنيّة وأكبر تجربة وإحساساً بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم.

ولما تباعد العهد به، أحس الشعراء بعد ذلك بالفراغ الكبير الذي تدور فيه أمتنا الإسلامية، والمتاهات الكبيرة التي تتخطى فيها، فكان هذا حافزاً لهم وداعياً لاحتذاء خطأ سابقيهم، فعلا صوتهم محرّرين ومنذرين من هول الواقع المؤلم الذي يكتف أمتاً والمصير البائس الذي ينتظرها، فجاء شعرهم كذلك ناطقاً بالصدق ونابضاً بالحركة، ومعبراً عن هذا الواقع المؤلم والحاضر التعيس.

لذلك لا غرّ إذا لمسنا في شعر هذه الأصياد، حرارة العاطفة والصدق الفني والإحساس العميق، في كافة أشكالها وظروفها، ونراه يعتمد في أغلب الأحيان المذهب الواقعي الذي يتسم بالقريرية والسرد المباشر.

وفي نظرة متأنية واستغراق شامل في هذا الشعر الذي بين يدينا، نستطيع القول: إنه صور واقع المسلمين وما آلت إليه أحوالهم وحياتهم، ولوّنها بعواطف ملتهبة وشعور عميق وإنفعال صادق، نابعاً من ذواتهم وأعمق نفوسهم.

هذا وسوف ندرس في هذا الباب الجانب الفني لشعر الأصياد، من حيث تقويمه والوسيلة التي عبر فيها عن نفسه.

ونظراً لكثرة عدد الشعراء الذين تناولوا هذا الشعر، ونظرأ لاختلاف مذاهبهم الشعرية وطريقة تناولهم للشعر؛ فمن الطبيعي أن لا يُستوي أداؤهم الفني أو يأتي على نمط واحد، بل لابد من التفاوت البسيط بين شاعر وأخر أو بين قصيدة وأخرى، غير أن ذلك لن يمنعنا من أن نذكر السمات العامة والخصائص المشتركة والظواهر الفنية له، وخشية أن يطول بنا المقام إذا استعرضنا جميع الأشعار التي يظهر فيها الأداء الفني جلياً واضحاً، فسوف نعمد إلى اختيار النماذج التي تؤدي الغرض، ونقف بنا بصورة تقريرية على أهمية هذا الشعر وقيمةه الفنية وذلك وفقاً لما يلي:-

أولاً: الظواهر الفنية من حيث

- أ- المعجم الشعري.
- ب- البناء الفني.
- ج- الوحدة الموضوعية.
- د- الموسيقى.
- هـ- الظواهر البلاغية.

ثانياً: السمات العامة والخصائص المشتركة من حيث:-

- ١- الصدق في التعبير.
- ٢- الموقف والالتزام.
- ٣- التقريرية والخطابية.
- ٤- المعانى الإسلامية.

الفصل الأول

الظواهر الفنية والبلاغية

الفصل الأول

الظواهر الفنية والبلاغية

أ- المعجم الشعري:

الشعر تعبير عن الحياة بخيرها وشرها، وتصوير للنفس الإنسانية بفضائلها ورذائلها، وقيمها وجمالها، وللشعر لغته وتعابيره ومعجمه، وقد اختلفت لغة الشعر المعاصر عن لغة الشعر التراثي لاختلاف العصر وتغيير مقاييسه. ونتيجة لهذا الاختلاف يسعى كثير من الشعراء لتكوين معجم شعري خاص بهم، ولكن هذا الصنيع لا يمنعهم من النسج على منوال الشعر العربي قديمه وحديثه، واستعمال ألفاظ ومصطلحات مشتركة، طالما طرقها الشعراء من قبل وتقنوا في عرضها، دون أن نعتبر هذا مجرد تقليد سواه كان هذا في الأداء أو في المضمون، حيث إن لكل شاعر مبدع طريقته وأسلوبه الخاص به، ونظرته المنطلقة إلى آفاق التحرر والتجديد، واستخداماته الخاصة للألفاظ التي قد تحمل في ثناياها شحنات دلالية وإيحائية تختلف عن الاستخدام الذي درج عليه السابقون.

وفي شعر الأصداء، سوف نعثر عن أساليب متعددة تتسم بالبرقة والعدوبة، وأخرى تتصف بالقوة والجزالة، وسنجد مفردات متشابهة أحياناً، وأخرى مختلفة أحياناً أخرى وذلك لأن المفردات اللغوية في الشعر لا تختلف من عصر إلى عصر فحسب، بل هي كذلك تكاد تختلف بين شعراء الجيل الواحد^(١). وذلك معنى التفرد والامتياز بين كل شاعر وآخر.

ومن النماذج الشعرية في شعر الأصداء، التي تمتاز بالبرقة والانسيابية هذه الأبيات من قصيدة "أذان الزحف" للشاعر عمر بها الدين الأميركي، إذ يقول:

(١) د / عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر: قضيـاهـ الفـنـيـةـ وـالـمـعـنـوـيـةـ.

خطر الموت أين من يشفيها
ومضاء وأسلك هدى باريها
علاج من آية يحييها
ورشاد فذ وكن مجريها

يا شباب الإسلام أمتنا في
فتتبع لها بدينك علماء
ليس إلا "القرآن" بادر إليها
وتسلم سفينها بسداد

وكل ذلك نرى هذه الرقة في الأبيات التالية من قصيدة: "الراية الإسلامية"

للشاعر إبراهيم أحمد عبد الفتاح، في قوله:-

إلى الرغم .. ذليل الشأن متضعا
أقدام أعدائه حتى غدت قطعا
بين الأنام .. وشمل الشرق مجتمعا

لهفي على علم مال الزمان به
داست على راية الإسلام حادة
متى نرى دولة الإسلام شامخة

فهذه الأبيات على رقتها وسلامتها يتحكم فيها عاملان رئيسيان ساعدا على
هذه الرقة والسهولة والوضوح، هما: ظروف الشاعرين الحياتية، وثقافتها
العصرية، إضافة إلى طبيعة الموضوع الذي يتحدثان عنه ويخاطبان فيه جماهير
أمّة الإسلام والذى يقضى سهولة الألفاظ وبساطة الأساليب، دون تعقيد أو
غموض ليكونا قريبين منهم سواء في الألفاظ أو في المعاني والأفكار.

ومن النماذج الجزلة الألفاظ، القوية التراكيب، والتي تمتاز بالصور الأدبية
الفخمة المتداقة: قصيدة للشاعر / أحمد محرم / بعنوان "الخلافة الإسلامية ونكبة آل
عثمان" ومنها:

أجيبي يا (فروق) فتى حزينا
بركن الدهر، واستعليت حينا
وليلهم الكتائب والحسون؟
وإن جعل السماك له سفيننا؟
وبينظيم القياصر أجمعين

أعن خطب الخلافة تسألينا
هوى العرش الذي استعصم منه
فأين للباس يفتح المنابع
وأين الجاه يغمر كل جاء
تدفق يأخذ الأقطار طرا

فانظر إلى هذه الألفاظ الجزلة والصور الأدبية الرائعة التي استمدتها الشاعر من معجمه الشعري المتميز الذي استوحاه من هول المناسبة وطبيعة الحديث. إضافة إلى الرصيد الكبير من الكلمات الشعرية السلسة الألفاظ والعذبة المعاني من ألفاظ السابقين، فقد طعمها الشعراء المعاصرون بألفاظ مستحدثة، واستطاعت أن تؤدي دورها في الحياة نظراً لما يمتاز به الشاعر المعاصر من الثقافة الشاملة المتعددة الرواقي، ومن الاطلاع الواسع والبحث العميق الذي يقوده وبالتالي إلى التعبير الفني ذو الشكل الرائع والمضمون الشامل:-

انظر إلى قصيدة "الزحف المقدس" للشاعر / عمر بهاء الدين الأميركي حيث يقول:

شمري يا شعوب نبني الكيانا
وطدي باسم ربنا الأركانا
وأقيمي قواعد الدين صرحا
مشمخرا واستلهمي الديانا
منهج الفتح للغد المتمنني
وأعد ي الجهاد والإيمانا

وكذلك إلى قصيدة "النصر للإسلام" للشاعر مأمون فريز جرار حيث يقول:-

كفك دموعك. فالإسلام منتصر
ونوره في سماء الكون منشر
هذا البشائر في الآفاق قد لمعت
بروقيها. وجيوش الليل تتدحر

وهكذا تناسب الألفاظ والتركيب والصور سهلة قوية وقريبة التماول في تصوير أبي يأسر القلب ويأخذ باللب، حيث تظهر فيه الألفاظ فصيحة سهلة النطق بعيدة عن الوحشي والغريب من القول، وهي بحق تلائم الفاظ العصر الحديث التي قيلت فيه، وهو ما يسمى بعصر البحث والإيحاء.

بـ - البناء الفني:

اهتم الشعراء الأقدمون ببناء القصيدة وإحسان بنائها، وأعملوا الفكر والحواس في هندستها وإقامة هيكلها، وخاصة فيما يتعلق بالقصائد الطويلة أو المطولات،

وتعدد الأغراض في القصيدة الواحدة، وقد اتسم الكثير من هذه القصائد بوحدة الموضوع والتمازج التام بين الشكل والمضمون.

وعلى كل حال فقد هذا شعراً الأصداء حذو القدماء في كثير من أسس البناء الفني للقصيدة العربية التقليدية والذي يتكون من:-

١ - **بناء الفكرة:**

ويقصد بها المعاني التي تدور حولها القصيدة، وطبيعة هذه الأفكار، ومدى تسلسلاً وانسجامها في وحدة موضوعية أو فكرية أو عدم انسجامها.

٢ - **البناء الشكلي:**

وهو نوعان:

أ - **البناء الشكلي الخارجي:**

ويقصد به كيفية ربط هذه الأفكار في تسلسل أبياتها وتناسق معانيها وترتيب الوحدة الفنية التي تكون محصورة في إطار قوالب الأبيات وترتبطها.

ب - **البناء الشكلي الداخلي:**

ويقصد به ما في داخل القصيدة من علاقات تجسم المعاني التي تشع من التكرار والتوازن والتقابل بين الألفاظ والعبارات، فإنه يعطي نوعاً من الإيقاع الموسيقي، فيعني التصوير بمعانٍ جديدة تضاف إلى معانٍ الألفاظ وإيحاءاتها ويضاف إلى معانٍ الأسلوب واستدعاءاته.^(١)

كما حرص الشعراء المحدثون على القديم من الشكل، وأعرضوا عن كثير من عناصر القصيدة القديمة مثل المقدمات، وعدم الالتزام بالاستهلال بالأطلال أو التشبيب، متميزين بالبناء الفكري المنظم الذي يقوم على الحجة والبرهان، الزاخر

(١) ب / محمد إبراهيم المطرودي / الشريف الرضي وأدبه.

بالتراث الفكري والمعنوي والمعاني السامية، المستلهم من أعماق القلب والوجدان،
المسخر في أغلب نماذجه لخدمة المجتمع وقضاياها.

ولقد اتسم شعر الأصياد الذي بين أيدينا بمثل هذه السمات التي ذكرناها،
ولعل في النماذج التالية منه، خير ما يدل على هذا البناء الفني لجزل الألفاظ
والقوى التراكيب، المليء بالصور البينية والبدعية المجنحة.

ففي قصيدة "وقفة على طلل للشاعر / محمود غنيم يقول:-

أمسى كلانا يعاف الغمض جفناه
مالى وللنجم يرعانى وأرعاه
مجدا تلذا بأيدينا أضعناه
إني تذكرت والذكرى مؤرة
 فأصبحت تتوارى في زواياه
وبح العروبة كان الكون مسرحها
تجده كالطير مقصوصا جناحاه
أنى اتجهت إلى الإسلام في بلاد

ثم يقول:

أني لأعتبر الإسلام جامعـة للشرق .. لا محض دين سنة الله
فأنت تلمح في هذه الأبيات، كما ذكرنا، قوة الألفاظ والتراكيب، وروعـة
التصوير والتجسيـم، والإيقاع الداخلي الذي يهز النفوس ويشير انتباـه القارئ
والملتـقي.

وكذلك الأمر في قصيدة "الإسلام دين ودولة" للشاعـر محمد الآـني حيث
يقول:-

وأرخي زمام الفكر والفكر جامـع
أفكار طول الليل .. والليل كالـاح
فيـسـخـرـ منـ أـطـلـالـهاـ الفـقـرـ سـائـحـ
ـمـعـافـانـاـ قدـ أـصـبـحـتـ أـثـريـةـ
ـوـغـصـتـ بـهـمـ دـورـ الخـنـاـ وـالـمـارـحـ
ـمـسـاجـدـناـ تـبـكـيـ الشـبـابـ مـنـ الجـفـاـ
ـيـصـابـ بـعـدـواـهـ الحـجاـ وـالـجـوارـحـ
ـأـيـرـجـيـ صـلاـحـ وـالـمـدـرـسـ فـاسـدـ

ومن قراءة هذه النماذج، يتضح لنا تميز هذا الشعر ببنائها الفني، وخلوه من التعقيد اللفظي والمعنوي، مع الوضوح والنهج على سنن القصيدة الحديثة، والتي تخلو كما ذكرنا من المقدمات والالتزام بالاستهلال بالأطلال والتشبيب، علاوة على أن اللغة التي استعملت فيه هي اللغة المألوفة والبعيدة عن المحسنات اللفظية والبدائية المتعمدة.

ج- الوحدة العضوية والموضوعية:

تتمثل الوحدة العضوية للقصيدة في وحدة المشاعر التي تستقطبها، وفي كيفية ترتيب الصور والأفكار ترتيباً متنامياً تتخلق من خلاله القصيدة تخلقاً عضوياً طبيعياً، يفضي كل جزء إلى وظيفته إضاءة متسلسلاً، بحيث نصل في النهاية إلى بنية حية للقصيدة تتشابه تماماً ببنية الكائن الحي في انسجامها وتشكيلها الطبيعي، والوحدة العضوية قد تقوم على أساس من الوحدة الموضوعية، إلا أنها تتجاوز وحدة الموضوع إلى وحدة البناء العضوي الذي لا يستقل فيه بيت عما سبقه وما لحقه، ومع ذلك فينبغي أن نفهم الموضوع فيما شعرناه بعيداً عن جفاف الفهم النثري المحدد للموضوع، لأنها أي الوحدة الموضوعية - توضح إحساسات من جنس واحد، وتثير أفكاراً من نوعية واحدة وتحدث آثارها في المتألق على نحو متقارب، مما يؤهل بالفعل، في ظلال هذه الأبعاد الثلاثة، لميلاد الوحدة العضوية التي تصبح نتاجاً طبيعياً لوحدة الإحساس ووحدة التعبير ووحدة الأثر .. أي وحدة الربط الموضوعي وال النفسي بين موجات القصيدة في مدها وانسياقها جميعاً ..^(١).

وعلى هذا القياس فإن في قصائد شعر الأصداء على كثرتها وتنوعها تبدو لنا الوحدة الشعرية والموضوعية جليلة واضحة، كما وأنها قد طرحت مواضيعها بشكل واقعي ملائم، وتدور حول محور واحد: هو محور الخلافة الإسلامية

(١) د / محمد أحمد العزب / عن اللغة والأدب والنقد / رواية بلاغية وروية فنية.

والوحدة الإسلامية، وتبدو كأنها قصائد متكاملة ذات موضوع واحد، حيث إن المؤثر في التجربة عامل واحد، كما أن المعاني في الأبيات تدور حول محور واحد أيضاً، ومع ذلك تبقى أوجه المفضلة بين الشعراء، تابعاً للأسلوب الفني وطريقة التصوير فيما بينهم. "والاهتمام بالوحدة العضوية في القصيدة له دلالته النفسية، إذ يعكس هذا الاهتمام نفوساً ناضجة ذات عواطف وخواطر مركبة، الشعر القائم على وحدة الموضوع له سمات متميزة عن سائر الشعر، وأول هذه السمات: طول نفس الشاعر، وقدرته على ملاحة المعنى وتتبعه بالاسترسال فيه، وإن ذلك من شأنه أن يزيد المعنى وضوحاً ويوفر للنص وحدته الموضوعية والنفسية، والسمة الثانية التي تطبع هذا الشعر: أنه لا يقبل التقديم والتأخير في الأبيات، وأنه يخضع للنسمية والعنونة ضمن غرض واحد.

والوحدة العضوية بما أنها الوحدة المعنوية في النص تعني "اطراد الخواطر والمشاعر في جميع أبيات القصيدة"^(١).

وعن الوحدة العضوية في القصيدة أيضاً يقول العقاد "إن القصيدة ينبغي أن تكون عملاً فنياً تماماً يكمل فيه تصوير خاطر أو خواطر متجلسة، كما يكمل التمثال بأعضائه، والصور بأجزائها، واللحن الموسيقي بأنغامه، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها"^(٢).

ونحن لو رحنا نلقي الضوء على شعر الأصداء، ونكشف عناصر الوحدة العضوية المتمثلة فيه، فسوف نجد أن الوحدة العضوية والشعرية متوفرة سواء في القصيدة الواحدة أو في مجموع هذا الشعر بشكل عام، وهي من الوضوح والظهور بحيث لا تحتاج إلى بيان، نظراً لأن هذا الشعر قد تم اختياره بالأصل ليتمثل بهذه الوحدة التي تدور حول محور الخلافة الإسلامية بشكل واضح وجلي.

(١) د / إبراهيم الحاوي / حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي.

(٢) د / بدوي طبانة / قضايا النقد الأدبي.

فعلاوة على الوحدة العصورية التي جاءت في المقطوعات القليلة الأبيات، فإنك تجد هذه الوحدة أيضاً في القصائد الطويلة متعددة الأغراض، و تستطيع أن تلمحها في مثل قصيدة "الخلافة الإسلامية ونكبة آل عثمان"^(١) للشاعر أحمد محرم والتي مطلعها:-

أعن خطب الخلافة تسألينا أجيبي يا (فروق) فتى حزينا
وكذلك في قصيدة "خلافة الإسلام"^(٢) للشاعر أحمد شوقي، ومطلعها:-
عادت أغاني العرس رجع نواح ونعيت بين معالم الأفراح
ونرى هذه الوحدة أيضاً في قصيدة "إسطنبول" أو إسلامبول للشاعر / عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني .. ومطلعها:-
يا ذا الجناحين حط الرحل مزданا إذا وصلت إلى اسطنبول نشوانا
إلى غير ذلك من القصائد، التي تشهد بالوحدة الموضوعية في شعر الأصداء،
ونلح فيها التسلسل والترابط الشديدين، والتي أودعها منشئوها كل ما يشغل
مجتمعهم ويهتم عالملهم الإسلامي الكبير.

د - الموسيقى:-

تلعب الموسيقى دوراً أساسياً كأدلة من أدوات التشكيل في البناء الشعري، وهي خاصية عظيمة من خصائص اللغة، وذلك لما لها من أثر عميق في التأثير على روح الإنسان وأحساسه، وقدرتها على مخاطبة عواطفه وجذب مشاعره.
والشعر عادة لا يتطلب عاطفة وخياراً جميلاً فحسب، بل يتطلب إلى جانب ذلك تلك الموسيقى المؤثرة، وذلك لأهمية الجانب الصوتي في البنية العامة له.

(١) أنظر / الباب التالي / الفصل الأول /:

(٢) أنظر / الباب التالي / الفصل الأول / ص:

ومما هو جدير بالذكر فإن الموسيقى الظاهرية تتشكل من عدة عناصر أهمها:

الأوزان والبحور والقوافي والروي وغير ذلك، فبالنسبة للأوزان والبحور في شعر الأصداء، فإن الشعراء قد داروا على معظم الأوزان الشعرية المعروفة، ونسجوا قصائدهم على أساسها، ولم يخرجوا على أعاريض واحد منها، وذلك لأن "الوزن يعتبر أهم مصدر لموسيقى الشعر، والذي ينشأ من تحرك الحروف وسكونها في البيت الشعري، فيجري منساقاً على نظام خاص ناشئ من تكرار الوحدة العضوية الناشئة من الحركة والسكون، وهذه الوحدة تسمى "تفصيلات" وكل التفصيلات في نسق خاص بالمقطوعة الشعرية الواحدة تسمى الوزن، والمعول عليه في هذا الوزن هو النطق لا الكتابة"^(١).

ونحب أن نشير هنا إلى أن بعض النقاد والباحثين قد درسوا العلاقة بين الوزن الشعري والحالة النفسية للشاعر، ومدى انعكاس ذلك على اختيار الشاعر للبحر الذي يتاسب مع حالته النفسية" وفي الحقيقة فإن الرأصد للشعر العربي قد يمه وحيثه يجد أن الشعراء قد نظموا على البحر الواحد جميع الأغراض الشعرية المعروفة، لذلك فإنه لا يمكننا أن نحدد البحر أو الوزن الشعري من خلال ارتباطه بحالة الشاعر النفسية، غير أنه يمكن القول بأن الملكة الشعورية، وصدق المعاناة لدى الشاعر، قد توحيان بالتناسب بين الأوزان الشعرية والمعانوي المنظومة، وتشكلان علاقة متناغمة فيما بينهما.

وحيث نلقي نظرة على الأوزان الشعرية في شعر الأصداء فسوف نرى - وكما سبق ذكره أن الشعراء قد نظموا هذه الأشعار على معظم البحور والأوزان الشعرية المعروفة، واختاروا مفرداتها وألفاظها بحيث تتفاوت بين الرقة والجزالة وذلك بحسب الموضوع الذي يطرقونه، ولكن ما يجمع بينها أنها قد سلمت من تناقض

(١) د / إبراهيم الحادي / حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي ص ٢٤٢ .

الحروف، وخلت من الغموض والتعقيد اللفظي والمعنوي، كما أنه لا يخفى علينا ما في هذه الأشعار من الإيحاءات والموسيقى الداخلية المثبتة من خلال الأبيات، انظر إلى هذه الأبيات من شعر الأصداء، التي تذوب رقة عذوبة سلasse موسيقية ظاهرة، وذلك في قصيدة "سقوط الحضارة" للشاعر عبد الرحمن لعبيدي:-

فظلمة الجهل والإلحاد تشقيها
إن مات صانعها ما مات راويها
وسفهت دولة الرومان تسفيها
وإن أبٌت فهي مولى من مواليها

أشرق بنورك يسري في دياجتها
عد بي دولة الإسلام شامخة
هزت عروشاً لكرسي في تجبره
واستسلمت أمم للحق طائعة

فهذه الأبيات من البحر البسيط ذي السلسة الخلابة والموسيقى الظاهرة
المثبتة داخل الأبيات والتي اكتسبتها تلوينا صوتياً خاصاً، وانظر كذلك إلى هذه
الأبيات من قصيدة "يا رب" للشاعر / محمد مصطفى حمام:-

صدق المتاب فهل تجرب سؤاله
لم يخف حالهم عليك وحاله
جسم سوي مزقت أوصاله
فتمكنت أعناقهم أغلاله
واشتد فيهم بطشه ونكاله
عن آمسي يومنا ووبالله

يا من يجيب التائبين دعاك من
المسلمون ودينهم في محنـة
وأراهموا متفرقين كأنـهم
وأراهموا قد مكنوا العدوـهم
صالـ العدو عليهم متـجبراـ
يا رب ألمـنا طريقـك تـصرفـ

هـ- الظواهر البلاغية:-

في شعر الأصداء الذي يمتد إلى مساحة زمنية واسعة تقدر بحوالي سبعين سنة من ١٩٢٤ - ١٩٩٤م، والذي شارك فيه العديد من الشعراء بمختلف مذاهبهم الفنية والبلاغية.

يطول بنا المقام إذا رصدنا جميع الظواهر البلاغية فيه ولذلك فسنحاول إلقاء الضوء على بعض هذه الظواهر وأساليب مما يدل على القيمة الفنية لهذا الشعر بشكل عام وذلك من حيث:

أولاً: الصور الشعرية والأخيلة.

ثانياً: المحسنات البدعية والصنعة اللفظية.

أولاً: الصور الشعرية والأخيلة:-

من المعروف أن الصور هي الوسيلة التي ينقل بها الأديب عواطفه ومشاعره إلى المتألقين فتجعلهم يحسون بنفس مشاعر الأديب، والصور إما صور خيالية تقوم على عنصر الخيال، كالتشبيه والاستعارة والكناية، وإما صور شعرية.

وقد ظلت الصورة القديمة تسيطر على الكثير من الشعراء المحدثين وتتأسر هم، ومعينا لهم يغترفون منه صورهم، غير أن العديد منهم، استطاع أن يرتقي بهذه الصور ويطورها فركبوا فيها صورا أخرى جديدة، بدأ فيها أكثر إشراقاً ولمعاناً.

"والصورة الشعرية هي ميدان العمل الذي تظهر فيه مقدرة الشاعر ويبرز تمكنه من الصنعة، وهي الصيغة الأدبية التي يقدم فيها الأديب فكرته ويصور تجربته"^(١).

وهي أيضاً قيمة فنية بكل معانيها وعنصر حيوي في التناول الشعري وصياغاته الأسلوبية.

وقد عرفها الدكتور زكي مبارك بقوله "هي أثر الشاعر المفلق الذي يصف (المريّات) وصفاً يجعل قارئ شعره ما يدرى أقرأ قصيدة شعر أم يشاهد منظراً من مناظر الوجود، والذي يصف (الوجودانية) وصفاً يخيل للقارئ أنه ينادي نفسه،

(١) د / عبد الفتاح صالح نافع / لغة الحب في شعر المتنبي ص ٢٩٠.

ويحاور ضميره، لا أنه يقرأ قطعة ممتازة لشاعر مجيد^(١). ونكر الدكتور مبارك أيضاً أن شرط الصورة الشعرية هو الإحاطة بالموصوف، وتسجيل جميع جوانبه.

وإذا بحثنا في شعر الأصداء فسوف نجد أن الكثير منه يزخر بالصور المشرقة والخيال المجنح ومعظم الظواهر والألوان البلاغية المتنوعة، تلك الألوان التي تأتي مما تستدعيه التجربة الصادقة والرغبة الجامحة، لا من قبيل التكلف والصنعة، وفي هذا الشعر لا يقتصر الخيال على التشبيهات والمجازات الحسية فقط، بل نراه يشمل روح القصيدة وخواطرها، وينقل إلينا تجربة عميقة وشّعوراً قوياً، وينقلنا إلى جو يسيطر عليه صدق الانفعال وقوة الخيال.

وفي ما يلي من النماذج سوف نرى العديد من الصور الفنية الراقية التي تؤيد ما ذكرناه فلننظر إلى هذا المقطع من قصيدة "النصر للإسلام" للشاعر / مأمون فريز جرار الذي يقول فيها:-

أعداؤنا أحکموا يا صاح خطائهم
لکنهم في الذي قد خططوا فتلوا
سرنا وراءهم كالشاة إذ تبعـت
جزارها لا ترى ما يرسم القدر
حتى انتبهنا على صوت يحذرنا
إن الطريق ظلام كلـه حفر

فسوف نرى أن الشاعر يصور حال المسلمين الذين يسيرون خلف أعدائهم على طريق الغواية والضلالة بحال الشاة التي تتبع جزارها وقاتلها بغير هدى وبصيرة، ولا شك فإن هذا المقطع يقوم على الصورة الواضحة الجميلة، ورغم أنها تقليدية وغير مبتكرة، فإن صياغتها جاءت قوية وحافلة بالعديد من عناصر الجمال والفنية.

ولنتأمل كذلك في هذا المقطع من قصيدة "وقفة على طلل" للشاعر / محمود غنيم الذي جاء فيه:-

أن اتجهت إلى الإسلام في بلد تجده كالطير مقصوصاً جناحـاه

(١) د / زكي مبارك / الموازنة بين الشعراء ص ٤٦.

فالصورة كما يبدو هنا حسيّة بصرية، صور الشاعر فيها أحوال الدول الإسلامية العديمة الحول والقوة بسبب الأوضاع السيئة فيها وهيمنة الإستعمار عليها، وشبّهها بحال الطائر الذي لا يقوى على التحليق والطيران بسبب فقدانه لجناحيه، ولا شك أن الصورة كانت موفقة وواضحة وقد لامسها الخيال برفقه ونَتَّؤَدِّه.

وإذا ما تبعنا الصور والأخيلة في شعر الأصداء، فإننا ما نزال نعثر على
الكثير من الصور الجميلة والأخيلة المجنحة.

ففي قصيدة "كنا لها لا روم لا سasan" للشاعر / محمد كامل الاني، الذي جاء فيها.

رسالة سفينة الإسلام تمخض لجنة
صاغت خلافتها السماء وأشترقت
هي ملة الإسلام تجمع بيننا
هي دوحة كبيرة تغدو ظلها
نشرت لها علماء يرفف عاليا

سوف نجد أنفسنا أمام لوحات من الصور المتنوعة والمتحركة، التي استعانا بها الشاعر بالتوضيح التشبّهي والتقرّيب الاستعاري، والتّقّت مع الفنّاعات الذهنية له، بمعنى أنه أتاح للسامع قراءة الصور الحسية والذهنية معاً.

ومن هذه الصور الجميلة ذات الجزيئات المتكاملة والأجزاء المتضامنة، التي تبدو وكأنها لوحة شعرية مميزة، هذه الأبيات من قصيدة "يا أمي" للشاعر أحمد محمد الصديق، الذي يقول فيها مخاطباً أمّة الإسلام:-

وتسنمی عرش الوجود
إلى نبوغك من جديد
الفک ر الش رواد

عوادي إلى الإسلام عوادي
عوادي إلى التبع الأصيل
عوادي، إلى الأمجاد بعد متأهلة

خلف السراب بلا ورود
الحيران ضائعة الجهد
عن صرخات مقرور شرید
في الفيافي والنجود
على الصواعق والرعد
في قبضة الخصم اللدود
أشرف ما اكتسبت من البرود

بعد ارتحال لاهث
بعد التخبط في الدجى
بعد انحسار الليل
بعد التمزق والشتت
يا أمتي هلا صحوت
عجباك أنك لعبت
لأك صغرة الرحمن

حقاً فإن هذه الاستعارات والتبيهات والكلمات، التي تجمع جزئياتها لتكون لوحة متكاملة كما ذكرنا، جاء تصوير الشاعر لها نابضاً بالحياة والحركة، وصور لنا صورة جميلة تتفرع منها صور جزئية كثيرة يسلم بعضها إلى بعض في تسلسل قوي واضح.

ويرسم أيضاً الشاعر / محمد الخضر حسين صورة موحية نابضة بالحياة والخلود، ندب فيها الخلافة الإسلامية حيث يقول فيها:-

واعتز باسمك عرشهم هجروك
في الخافقين لأنهم حرسوك
والأمن إن نظروا بعين ضحوك
والنصر يعقد بالقنا المشبوك
أمم بأغلى فديّة تفديك

ما خطب قوم طالما وصلوك
حرسوك أحقاها .. وحلق صيتهم
كنت الوفار على وجوه غزاتهم
كنت البطولة تزدري نار الوغى
ما زالت سلط قلادة خرزاتها

فهذه الصورة المشعة للخلافة، الغنية بالتفاصيل المتلاحقة والتي تحفل بعناصر عديدة من الجمال الفني، هي صورة نفسية متكاملة الخطوط والألوان، وليس معقدة ولا مفرقة في الإحالات والخيال، وتعكس نفسية الشاعر وانطباعه عن هذه الخلافة التي تمثل قمة الافتخار والعز والكرامة للمسلمين.

ومثل هذه الصور المتكاملة، نجدها كثيرة مبثوثة في شعر الأصياد، وسنكتفي هنا بهذا القدر الذي قدمناه من هذا النوع من الصور.

أما فيما يتعلق بالصور الجزئية الغير متكاملة من تشبيه واستعارة "وكنایة"؛ فهي كذلك متوفرة في شعر الأصداء بشكل طبيعي، قريب المأخذ وبقدر ملحوظ، حيث تم استخدام هذه الألوان بجميع محاسنها وفنيتها للتعبير عن الموضوعات الشعرية المطروحة في هذا البحث؛ تجاوباً مع الروح العصرية الحديثة التي يمثلها شعراء الأصداء ذووا الثقافة المتميزة والاطلاع الواسع.

وسوف نذكر بعض هذه الأساليب ذات الصور الجزئية فيما يلي:-

أ- التشبيهات :

التشبيه هو: بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه^(١). والتشبيه لسهولة إدراكه يحدث أثراً في النفس يختلف عن الآثار التي يحدثها غيره من الأساليب البلاغية، وفي هذا المعنى يقول أبو هلال العسكري "التشبيه يزيد المعنى وضوها ويكسبه تأكيداً^(٢)". والتشبيه أسلوب مهم من أساليب البلاغة في جميع ميادين القول؛ لأنَّه أداة سهلة لإيصال المعنى إلى المتلقى بكل سهولة ويسر، وقد أكد على أهمية ذلك الناقد عبد القاهر الجرجاني بقوله "إذا جاء التمثيل في أعقاب المعاني كساها أبهة ورفع من أقدارها".

وفي شعر الأصداء سوف نعثر على العديد من أساليب التشبيه المختلفة. من ذلك: هذا البيت من قصيدة "الزحف المقدس" / للشاعر عمر بهاء الدين الأميري بقوله:-

نحن في يومنا بغاث إذا لم نتخد هدى ديننا فرقانا

(١) د / أحمد أبو حممة / علوم البلاغة.

(٢) أبو هلال العسكري / كتاب الصناعتين.

ففي قوله "نحن في يومنا بغاث" تشبهه بلية، حذف منه أداة التشبّه ووجه الشبه.

- ومنه البيت التالي من قصيدة "الوداع" للشاعر / محمد الحسناوي

فإذا العروبة رأيَةٌ معقودةٌ الله للتوحيد لفرقان

ففي قوله: العروبة رأيَةٌ معقودةٌ تشبهه بلية

- ومنه هذا البيت من قصيدة "سلاماً فروق" للشاعر جميل علوش

وشمرت للدين الحنيف مغلباً فواعجبنا أنت الأجم وتنطح

في قوله: أنت الأجم تشبهه بلية أيضاً

- أما التشبّه الذي نلمحه في قصيدة "روح وريحان" للشاعر / وليد الأعظمي

في قوله :

"قرآنكم" يا مسلمون سناؤه كالبدر في كبد السما يتائق

فهو: تشبهه تمثيلي.

أما أساليب التشبّه المفرد فهي من الكثرة بمكان، ومن أمثلة ذلك قوله:-

المسلمون على الدروب بلا هوى متفرقون كنائه القطعان

وقوله من قصيدة "الفوز بالقرآن" للشاعر بهاء الدين الأميري.

الشرق والغرب كالقرطاس في يده فلا يرى فيه مملى الخط عصياناً

وقوله من قصيدة "اسطمبول" للشاعر عبد الرحمن الميداني.

كأن الذي يمشي على الأرض هلاك من الحذر والسكنان

وقوله من قصيدة "ملحمة القسطنطينية" للشاعر / عدنان النحوي

هذا الشموخ كأنه أسطورة خفيت وراء جلالها الأشعار

إلى غير ذلك من أساليب التشبيه المختلفة والذي تكسب هذا الشعر جلاءً ووضوحاً، وقد وردت فيه عفو الخاطر دون أدنى تكلف ومعاناه.

بـ- الاستعارة

الاستعارة بشكل عام هي ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة دائمًا بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، وهي فن بلاغي تداوله العرب في ملثورهم الأدبي، وقد عرفها الجاحظ بقوله "إنها تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"^(١). وأسلوب الاستعارة أيضًا من الأساليب البلاغية التي تؤثر في النفس، وركيزة من ركائز الأسلوب الأدبي، وتتجلى بلاغتها في أنها تجمع بين الحقائق المترادفة، وإنها تعطي المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وهي مع هذا تجسد الانفعالات، كما أنك تلمس في الاستعارة الجدة التي تأنس بها النفس، وتجد أن الكلمة الواحدة تصاغ في أكثر من قالب، وتصور بأكثر من ريشة واحدة، ومع هذا فكل صورة جمالها الخاص وأسباب حسنها.

والاستعارة ملزمة للأدب الخالص شرعاً ونثراً، وهي الأداة السحرية التي تخرج الحشود النفسية المزدحرة، وتحلق بأجنحة رفافة من الصور المعبرة، وقد حفل شعر الأصداء بالعديد من الاستعارات النابعة من انفعال الشعراء بموضعاتهم انفعالاً خصباً، جعل المعنى يتغلغل في إدراكنا تغللاً روحاً دافقاً، وسوف نذكر فيما يلي وعلى سبيل المثال جملة من الأبيات الشعرية التي تحمل مثل هذه الاستعارات والصور الجزئية ومثال ذلك:-

قال الشاعر / معروف الرصافي في قصيدة "ما بال قومي"

ثم اغتنوا بعد حين في جوانحهم نار التخاذل بالشحنة تضطرم

(١) الجاحظ / البيان والتبيين ح ١ ص ١٥٣.

الاستعارة في نار التخاذل

وقال الشاعر معروف الرصافي أيضاً في قصيدة "حن وحاله العالمية"
فاعتاصمنا منها بحبل وثيق هو حبل الاخاء والإيمان
الاستعارة في حبل الاخاء

وقال الشاعر / أحمد محمد الصديق
فعلم لا تصفو القلوب ويساوي الأفكار
صدأ القلوب ويمحى الاستعارة في صدأ القلوب

وقال الشاعر الدكتور / عدنان على رضا النحوي في قصيدة "ملحمة التاريخ"
تلقي رصاص الغدر من كل جانب وردي سهام الموت عن لجهات
يوجد استعارات في رصاص الغدر، وسهام الموت.

وقال الشاعر / محمد مصطفى البلنخي في قصيدة "من وحي يوم عرفة"
قطعوا حبال الدين فيما بينهم وعرى العقيدة أوثق العزوات
يوجد استعارات في حبال الدين، عرى العقيدة

وقال الشاعر عبد الرحمن العبادي بمناسبة انتهاء القرن الرابع عشر الهجري
يا سيد الرسل قد باتت عروبتهم سيفاً به هتك للدين أستار
الاستعارة في هتك للدين أستار

وقال الشاعر أحمد محمد الصديق في قصيدة / حمامه الحرم الشريف
في رحاب الطهر قلب خاشع يجلو الهموم ويغسل الآثاما
الاستعارة في يغسل الآثاما.

وال المستمعين للأبيات السالفة وغيرها مما لم نذكره في هذه الدراسة، يجد أن حظ الاستعارة فيها كان مقبولاً، والتكتوين الاستعاري يستأهل منا الوقوف، وذلك نظراً لأهمية أسلوب الاستعارة بين أساليب الأدب العربي بشكل عام، وأثرها القوي على النفوس، لذلك لا نستغرب إذا ما لجأ إليها شعراء الأصياء، وذلك لأنها عنصر جوهري لتشخيص وتجسيم مظاهر الطبيعة، والتعبير عن مشاعرهم إزاء مظاهر السلوك الإنساني، تسمى بالمعنى العام الذي تتحدث عنه وتتوظفه^(١).

ج- الكناية:

يقصد بالكناية : كل لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته.

وهي تكون إما كناية عن صفة، أو كناية عن موصوف، أو كناية عن نسبة، والكناية تقوم على التلميح لا على التصريح، تعتبر أعم من التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل، والفرق بين الكناية والمجاز هو جواز إرادة المعنى الأصلي اللغوي للكلمة في الكناية، وعدم جواز ذلك في المجاز.

هذا وقد زخر شعر الأصياء بالعديد من أساليب الكناية، مثلها مثل غيرها أساليب البلاغة المختلفة وفي الأبيات المختارة التالية، دليل على وجود هذه الأساليب.

- وقال الشاعر: د/ يوسف القرضاوي، في قصيدة "إليك يا ابن الإسلام":
والزم طريق رسول الله في ثقة وفي اعدال وجانب خلط من خطا
ففي قوله: الزم طريق رسول الله: كناية عن الاستقامة والاعتدال واتباع السنة
وهي كناية عن صفة.

(١) انظر / علوم البلاغة / مرجع سابق.

- وقال الشاعر: إبراهيم أحمد عبد الفتاح، في قصيدة "الراية الإسلامية"
 لهفي على علم مال الزمان به إلى الرغام ذليل الشأن متضعا
 ففي قوله: علم مال الزمان / كناية عن السقوط والهوان، وهي كناية
 عن صفة.

- وقال الشاعر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، في قصيدة "اسطنبول"
 يا ذا الجناحين حط الرجل مزادنا إذا وصلت إلى إسطنبول نشوانا
 ففي قوله: يا ذا الجناحين، كناية عن الطائرة، وهي كناية عن موصوف.
 وكذلك في قوله بنفس القصيدة

- قواعد الحق أرست مجدها حقبا قرونها قبضة لم تخش أفراننا
 ففي قوله: قرونها قبضة "أي مدة خمسة قرون .. وهي كناية عن موصوف.

- وقال الشاعر محمود غنيم في قصيدة "وقفة على طل"
 مالي ولنجم يرعاني وأرعاه أمسى كلانا يعاف الغمض جفناه
 وفي قوله: يعاف الغمض جفناه، كناية عن عدم النوم والقلق وهو كناية عن
 نسبة.
 وكذلك قوله في نفس القصيدة :

ويح العروبة كان الكون مسرحها فأصبحت تتوارى في زواياه
 في هذا البيت كنایتان: الأولى: كان الكون مسرحها كناية عن الاتساع والغلبة
 وهي كناية عن صفة.

الكنية الثانية في قوله: تتوارى في زواياه، كناية عن صغر الحجم وقلة الشأن
 وهي كناية عن صفة أيضا.

- وقال الشاعر / محمد كامل الآني في قصيده "كنا لها روم لا ساسان"
 صاغت خلافتها السماء وأشرقت منها الدنيا وتحرر الإنسان
 ففي قوله: صاغت خلافتها السماء: كنایة عن القديمة والأهمية هي كنایة عن موصوف.

- وقال الشاعر: معروف الرصافي، في قصيده "تحن والحالة العالمية"
 وحدة جاءنا من الله فيها مرسل بالكتاب والفرقان
 ففي قوله: مرسل بالكتاب والفرقان، كنایة عن سيدنا محمد (صلی اللہ علیہ وسلم) وهي كنایة عن موصوف.

- وقال الشاعر: د / جميل علوش في قصيده "سلاما فروق"
 يرون مساجدنا تستباح ولا يسهمون بعود ثقاب
 ففي قوله: ولا يسهمون بعود ثقاب: كنایة عن عدم الإغاثة والمساعدة وهي كنایة عن نسبة.
 وهكذا يتضح لنا كيف وظف شعراء الأصداء الكنایة في شعرهم بطريقه
 عفوية وبعيدة عن التكلف والمعاناه.

ثانياً: المحسنات البديعة والصنعة اللفظية:

الأسلوب أحد عناصر العمل الأدبي المهمة، وهو لا يكفي بالدقة والوضوح، كما لا يكفي بمعنى الكلمات الحرافية وذلك نظرا لأن الكلمات كما هو معروف تعبير طبيعي عن الأفكار ورموز للأغراض لا المشاعر، لأن غاية الأدب تصوير الإحساس الرأقي وبعثه، لذلك يستعين الأديب فيه بحسن التأليف والموسيقى لبيانه به أوجا من القوة والجمال فيستجيب إلى مرتقبات الذوق والوجدان، فإنه لا بد

للسُّلُوبُ الأَدْبِيِّ مِنْ صُنْعَةٍ^(١) . وَهَذِهِ الصُّنْعَةُ تَدْخُلُ تَحْتَ مَسْمَى عِلْمِ الْبَدِيعِ، الَّذِي يُمْكِنُ تَقْسِيمَهُ مِنْ حِيثِ:

١ - **المحسنات المعنوية**:- وَهِيَ الَّتِي يَكُونُ التَّحْسِينُ بِهَا رَاجِعًا إِلَى الْمَعْنَى أَوْ لَا
وَبِالذَّاتِ مِثْلِ الطَّبَاقِ.

٢ - **المحسنات اللفظية**:- وَهِيَ الَّتِي يَكُونُ التَّحْسِينُ بِهَا رَاجِعًا إِلَى الْلَّفْظِ أَصَالَةً،
وَإِنْ حَسِنَتِ الْمَعْنَى تَبَعًا، إِذْ يَنْتَفِي حَسْنُ الْلَّفْظِ وَيَصْبُرُ مَرْذُولًا إِذَا لمْ يَتَطَلَّبْ
الْمَعْنَى وَإِذَا لمْ يَكُنْ ذَا أَثْرٍ فِي النَّفْسِ، وَعَلَمَةُ الْمَحَسِّنَاتِ الْلُّفْظِيَّةِ أَنْ تَغْيِيرُ
الْلَّفْظِ بِمَا يَرَادُفُهُ يَفْسُدُ حَسْنَهُ، وَذَلِكَ مِثْلُ الْجَنَاسِ.

وَهَذِهِ الْمَحَسِّنَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ أَوِ الْلُّفْظِيَّةِ تَقْبِلُ لِدِيِ الْمُتَلَقِّيِّ إِذَا كَانَتْ بَعِيدَةً عَنِ
الْتَّصْنِيعِ، قَرِيبَةً مِنِ السَّلِيقَةِ، أَمَا إِذَا قَصَدَ بِهَا الزَّخْرَفَةُ وَالْبَهْرَجَةُ الزَّانِفَةُ فَهُوَ يَحْتَاطُ
مِنْ قِيمَةِ النَّصِّ الْفَنِيَّةِ، وَيَبْعَدُ الْكِتَابَةَ عَنِ الدُّوْقِ الصَّافِيِّ وَالْتَّعْبِيرِ السَّلِيمِ، وَشِعْرُ
الْأَصْدِاءِ يَحْفَلُ فِي بَعْضِ جَوَانِبِهِ بِالكَثِيرِ مِنْ أَسَالِيبِ عِلْمِ الْبَدِيعِ دُونَ قَصْدِ مِنْهُ أَوْ
تَكَلُّفِهِ، وَسَنَكْتُفِي هُنَا بِدِرَاسَةِ أَسْلُوبَيْنِ مِنْ أَسَالِيبِهِ وَهُمَا:-

١ - **الطَّبَاق**

١ - **الطباق**: وَيُعْرَفُ بِأَنَّهُ: الْجَمْعُ بَيْنَ لَفْظَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ فِي الْمَعْنَى، وَالْمُتَفَقِّصُ
لِشِعْرِ الْأَصْدِاءِ سُوفَ يَعْثِرُ عَلَى العَدِيدِ مِنِ الْأَبْيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي يَتَغَلَّلُ فِي
ثَيَايَاهَا مِثْلُ هَذِهِ الْأَسْلُوبِ، وَبَيْنَ يَدِينَا مَجْمُوعَةً مِنْ هَذِهِ الْطَّبَاقَاتِ نَخْتَارُ مِنْهَا
مَا يُلِيهِ:-

قال الشاعر / د / عدنان علي رضا النحو / في قصيدة "ملحمة التاريخ"
حبست الهوى أمسكت حبل شكاني وأرخت لأيام .. حبل أنائي

(١) د / محمود أحمد أبو عجمية وآخرون / علوم البلاغة ص ١٤٣ .

نلاحظ في البيت طباقين:- أحدهما بين الفعلين أمسكت وأرخت و الآخر بين الاسمين شكائي وأناتي:-

- وقال الشاعر / محمد مصطفى البلخي / في قصيدة "توحيدها أقوى على توحيدها"

لا فرق بين ديار أمة أحمد فقربها في الدين مثل بعيدها
الطباق هنا بين الاسمين قربها وبعيدها.

- وقال الشاعر / معروف الرصافي:-

قد أنهضتهم إلى العلياء وحدتهم واليوم أقعدهم عنها أن انهزموا
الطباق بين الفعلين أنهضتهم وأقعدهم

- وقال الشاعر محمد الشاذلي الخزنة دار في قصيدة "الانقلاب الكمالى".

ما كنت مادحهم إلا لما صنعوا ما كنت هاجيهم إلا لما ارتكبوا
فالطباق هنا بين اسمي الفاعل: مادحهم وهاجيهم

- وقال الشاعر: محمد الأخضر السائحي في قصيدة "ليلة القدر"

وإلا اجتمعا في الصفوف ووحدة فلا يقبل الدين التفرق والنكراء
الطباق هنا بين الاسمين:- الاجتماع والتفرق

- وقال الشاعر / د / أمجد الطرابلسي في قصيدة "أيا صوفيا"
أيا صوفيا" تذري الدموع وتتسفح وتمسي على مر الأنين وتصبح
الطباق بين الفعلين: تمسي وتصبح
ونكفي بهذا القدر من ذكر أسلوب الطباق في شعر الأداء.

- الجناس: وهو ما اتفق فيه الفظان المتجانسان في أربعة أشياء:

وهي: نوع الحروف، وعدها وهيئتها الحاصلة عن الحركات والسكنات، وترتيبها مع اختلاف المعنى، وهو إما تام تتفق فيه اللفظتان كما ذكرنا في عدد الحروف ونوعها وترتيبها، أو غير تام تتجانس فيه بعض المقاطع لا كلها: ويزخر شعر الأصياء بالعديد من أساليب الجنس وتحتار منها

قال الشاعر عمر بهاء الدين الأميري في قصيده "من وحي المهرجان"

يا بن زيدون والقررون توالت والدواهي وكلها دهباء
الخلافات بالخلافة أودت واقتسمنا وسادنا الدخلاء

يوجد جناس ناقص بين: الدواهي ودهباء، وكذلك بين الخلافات والخلافة.

- وقال الشاعر: محمود غنيم في قصيدة "وقفة على طلاق"

راع يبعد إلى الإسلام سيرته يرعى بنيه وعيّن الله ترعااه

يوجد هنا جناس ناقص بين راع ويرعى

- وقال الشاعر / محمد مصطفى البلخي: في قصيدة "توحيدها أقوى على توحيدها"

قولوا لمن يسعى لضم شتاها توحيدها .. أقوى على توحيدها

يوجد هنا جناس تام بين توحيدها الأولى كمصدر لتوحيد ضم الجهود، وبين توحيدها الثانية التي تعني توحيد هذه الأمة

- وقال الشاعر / أبو الفضل الوليد في قصيدة "البغدادية"

شدوا وشيدوا دولة عربية يرجى لها بعد الفناء معاد

حيث يوجد جناس ناقص بين شدوا وشيدوا

- وقال الشاعر أبو الفضل الوليد أيضا في قصيدة "الجهادية"

يا عكفا حول الحطيم تحطموا غيطا .. وكل في الوغى حطام

يوجد جناس ناقص بين الحطيم وتحطموا وحطام. هذا إلى غير ذلك من المحسنات البدعية المبثوثة هنا وهناك في النصوص المختلفة من شعر الأصداء، التي تشكل الإيقاع الداخلي في موسيقى البيت، وجاءت عفو الخاطر، وصدرت عن طبع من غير تعلم وقد فكر، فأعطت للتصوير الأدبي ما جعله يهز الوجدان ويحرك العواطف.

وخلاصة القول : إن شعر الأصداء يزخر بالألوان البلاغية المختلفة، وهذه الألوان كما ذكرنا تتأثر بما تستدعيه التجربة لا من قبيل التكلف والصنعة، ويتبين أيضاً أن توظيفهم للأسلوب البلاغية المصطلح عليها، يقترب من توظيفهم للفصائد، ولا يتبع عن استخدامات عمود الشعر العربي التقليدي، وبشكل عام فإن أهم مميزات شعر الأصداء ما يلي:-

- أغلب هذا الشعر نبضات شعورية تنطق عن إرادة الشعور في موقف حماسي حار.
- تحققت فيه الوحدة الموضوعية، حيث قام هذا الشعر على موضوع واحد تقريباً يتعلق بالخلافة الإسلامية.
- سلامة فطرة قائلية وصفاء جوهرهم وبعدهم عن خبث الطوية.
- بعده عن التكلف ومستكرة الألفاظ، مع سهولة وترابطه ..
- غناه بالصور واللوحات الشعرية، وتتنوع الخيال الشعري فيه من تشبيه واستعارة وكنایة.
- يمثل هذا الشعر الوجه الناصع والصورة المشرقة للأدب الدعوي الإسلامي، حيث تلمح فيه الدعوات الصريحة وال مباشرة، إلى إعلان الجهاد المقدس وتطبيق الشريعة الإسلامية، وإلى قيام الوحدة الإسلامية والخلافة

الإسلامية، إضافة إلى أن الكثير منه قد دار على استهانه الهم، وإيقاظ
النفوس من أجل قضايا أمتنا الإسلامية المصيرية.

-٧- وأخيراً فإن هذا الشعر كان خير نموذج لهؤلاء الشعراء، الذين أطلقوا
سقوط الخلافة الإسلامية، ووقعه المؤلم على أبناء أمتنا الإسلامية. ومن ثم
التعبير عن هذا الحدث الجلل بكل اقتدار.

الفصل الثاني

السمات العامة والخصائص المشتركة

لشعر الأصداء

الفصل الثاني

السمات العامة والخصائص المشتركة لشعر الأصياد

من خلال شعر الأصياد الذي ندرس له يتبلور لنا أن هذا الشعر - وكما ذكرنا أكثر من مرة يختلف أحيانا في معجمه اللغطي، تركيبه السياقي والدلالي، ويتفاوت جماله الفني، ويبرز للعيان الفروق الفنية بين قصيدة وأخرى حسب شاعرية الشاعر وأدواته ومقدراته الفنية.

غير أن هناك بعض السمات العامة والخصائص المشتركة التي يتحدد فيها الكثير من هذا الشعر - ولا أقول معظمها أو جميعه - حيث إنه ينبع من قلوب انتقضت للمعاناة من واقع التجربة الشعورية، ويصدر عن شعراء عاينوا بأنفسهم مصابات هذه الأمة وجراحتها، فوظفوا إيدعاتهم في سبيل الأغراض التي درسناها في هذا البحث والمتمثلة في رثاء الخلافة الإسلامية والحنين إلى إحيائها، أو الدعوة إلى الوحدة الإسلامية وغيرها من الأغراض التي تناولوها في أشعارهم، منافقين ومدافعين عن قضايا هذه الأمة الشائكة ومصاباتها المتعددة، فجاءت هذه الأشعار التي صاغوها بكل وضوح وسلامة لقرر المعاني والمضمونين الإسلامية الرفيعة التي تهم عامة المسلمين قبل خاصتهم.

وقد آن لنا أن نتعرف على بعض هذه السمات والخصائص المشتركة لهذا الشعر، متعمدين في ذلك على بعض النماذج المختارة والتي هي رائدنا في الحكم عليها، وذلك حسب المواضيع التالية:-

- أ- الصدق في التعبير.
- ب- الموقف والالتزام.
- ج- التقريرية والخطابية.
- د- المعاني الإسلامية.

أ- الصدق في التعبير

تمتاز أغلبية القصائد التي بحثناها في شعر الأصداء بالصدق في التعبير، وبالعاطفة الحارة القوية، والشعور العميق المتذبذب الذي ينم عن الانفعال الصادق، يؤدي دوره وتأثيره على أكمل وجه، ذلك أن معظم هذه القصائد عبارة عن مشاعر حميدة وأحساس صادقة، بينما وأنها تعالج في معظمها غرضين من أغراض الشعر العربي هما: الرثاء والحنين، حيث لا سبيل هنا إلى التكلف أو المبالغة والغلو، لأنها تجربة صادقة.

وبقراءة سريعة لعدد من النماذج الشعرية فيه، نستطيع أن نلمح هذا الصدق بكل سهولة ويسر، وسوف نكتفي بالإشارة إلى بعض هذه النماذج التي تدل على هذا الصدق وتكون برهاناً عليه.

ففي قصيدة "إليك يا ابن الإسلام" للشاعر الدكتور / يوسف القرضاوي الذي يقول:-

- تقول ما لبني الإسلام قد هزموا ولم يسروا إلى العلياء قيد خطأ

كأنما جعل الإسلام متّهماً
والحق أبلج لا يحتاج كشف غطاء
الذنب ذنب بني الإسلام مذ بعدوا
عن منهج الله أضحي أمرهم فرطا
إذ لم يعد حبّهم بالله مرتبطة
عقد "الخلافة" قبلًا كان ينظمهم
والاليوم عقدتهم قد بات منفططا
استوردوا من ديار الغرب فلسفة
أشقت بنيه .. وحلّت كل ما ربطا

لا شك أنك واجد في هذه القصيدة صدقاً في التعبير وتبياناً للحقائق، علاوة على أن تراكيبه جاءت بعيدة عن التكلف والمعاناة، ولا تجد فيها غموضاً أو اضطراباً.

ونقرأ كذلك الصدق والتعبير في نموذج آخر: في قصيدة بعنوان "ألوان من وحي المهرجان" للشاعر عمر بهاء الدين الأميري: بقوله:-

والدواهي ... وكالها دهاء
واقتسمنا .. وسادنا الدخاء
بأعادي قد عم منها البلاء
فحفت ديارنا بالأساء
طحنتها المكائد الـهوجاء
لن يموتوا .. فإنهم شـهداء
وكانت طريقـهم صناعـاء
لبيـى حكمـها الزـعمـاء

يا ابن زيدون والقررون تـولـت
الخلافـات بالخلافـة أودـت
وادـعـها قـومـية ثـم نـادـوا
سـاسـة الحـكـم نـابـذـوا شـرـوعـة اللهـ
كم أضـاعـوا باـسـم الشـعـوب شـعـوباـ
وأبـدوـوا من الرـجـال فـحـوـلاـ
أـسـلـمـوا لـلـيـهـود مـسـجـدـنا الأـقـصـى
أـي ضـيرـتـضـيـعـ منـا فـلـسـطـينـ

فـأـي شـعـر أـصـدقـ منـ هـذـا فـيـ التـعبـيرـ، وأـجـراـ فيـ الرـأـيـ، إـنـهـ شـعـرـ يـفـرضـ
بـالـصـدـقـ، وـيـنـبـضـ بـالـحـقـائـقـ المـجـرـدةـ عنـ أيـ غـرـضـ، وـدـونـ مـغـالـةـ فـيـ الـأـفـكـارـ عـلـواـ
يـذـهـبـ بـجـمـالـ الـمعـنىـ وـرـوـنـقـهـ.

وـكـذـلـكـ يـمـثـلـ صـحـةـ ماـ ذـكـرـنـاهـ مـنـ الصـدـقـ فـيـ التـعبـيرـ فـيـ قـصـيـدةـ "الـجـهـادـيـةـ"
لـلـشـاعـرـ / أـبـيـ الـفـضـلـ الـوـلـيدـ، الـذـيـ يـقـولـ فـيـهـ:

فـكـأـنـهـ بـيـنـ الشـعـوبـ سـوـامـ
إـنـ الـمـالـكـ بـالـمـلـوـكـ ضـخـامـ
الـمـسـلـمـونـ تـسـاقـطـتـ أـعـلامـهـ
لـاـ دـوـلـةـ فـيـهـ وـلـاـ مـلـكـ لـهـ

إـلـىـ غـيرـ ذـلـكـ مـنـ القـصـائـدـ وـالـمـقـطـوـعـاتـ الـمـخـلـفـةـ، وـبـالـجـملـةـ فـإـنـيـ أـعـتـقـدـ، أـنـ
هـذـهـ القـصـائـدـ وـمـاـ شـابـهـاـ مـنـ شـعـرـ الـأـصـدـاءـ جـاءـتـ صـادـقـةـ فـيـ التـعبـيرـ، وـعـرـتـ بـكـلـ
دـقـةـ عـنـ الـأـغـرـاضـ الـشـعـرـيـةـ الـتـيـ عـالـجـتـهاـ، بـعـيـدةـ عـنـ التـكـلـفـ وـالـمـغـالـةـ.

بـ - المـوـقـفـ وـالـلتـزـامـ

يـحـلـ الـكـثـيرـ مـنـ شـعـرـ الـأـصـدـاءـ الـذـيـ بـيـنـ يـدـيـنـاـ مـوـقـفـاـ مـتـمـيزـاـ يـكـادـ لـاـ يـحـدـ
عـنـهـ، خـاصـةـ فـيـماـ يـتـعـلـقـ بـالـحـنـينـ لـإـحـيـاءـ الـخـلـافـةـ إـلـسـلـامـيـةـ، وـهـذـاـ المـوـقـفـ الـمـلـتـزـمـ هوـ
خـاصـيـةـ ثـابـتـةـ لـهـذـاـ شـعـرـ وـقـاسـمـاـ مـشـترـكاـ لـهـ، وـنـظـرـاـ لـلـدـورـ الـكـبـيرـ الـذـيـ يـلـعـبـهـ شـعـرـ
فـيـ حـيـاةـ الـأـمـةـ، فـإـنـهـ لـمـ يـعـدـ تـرـفـاـ وـبـضـاعـةـ لـلـخـاصـةـ وـأـمـتـحـانـاـ لـلـذـاكـرـةـ، بـلـ اـصـبـحـ اـبـنـ

عصره وبيئته وظروفه، ولا بد أن يكون معبراً عن ذلك كله ومصورةً له، وذلك لما له من أهمية في مسيرة الأمم والشعوب، وقيمة كبيرة في معركة الصراع بين الحق والباطل، وأثر بالغ في وجدان الناس ومشاعرهم.

وقد استطاع شعر الأصداء أن يقدم لنا مجموعة من الأهداف والغايات، وأن يتناولها تناولاً جاداً ومؤثراً لسمو هذه الأهداف وشرف مرماتها، واستطاع كذلك أن يعبر عن أفكار هذا العصر وما يحيط به من أحداث.

"والالتزام" كلمة قديمة في أصل اللغة، يقال "الزمه" الشئ " والتزمه" والالتزام أيضاً الاعتقاد، ثم خصص المعاصرون هذه الكلمة في استعمالاتهم الفنية والأدبية وأصبحت مصطلحاً من المصطلحات يعني : المشاركة في قضايا الجماهير ، والعمل على حل مشكلاتهم^(١).

وما أكثر النماذج في شعر الأصداء، التي يمكن أن نستشهد بها للدلالة على هذه الخاصية، وسنكتفي بإيراد بعضاً منها، لأن مرادنا التمثيل وليس الحصر والاستقصاء.

-ففي قصيدة "الفوز بالقرآن" للشاعر / مأمون فريز جرار يقول فيها:-

والمسلمون على الدروب بلا هدى
هذا يميل إلى اليمين مغرباً
وإلى اليسار ترى فريقاً مهطعاً
ما باليمين ولا اليسار فلا حنا

فترى أن الشاعر هنا يحدد موقفه ملتزماً بمبادئ القرآن الكريم وهديه الشريف، حيث لا تستميله المذاهب والمعتقدات الغربية، أو الشرقية، وعبر عما يعتنقه ويؤمن به برؤية شعرية واضحة وبموقف إيجابي ملتزم.

(١) د / بدوي طبانه / قضايا النقد الأدبي ١٩٨٤م.

وتنتضح هذه النزعة الالتزامية أيضاً في قصيدة "عالم الإسلام" للشاعر محمد محمود الزبيري. في قوله:

يا وفود الإسلام تاريخكم ضخم
ألف عام مرت عليه ألا يكفيه
أنتم عالم من المغرب الأقصى
علم واحد وإن زعمته
عالم مسلم عنيد لا تنهيه
سوف يبقى حقيقة تملأ الأرض

ولكن هل فيكم من يعيده
هجوعه وهم وده
إلى الشرق خافقات بنوده
ألف شعب ثغوره وحدوده
ممك ن ولاته و هو يده
ويقني عدوه وحسوده

فهذا الشعر الذي يغوص بالحماسة، لا شك أنه يشكل موقفاً صلباً وقضية مصيرية تعنى الالتزام التام بوحدة المسلمين وصمودهم أمام أعدائهم الطامعين بهم. وكذلك نستطيع أن نلمح هذا الموقف الالتزامي في قصيدة "المسجد الأسير" للشاعر عبد الرحمن العبادي، الذي يتحدث فيها عن موقف السلطان عبد الحميد الثاني، الصامد برفضه للاغراءات اليهودية بغية السماح لهم بالهجرة إلى فلسطين، فيقول:

ما ساوم الأوغاد قد عرفت
فقضى شهيد القدس مَنْ
قد جدت بالنفس التي
إيه أيا عبد الحميد
بكـتـ رـايـاتـ الأـسـورـ
بكـتـ الخـالـفـةـ والـخـالـفـةـ

صلابتـهـ إـلـيـهـ يـهـودـ

لـقـدـسـ بـعـدـكـ يـاـ شـهـيدـ؟ـ

فـيـ اللـهـ لـاـ تـخـشـيـ الـوعـيدـ

كـنـتـ مـلـهـمـ هـاـ الرـشـيدـ

وهكذا نرى تجسيد الشاعر لموقف الخليفة الحازم أمام أطماع اليهود، وفي وجه الظلم والطغيان، حتى دفع ثمناً لهذا الموقف الملزם.

وفي ظل الصراع القائم بين أمة الإسلام من جهة وبين أعدائها من كل جنس ولون من جهة أخرى، ورغم الشتات والتمزق الذي لحق بهذه الأمة، نرى الشاعر / عبد الرحمن صالح العشماوي، في قصيده "حوار مع التاريخ" يؤكّد على ثبات موقفه منها، وأنه لا يزال فخوراً بها رغم جراحاتها، وأن الأمل لا يزال يملأ قلبه، ويغمر شريعة الله التي هي مصدر عزتها وكرامتها ودليلها إلى الرفعة وعلو الشأن: وذلك بقوله:

فَعِمَا قَرِيبٌ سُوفَ تَمْضِي بِهِمَةٍ
وَلَا زَلْتَ رَغْمَ الصُّدُّ وَالْهَجْرِ أَمْتَي
عَلَى قَمَةِ الإِسْلَامِ .. أَعْظَمْ قَمَةَ
وَيَهْتَفُ مَسْرُورًا بِعَزْمِي وَيَقْنَطُّي
إِذَا لَمْ نَقَمْ فِيهَا .. بِإِحْيَاءِ شَرْعَةٍ
وَأَكْبَرْ عَارَ أَنْ أَصْبِعَ ذِمَّتِي

وَإِنْ كُوكُوطَانِي تَشَتَّتَ جَمْعُهَا
أَلْيَا أَمْمَةَ الإِسْلَامِ .. لَا زَلْتَ صَادِمًا
لَكَ اللَّهُ مَا زَالَ الزَّمَانُ مَغْرِداً
هَنَا وَقَفَ التَّارِيخُ .. يَعْصُفُ بِالْأَسْيَ
بَنِي أَمْتَي .. إِنَّ الْحَيَاةَ رَحِيقَةٌ
أَفْيَقِي .. فَمَا لِلَّذِئْبِ يَا قَوْمَ نَمَّةٍ

وبهذا التناول الشعري الأخاذ، نجد أنفسنا في موقف ملزمن استطاع الشاعر أن يؤكّد فيه على صلابة هذه الأمة وثباتها رغم الصعوبات التي تكتفها وأخطار التي تحيط بها.

وهكذا وفي الكثير من نماذج شعر الأصداء نجد أمثلة لهذه المواقف الملزمة، التي يشعر قائلوها بما تشعر به أمتهم من الآم، ويتصورون ما تتصوره من أهداف وأحلام.

ج- التقريرية والخطابية:

الحنين إلى الخلافة الإسلامية، والدعوة إلى الوحدة الإسلامية، يستدعي حمل الفكر والمضمون الوحدوية في صراحتها ووضوحها، ويستوجب إحاللة المبدع إلى مثل هذا الاتجاه، ونظرًا للصلة الوثيقة للأدب في الحياة في عصرنا الحاضر، ولأهمية الشعر في حمل رسالة الأدب، فقد انغمس شعراء هذه الحقبة التي

ندرسها لها بالقيم السامية والفكر النير المشرق، وتفاعلوا مع المجتمع وما لا يشعرهم إلى الوضوح والصراحة والتقرير، وذلك لكي يكونوا أكثر قرباً والتصاقاً مع أفراد أمتنا ويدوروا في تلك تلاقي القيم الإسلامية الرفقاء.

والمتفحص لشعر الأصداء، يجد أنه يجمع أشتات الجمال وأفاناته، وأنه يختلف عند كل شاعر وشاعر، تبعاً للتجربة والوسائل الفنية لدى هذا الشاعر أو ذلك، ويبدو على الكثير منه صفة الحماسة والخطابة، حيث يقوم الشعراء باستثارة حماسة الجماهير بمعانيهم الوحدوية الملتهبة وعواطفهم المتأججة.

ولعلنا لا نعد الصواب إذا اعتبرنا أن معظم قصائد الأصياء التي بين يدينا، تتحوّل منحى النزعة الخطابية والتقريرية، جراء ما تدعو إليه من أهداف وما تحمله في ثناياها من مضامين دعوية إرشادية وحدوية.

وتنتضح مثل هذه النزعة جليّة في قصيدة "النصر للإسلام" للشاعر مأمون فريز جرار في قوله:-

وحرز وحدتنا ما مثله الدرر
ونحن أتباعه نمضي ونأثر
يظن أن ليس يعصي أمره القدر
صريحة أننا بـالله نتأمر

قرآننا يا أخي دستور نهضتنا
ودرب أحمد خير الخلق مسلكنا
فقاوموا كل طاغوت ومعتسف
وأعلنوها على الأشهاد داوية

في هذه الأبيات تبدو لنا النزعة الخطابية واضحة، وفي نفس الوقت تتضح لنا فيها الصياغة البسيطة والبعيدة عن كل محاولات الزينة والزخرفة.

وفي أبيات من قصيدة أخرى بعنوان "قصة مأساة أمّي" للشاعر / عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني تظهر النزعة الخطابية التقريرية السردية واضحة وذلك يقو له:

ذو نفـس أبيـة
 وأخـلاق زكيـة
 الكـبرى العـلـىـة
 والأـيـدي القـويـة
 وتسـقـيـه المـنـىـة
 والبـلـاـيـازـمـىـة!!
 هل سـيـأتـنـا رـشـيدـالـعـقـلـ
 زـانـهـ الإـيمـانـ بـالـلـهـ
 قـائـدـ يـرـجـعـ مـجـدـ الـأـمـةـ
 بـكـتـابـ اللـهـ وـالـسـنـةـ
 بـجيـوشـ تـهـزـمـ الـبـاغـيـةـ
 هل نـعـمـ .. فـالـصـبـحـ آـتـ

وكما ذكرنا يبدو هنا الأسلوب الخطابي واضحًا، حيث تتتنوع العبارات
 والجمل بين التقرير تارة والاستفهام والتعجب تارة أخرى.

وكثيرة هي تلك النصوص التي تمثل هذه النزعة الخطابية والتقريرية، ففي
 قصيدة "شاعر الإسلام" للشاعر الدكتور / عبد القدوس أبو صالح، تقف على هذه
 النزعة بكل وضوح، وذلك حين يخاطب الشيخ أبي الحسن الندوبي بقوله:

أتـيـناـ نـقـبـسـ الإـرـشـادـ وـقـدـاـ وـكـنـ لـهـ عـلـمـاـ وـبـنـاـ وـكـنـ لـنـاـ سـيـفـاـ وـغـمـداـ جـدـ عـهـدـكـ الـمـيمـونـ عـهـداـ التـيـ تـزـادـ مـجـداـ	إـلـيـهاـ "أـبـاـ حـسـنـ" فـاحـشـ دـعـاءـ الـمـسـلـمـينـ وـادـفـعـ بـنـاـ نـخـضـ الـضـمـارـ لـتـ هـبـ بـإـلـاسـ لـامـ وـتـقـيمـ لـإـلـاسـ لـامـ دـولـتـهـ
--	---

في هذه الأبيات التي تنسق بصدق العاطفة ومصداقية الهدف، تبرز لنا
 النزعة الخطابية في أبرز صورها نظير ما تحمله في ثناياها من المعاني المباشرة
 والأفكار الجليلة الواضحة، ونستطيع أن نلمح مثل هذه النزعة في شعر الأصياد
 في كثير من القصائد والمقطوعات. ولكننا سنكتفي بهذا القدر الذي قدمناه خشية
 الإطالة والتشعب.

د - المعاني الإسلامية:-

يتعدد في شعر الأصياء الكثير من المعاني الإسلامية والعواطف الدينية الموحية بالفكر الإيماني، والتي صاغها شعراء استوعوا المضمamins الإسلامية بكل وضوح وسلامة، وانطلقوا في عطائهم من خلال نفوس صادقة، مؤثرة للخير والرشاد، ومن الثابت أن الحافز الأساسي لمثل هذه المعاني الإسلامية التي تناولها شعر الأصياء هذا التتابع الشديد لأحداث الأمة الإسلامية، والشتات الذي تعانيه، والواقع المؤلم الذي تعانيه، فلا غرو إذن أن يؤكد الشعراء أصالة انتمائهم لهذه الأمة والظهور بمظاهر المتفاعل مع أحدها والناصح الأمين لها، وتطعيم إدعائهم الشعرية بالمعاني الإسلامية التي تذكر أبناء المسلمين بسيرتهم الغابرة وأمجادهم وتذكيرهم بالسير على نهج أجدادهم وخطا أسلافهم والخروج من النفق المظلم الذين يعيشون فيه، كما لم يفتهم مدح أبطال الإسلام ورجالاته الخالدين الذين قدموا له كل تضحية وفداء، ومن ثم الإشادة بهم وبمنجزاتهم العظيمة في سبيل سعادة أمتهم وكرامتها.

ولو رحنا نستعرض شعر الأصياء لوجدنا الكثير من القصائد أو الأبيات التي تحمل هذه المعاني وتنشغل في ثناياها، حيث أن حادث إلغاء الخلافة قد دفعهم لصياغة مثل هذه المعاني وأوجد لديهم حافزا قويا ومعينا ثرا، أسعفهم بالكثير من المضمamins التي تساهم في معالجة الأوضاع الإسلامية التي تعترض مستقبل حياتهم. ويمكن أن تقسم المعاني الإسلامية التي وظفها الشعراء في شعر الأصياء إلى ثلاثة محاور وذلك على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر والاستقصاء وهي:-

المحور الأول: المعاني التي تحمل مضمamins الوحدة الإسلامية.

المحور الثاني: معاني تطبيق الشريعة الإسلامية.

المحور الثالث: معاني الجهاد والتضحية والفاء.

و هذه المعانٰى نستطيع أن نلهمها و نتبينها في شعر الأصياء بسهولة، و حسناً
أن نستطيع بعضاً منها تدليلاً على وجودها سواء جاءت بشكل منفصل أو وردت
مشتركة مع غيرها من المعانٰى والمضامين.

و ها نحن نستعرض لهذه المحاور في شيء من الإيجاز:-

أولاً:- محور الوحدة الإسلامية:

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَإِنَّا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ ويقول : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ لِخَوْفٍ ﴾
ويقول عليه الصلاة والسلام : "المسلمون تتکافأ دمائهم، وهم يد على
من سواهم"

من هذه النصوص فهم المسلمون حقيقة الوحدة وعملوا بها وعاشوا أفراداً
وجماعات، فحرصوا أن تكون جماعتهم واحدة ودستورهم واحد، وإمامهم واحد
ولغتهم واحدة، وجيشهم واحد ليس بينهم حدود تفصلهم عن بعض يجمعهم جميعاً
كلمة التوحيد التي أمر بها ربهم وخالقهم.

ولما كانوا كذلك لم يستطع الأعداء أن ينخرروا عدوهم أو يهدموه بناءهم أو
ينالوا منهم شيئاً، بل وقفوا حائرين ومستسلمين أمام وحدة المسلمين وعزتهم.
من أجل ذلك لا تستغرب إذا ارتفع صوت شعراً المسلمين عالياً، منادين
بالوحدة الإسلامية، ونبهين على أهميتها ودورها العظيم في حياة الإسلام
وال المسلمين.

والباحث في شعر الأصياء سوف يعثر على العديد من المقطوعات والأبيات
التي تناولت بالوحدة الإسلامية أو بالحنين إلى الخلافة الإسلامية سواء كان ذلك
تلميحاً أو تصريحاً، من هذه الأشعار قصيدة "الراية الإسلامية" للشاعر إبراهيم أحمد
عبد الفتاح، إذ يقول:

لهفي على علم مال الزمان به إلى الرغام ذليل الشأن متضعاً

أقدام أعدائه حتى غدت قطعا
بين الأنام وشمل الشرق مجتمعا
وكذلك نلمح هذا المعنى في قصيدة "الأخوة الإسلامية" للشاعر عبد الرحمن العبادي بقوله:-

وأخي كل أخ في العالمين
في خطأ الخير إلى الصف دعينا
فعن الفرقة في الأمر نهينا
وحَدَّ القوم قرونَا وفرونَا
وتتمثل معاني الوحدة الإسلامية أيضاً في قصيدة "الله أكبر" للشاعر عبد الرحمن صالح العشماوي / إذ يقول:-

لا ترتضي للمسلمين سفاها
زَكِيَ النفوس بهديه وسقاها
فلترفعوها واعرفوا معناها
وكذلك تتجلى معاني هذه الوحدة في قصيدة "نحن والحالة العالمية" للشاعر / معروف الرصافي بقوله:-

نحن نَنَا بوحدة الدين
من صروف الدهر والأزمان
مرسل بالكتاب والفرقان
وأخيراً وليس آخرأ نلمح هذه المعاني الإسلامية بصور تلميحية في أبيات من قصيدة "في دار الخلافة" للشاعر مُحمد الصديق وبقوله:-

عصفت به الأهوال والأخطار
فيها يشع الحق نهار
تجلى بغير ضيائهما الأكدار
يا من يقود الراكب إن طريقنا

إن شئت نهجاً للفلاح وخطة
فأعد منارتا التي فقدت فما

يتضح لنا أن هذه الأبيات التي تصور لهفة الشعراء إلى الوحدة الإسلامية، والعودة إلى الماضي المجيد للأمة الإسلامية، مليئة بالصور الطريفة التي أحسن الشعراء اختيار أوضاعها وألوانها، وترسم ببراعة ممتازة جانباً دقيقاً من المعاني الإسلامية والعواطف الدينية التي تهم الإسلام والمسلمين.

ثانياً: محور تطبيق الشريعة الإسلامية:

الإسلام هو رسالة الله تعالى الخالدة إلى العالمين عن طريق الوحي إلى سيدنا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ)، لذلك تلاقى المسلمون بالقبول والتسليم والرضا، وعلموا أن عزتهم به وأن ذلهم بغيره، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهمما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله".

ولذلك كان الإسلام دستور المسلمين ومصدر شريعتهم، يتحاكم إليها الحاكم والمحكوم وكل من هو في ظل دولة المسلمين.

وقد حذر الله سبحانه وتعالى كل من تحاكم إلى غير شريعة الله فقال:

﴿فَلَيَحْذِرِ الَّذِينَ يَخْالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ (النور: ٦٣)

وقال ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحْدُدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا إِمَّا فَصَنَعُتْ وَإِمَّا سَلَّمُوا سَلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥)

وقال : ﴿وَمَنْ لَئِنْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

(المائدة: ٤٥)

وفي تاريخ الإسلام الطويل، لم يتخلّ المسلمون عن تطبيق شريعة الله إلا مررتين، حين احتل الصليبيون بعض بلاد المسلمين، وفي أيامنا هذه التي نحياها، بعد سقوط الخلافة الإسلامية وتقسيم بلاد المسلمين إلى دولات عديدة.

لذلك هبَّ العلماء والشعراء يستقذون هذه الأمة بمواعظهم وأشعارهم من هوة الخطر المحيط بهم، ويهيبون بال المسلمين ويزدرونهم من خطورة الابتعاد عن شرع الله.

لهذا فقد شاعت في شعر الأصياد العديد من القصائد الموحية التي تحمل هذه المعاني الإسلامية الرفيعة. وتتادي بتطبيق الشريعة الإسلامية في حياتها العامة والخاصة، والاغتراف من منهل كتاب الله الكريم وسنة نبيه الظاهر، ومن ذلك ما جاء في قصيدة: "أذان الزحف" للشاعر عمر بهاء الدين الأميركي الذي يقول:

نَحْنُ فِي يَوْمَنَا بَغِيثٍ إِذَا لَمْ نَتَخَذْ هَدِيَّ دِينَنَا فَرْقَانًا
وَاعْتَقَنَا شَرِيعَةَ اللَّهِ نَسْهَجًا وَحَثَّنَا إِلَى الْجَهَادِ خَطَانًا

وكذلك في قصيدة "الحكم بالقرآن" للشاعر إبراهيم أحمد عبد الفتاح الذي يقول:

مَتَى نَرَى عَزَّةَ الْإِسْلَامِ شَامِخَةً
وَالْحُكْمُ فِي النَّاسِ مِنْ شَرِعٍ وَقُرْآنٍ
زَمَامُ حَكَامُنَا فِي كُلِّ مِدَانٍ

أَوْ فِي قَوْلِهِ:

إِذَا أَرَدْنَا سَعَادَةً وَفَلَاحَا
فَسَبِيلُ الْقُرْآنِ خَيْرٌ سَبِيلٌ
لَيْسَ يَرْضِي الرَّسُولُ عَنَا إِذَا مَا
هُوَ شَرِعٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَاحْفَظُوهُ
وَانْتَصَارًا عَلَى الزَّمَانِ أَكِيدَا
فَلَنْحَكُمْ فِيَّا الْكِتَابُ الْمَجِيدَا
ظَلَّ حُكْمُ الْقُرْآنِ عَنَا بَعِيدَا
وَأَقِيمُوا أَحْكَامَهُ وَالْحَدُودَا

وبعد هذه الدعوات الصريحة لتطبيق الشريعة الإسلامية والحكم بما أنزل الله في كتابه العزيز، يطرق أسماعنا الشاعر / مصطفى حيدر زيد الكيلاني بقصيدته "متى الإسلام في الدنيا يسود" المجلجة التي تتدلي بالعوده إلى منابع الإسلام الصافية والتقيؤ بظلاله الوارفة حيث يقول:

مَتَى إِسْلَامُ فِي الدُّنْيَا يَسُودُ وَيَشْرُقُ بَيْنَنَا الْفَجْرُ الْجَدِيدُ

متى نستأنف الإسلام حكماً سماوياً .. تقام به الحدود

ثم يقول :

ولا ترضاوا سوى الإسلام دينا وبالإسلام قد عز الجند

ونلمح هذا المعنى أيضاً في قصيدة "الوداع" للشاعر محمد الحسناوي في قوله: لا حكم إلا شرعة الدين الحنيف ولا انقياد لشرعية الأوثان وهذا استطاعت هذه الأشعار، التي امتازت بمسوواها الفني الرفيع، أن تسجل أحاسيس المسلمين المعاصرين الذين يتطلعون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية والحكم بما أنزله الله في كتابه الكريم، والمناداة بهذا التطبيق بكل صراحة ووضوح.

ثالثاً: محور الجهاد:

الجهاد ذروة سلام الإسلام، ومصدر عزة المسلمين على مر العصور، وما تركه المسلمون في يوم من الأيام إلا سلط الله عليهم كيد الأعداء فنالوا منهم، وقد ورد في الأثر "ما ترك قوم الجهاد إلا سلط الله عليهم عدوهم فأخذ بعض ما بأيديهم".

لذلك تغنى الشعراء المسلمون بهذا الواجب الإسلامي الكبير، وابتدرروا يهيبون بالمسلمين في كل وقت يتحقق بالمسلمين شر.

وكثيراً ما سرت فكرة الجهاد في الشعر العربي منذ بزوغ الإسلام وكان غرضاً من الأغراض البارزة في الشعر، وطالما تغنى الشعراء بأشعارهم الحماسية الملتهبة بمصطلحات الجهاد المقدس، وتجسيد روحه السامية، والتي صادفت تأثيراً حسناً وقبولاً كبيراً لدى كافة أبناء المسلمين.

وكثيرة هي النصوص في شعر الأصداء التي تلألت فيها معاني وقيم إسلامية رفيعة تحث على الجهاد وتحضّ المسلمين على الدفاع عن الإسلام تماضي عن مقدساته وحرماته.

ومثلاً على ذلك نذكر الآيات التالية من قصيدة "الجهادية" للشاعر / أبو الفضل الوليد / الذي يقول فيها:

يا عكفاً حول الحطيم تحطموا
هلا بتطstem بطشةً كبرى لها
فإلى الجهاد إلى الجهاد تصارخ

فهذه النزعة الحماسية لدى الشاعر والتي تُحَضِّنُ على الجهاد، تمثل هذا المنحى أجمل تمثيل حيث التصريح بالجهاد فيها واضح وجلي، وكذلك نجد مثل هذه النزعة الجهادية في قصيدة "لا تحسين الله مخالف وعده" للشاعر / مروان العديدي، حيث يقول فيها:-

هيا فعسدو للجهاد فإننا
ونعيد أرضًا قد رواها قبلنا
قوموا لنرفع راية خفاقة
لمحمد .. إسلامنا لا يتأفل

فهذه الأبيات بأسلوبها الخطابي والحماسى أيضاً، تقرر معانى الجهاد وتحث المسلمين على رفع راية الإسلام خفاقة عالية، وهكذا يبدوا في هذا النص والنص السابق له الدعوة المباشرة للجهاد دون اللجوء إلى التلميح أو التعريض، وقد يتأتى ذكر الجهاد تعريضاً دون إعلان الدعوة له وذلك كما جاء في قصيدة "الكوكب الأول" للشاعر / يوسف إبراهيم الذى يقول فيها:

لأن يظل بأرضه الإسلام تحت سيد الله ودولة الأصنام وتعود رأيات الخلافة والجهاد

وذلك الحال في قصيدة "في مهرجان النصر" للشاعر ماجد العameri بقوله:

الله أكبر حين يحقق عاليًا
ويعود للإسلام مشرق وجهه
علم الجهاد .. وينطق البركان
في وحدة تعزّو لها الأكونان

ففي هاتين المقطوعتين الشعريتين، يعرض الشاعران بالجهاد ويوظفانه في قصيديهما بأسلوب تقريري كما ذكرنا دون اللجوء إلى دعوة المسلمين وحثهم على الجهاد كما في النصين السابقين لهما.

وهكذا يتضح لنا هذا التناول الشيق للمعاني الإسلامية والقيم الرفيعة والعواطف الدينية بشكل عام، والتي صاغها الشعراء وشحذوها بعواطفهم المتوجهة التي تلألت في أشعارهم المليئة بالصور الطريقة والظواهر الفنية الرائعة من الاستعارات والمجازات والكتابيات المختلفة، والمتكاملة الخطوط والألوان، والدقيقة التلويين والتظليل إلى حد كبير.

وقد لا حظنا كذلك أن استعمال الشعراء لهذه المعاني والمصطلحات الإسلامية، كانت لها دلالاتها وإيحاءاتها المميزة وجاءت متناسبة مع المعاني التي حملتها من غير نبو ولا غرابة. ولا إسراف، كما كان أسلوبها متميزاً، فيه من المباشرة والتكرار والجمل الإنسانية المختلفة التي تدل بمجموعها على حدة الانفعال وحرارة العاطفة وسمو القصد الشيء الكثير.

وبعد فهذه النماذج والأشعار البلاغية التعبير والبالغة التأثير، ذات القيم الفنية العالية، والتي صاغها شعراً لها ممزوجة بعواطفهم المتوجهة ومشاعرهم النبيلة، ذات الخصائص المتميزة التي تجمع بين سهولة اللفظ وعذوبته، وفخامته وقوته، وبين وضوح المعنى وعمقه، وتناسب مع جلال الحديث وخطورته، وتميز كما ذكرنا بالصدق في التعبير والالتزام في المواقف المشرفة، الطاحنة بالمعاني الإسلامية والقيم والمضامين الإنسانية الخالدة، والتي جاءت لتعكس إضافة إلى مشاعرهم مشاعر المسلمين كافة تجاه واقعهم السياسي الممزق، وقيمهم الاجتماعية المنهارة، ومنهم المقدرة على الانفعال بها، وإثارة الحنين والأمل في نفوسهم، وتهيئة الأجواء المناسبة لهم، للانتصار على أنفسهم ورصد أعدائهم والطامعين بهم، وتوحيد كلمتهم ووحدة صفهم وكيانهم بإذن الله.

الخاتمة

أحمد الله سبحانه وتعالى على ما يسره لي ووفقني إلى إكمال هذا البحث الذي أرجو أن يكون خالصاً لوجهه الكريم وبعد:-

فإنتي أحب أن أنوه في بداية هذه الخاتمة أن الغرض الأهم من هذه الدراسة كان تجسيد حدث إلغاء وسقوط الخلافة الإسلامية من خلال الشعر الذي تطرق لهذه الخلافة سواء في الرثاء أو في الحنين، حيث قمت بجمع ما تفرق من هذا الشعر في بطون الكتب والدواوين الشعرية المختلفة، وعمدت إلى اختيار الملائم منه، ومن ثم دراسته دراسة أدبية مستوفاة، كانت مادة هذا البحث الذي أضعه بين يدي المتلقى ليسهل الرجوع إليه والإطلاع على مضمونه خاصة في مثل هذه الظروف التي تمر بها أمتنا الإسلامية وما يعتورها من عوامل الضعف والتمزق والشتات، الأمر الذي يعيقها عن استرداد مكانتها وفرض هيمنتها في العالمين.

هذا وقد بنيت هذه الدراسة وأقمتها على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة:-

وقد المحت في المقدمة الأسباب التي دعتني إلى اختيار هذا البحث، والعقبات التي اعترضتني في سبيله والدراسات السابقة عنه ثم الطريقة التي اعتمدت بها في تقسيمه إلى أبواب وفصول:-

أما الباب الأول:- فقد خصصته لدراسات المقدمات التاريخية المتعلقة بالخلافة الإسلامية بصورة موجزة وذلك من حيث تعريفها وشروطها وواجباتها ومراحل تطورها منذ بدايتها حتى نهايتها مع التركيز بشكل خاص على أسباب سقوط هذه الخلافة في مراحلها المختلفة.

وفي الباب الثاني:- وهو أوسع الأبواب فقد خصصته لدراسة شعر الأصاء الذي تم اختياره من بين الشعر الذي تطرق للخلافة الإسلامية والوحدة الإسلامية، وقد قسمته إلى ستة فصول يتعلّق من أغراض الشعر الذي يدور حول الخلافة وذلك فيما يختص برثاء الخلافة والوقوف على موقع الخلافة والمداين والآثار، ورسم

صورة زاهية لها، وبين أسباب سقوطها، وذكر آثار ونتائج هذا السقوط، وأخيراً الحنين إلى الخلافة والدعوة إلى الوحدة الإسلامية، وكل ذلك من خلال النصوص الشعرية التي تحمل هذه المعاني.

أما الباب الثالث:- فقد خصصته لدراسة أهم الظواهر الفنية والبلاغية، إذ جعلت من مادة الفصول الستة لشعر الأصياء في الباب الثاني، أساساً تقوم عليه دراستي النقدية في هذا الباب، وقد استرعي انتباхи أن الطابع العام لشعر الأصياء قد اتصف بالسهولة والرقابة والوضوح في المفردات والعبارات والصور الشعرية انطلاقاً من أن هذا الأسلوب مقصود به التأثير وتنير الذيوع والتنقل والتفهم وذلك ليحدث أثره ومفعوله في العامة والخاصة بغير اضطرار إلى إجهادهم في التفهم والتفكير.

وحيث إن سقوط الخلافة الإسلامية كان صدمة قوية أثرت على الثوابت والجذور المتعارف عليها في حياة أمتنا الإسلامية، فإنني استطعت من خلال مضامين شعر الأصياء ومن الإيحاءات التي تدور حولها، أن استخلص النتائج التالية:-

- إن الخلافة كما عرفها المؤرخون: هي خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وقد ظلت هذه الخلافة طوال أكثر من ألف وثلاثمائة عام تظل المسلمين وتقيم شرع الله، وهو أول الواجبات وأعلى الضرورات.

- إن الفساد على نظام الخلافة لم يطرأ إلا منذ أن أصبحت هذه الخلافة وراثية، فخضع أصحابها لعصبية الدم والقوة، لا لأهل الحل والعقد الممثلين للأمة الإسلامية، فبعد بذلك عن تطبيق القواعد التي سنها الكتاب والسنة.

- إن المستشرقين والمؤرخين الغربيين ومن دار في فلكهم، قاموا معتمدين عن سوء نية بتشويه تاريخ الدولة العثمانية آخر ووصفها بأبغض الصور والصفات، خاصة فيما يتعلق بسيرة السلطان عبد الحميد الثاني، ذلك

التشويه الذي كان مدبراً ومقصوداً، والذي وقفت وراءه القوى الصليبية والصهيونية والماسونية، والتي ساهمت مجتمعة أو منفردة مع غيرها من العوامل والأسباب في إسقاط الدولة العثمانية.

- إن قوة العرب ومجدهم يتحقق بتطبيق قواعد الإسلام والوحدة الإسلامية، ونشر اللغة العربية في جميع ديار الإسلام، وإن الدعوة إلى القومية العربية إذا استطلت برأية الإسلام كانت دعوة طيبة ومحبولة لدى كافة أبناء المسلمين، وإذا لم تعرف بذلك الرأي أو تستظل بها فلن يكون لها شأن يذكر، ولن تورث العرب إلا مزيداً من اليأس والشقاوة.

- إن الصفة الغالبة على شعر الأصداء هي الوضوح والصراحة والبعد عن الغموض والتلفظ، كما أنه يمتاز بالعاطفة الصادقة والوجدان الحار، وتسود فيه النزعة التقريرية والخطابية، وتتمثل فيه الوحدة العضوية وال موضوعية، وتسرى بين ثناياه المعاني الإسلامية التي تتناسب مع حدث سقوط الخلافة من حيث على الجهاد، واستهانه بهم والدعوة إلى الوحدة الإسلامية، إلى غير ذلك من المعاني والمضامين، وكل ذلك بأسلوب أدبي رائع وحافل بالظواهر الفنية والبلاغية الراقية.

وأخيراً فإنني لا أزعم أنني قد أتيت بالجديد المعجز في هذه الدراسة، ولكنني أؤكد أنني قد بذلت قصارى جهدي، وقد صرت وجه الحق والصدق في تقديم ما يميله عليه واجبي وضميري في سبيل خير هذه الأمة وقضاياها المصيرية، والله أسأل أن يكون هذا البحث حافزاً ومشجعاً للباحثين على تناول هذا الموضوع من جوانب أخرى أشمل وأكثر عمقاً وسد الثغرات التي غفلت عنها.

وبهذا أكون قد أتيت على نهاية هذا العرض الموجز لأبواب هذه الدراسة والمعالم البارزة فيها ونتائجها، فإن حفقت بعض أهدافها فهو ما قصدته وعملت من أجله، وإن جانبت الصواب فما أنا إلا طالب علم أخطئ وأصيб والكمال لله وحده والله من وراء القصد.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٠ كتب التاريخ والدراسات التاريخية

- ١- عبد الرحمن بن خلدون / مقدمة بن خلدون ج ١.
- ٢- الماوردي / الأحكام السلطانية.
- ٣- الجرجاني / كتاب التعريفات.
- ٤- ابن حزم / الفصل في الملل والنحل.
- ٥- محمد بن علي طباطبا / الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية.
- ٦- محمد حرب عبد الحميد / تاريخ الدولة العلية العثمانية.
- ٧- محمود شاكر / التاريخ الإسلامي ج ٣ + ٤ + ٩.
- ٨- محمد ضياء الدين الرئيس / النظريات السياسية الإسلامية.
- ٩- د. صلاح الدين دبوس / الخليفة توليه وعزله.
- ١٠- محمد كاظم حبيب / مؤامرة فصل الدين عن الدولة.
- ١١- د. عبد الرحمن العبادي وآخرون / الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها.
- ١٢- د. سليمان أحمد العمري / نظام الحكم في الإسلام هل هو الخلافة.
- ١٣- د. محمد الصادق عفيفي / المجتمع الإسلامي وأصول الحكم.
- ١٤- أنور الرفاعي / تاريخ العرب والإسلام.
- ١٥- محمد علي صناوي / الطريق إلى حكم إسلامي.
- ١٦- د. حسن ريان ومحمود الطوالبة / مذكرة في تاريخ العرب الحديث.

١٧ - د. عبد الحليم عويس / أوراق ذليلة من حضارتنا.

١٨ - السيد أبو الحسن الندوي / ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.

١٩ - تابع: كتب اللغة والدراسات الأدبية.

٢٠ - ١- ابن منظور / لسان العرب.

٢١ - ٢- الفيروز أبادي / القاموس المحيط.

٢٢ - ٣- د. عبد الرشيد عبد العزيز سالم / دولة الخلافة وشعر الوطنية.

٢٣ - ٤- د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الثبيان / الوحدة الإسلامية للشعر العربي الحديث.

٢٤ - ٥- د. إحسان حقي / آراء في محاضرات مؤسسة الرسالة، طبعة ١، ١٩٨٥ م.

٢٥ - ٦- د. محمد محمد حسين / الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر.

٢٦ - ٧- أحمد الشايب / أصول النقد الأدبي ط٧، ١٩٦٤ م.

٢٧ - ٨- ناصر بن عبد الرحمن الخنين / الالتزام الإسلامي في الشعر.

٢٨ - ٩- جبور عبد النور / المعجم الأدبي.

٢٩ - ١٠- د. يوسف عز الدين / التجديد في الشعر الحديث، بواعظه النفسية وجذوره الفكرية.

٣٠ - ١١- أحمد عبد اللطيف الجدع، وحسني أدهم جرار / شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ج ١٠ / ١٠.

٣١ - ١٢- أحمد حسن الزياد / تاريخ الأدب العربي.

٣٢ - ١٣- د. ويليام الخازن / الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية.

٣٣ - ١٤- محمد إبراهيم المطرودي / الشريف الرضي وأدبه.

١٥ - د. محمد أحمد العزب / عن اللغة والأدب والنقد رؤيا بلاغية ورؤية فنية.

١٦ - د. إبراهيم الحاوي / حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي.

١٧ - د. بدوي طبانة / قضايا النقد العربي.

١٨ - خليف سعد خليف / الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي المعاصر.

١٩ - د. عبد الفتاح صالح نافع / لغة الحب في شعر المتّبّي.

٢٠ - د. أحمد محمود أبو عجمية وأخرون / علوم البلاغة.

٢١ - الجاحظ / البيان والتبيين .

٢٢ - أحمد بسام ساعي / حركة الشعر الحديث من خلال أعماله في سوريا – دار المأمون.

٢٣ - محمد علي الهاشمي / أثر الإسلام في الشعر العربي الحديث.

٢٤ - د. عمر موسى باشا / تاريخ الأدب العربي في العصر العثماني.

٢٥ - د. بكري شيخ أمين / مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني.

دوّاين الشعر *

- ١ - أحمد شوقي / الشوقيات.
- ٢ - احمد شوقي / الشوقيات المجهولة.
- ٣ - حافظ إبراهيم / ديوان حافظ إبراهيم.
- ٤ - محمد عبد المطلب / ديوان محمد عبد المطلب.
- ٥ - أحمد محرم / ديوان محرم السياسات ح ٢ مكتبة الفلاح الكويت ط ١٤٠٥.

- ٦ - محمد الشاذلي الخزنة دار / ديوان الخزنة دار / الدار التونسية للنشر.

- ٧ - محمود غنيم / ديوان صرخة في واد.

- ٨ - عمر بهاء الدينالأميري / ديوان الزحف المقدس / دار الضياء للنشر والتوزيع عمان الأردن ط ١٩٨٩ / وديوان آذان الزحف.

- ٩ - مأمون فريز جرار / قصائد للفجر الآتي / دار مكة / ط ١٩٨١ م.

- ١٠ - يوسف القرضاوي / ديوان نفحات ولفحات / دار الضياء للنشر / ط ١٩٨٨ م.

- ١١ - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني / أقباس في منهج الدعوة وتوجيهه الدعائية / دمشق / ط ١٩٨٦ م.

- ١٢ - د. عدنان علي رضا النحوي / ديوان جراح على الدرج / دار النحوي للنشر / ط ٢٠٠٧ هـ.

- ١٣ - د. عدنان علي رضا النحوي / ملحمة القسطنطينية / ط ١٩٨٨ م.

- ١٤ - محمد الصديق / ديوان نداء الحق / دار الضياء للنشر / ط ٢٠٠٤ هـ.

- ١٥ - د. جميل علوش / ديوان مواكب الربيع / منشورات وزارة الثقافة الأردنية / ١٩٨٥ م.

- ١٦ - أبو الفضل الوليد / ديوان أبو الفضل الوليد.

- ١٧ - وليد الأعظمي / ديوان أغاني المعركة / ط ١٩٦١ م.

- ١٨ - محمد ناصر المزنبي / ديوان القائد الشهيد مروان حديد / ط ١٩٨٣ م.

- ١٩ - أحمد أبو بكر / ديوان الوداع المر / ١٤١٠ هـ.

٢٠ - يوسف العظم / في رحاب الأقصى.

٢١ - عبد الرحمن صالح العشماوي / ديوان يا أمة الإسلام.

٢٢ - محمد هاشم رشيد / ديوان الأعمال الشعرية الكاملة / منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي.

٢٣ - عبد الرحمن سليمان رفه / ديوان جداول وينابيع / ط ٤٠١ هـ / منشورات نادي المدينة.

٢٤ - محمد مصطفى البلخي / ديوان قنديل السعادة / دار المراجع للنشر والتوزيع / ١٩٨٩ م.

٢٥ - محمد كامل الآني / ديوان عصارة الفؤاد.

٢٦ - د. عبد الله أحمد قادری الأهل / ديوان هتاف العزة والمجد / دار المجتمع للنشر ط ١٤١١ هـ.

٢٧ - محمد الأخضر السائحي / ديوان الإسلامية / المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر / ١٩٨٤ م.

٢٨ - محمود مفلح / ديوان شموخاً أيتها المآذن.

٢٩ - صالح عبد الله الجيتاوي / ديوان صدى الصحراء.

٣٠ - الشيخ محمد المجنوب / ديوان آلام وأحلام.

٣١ - محمد مصطفى حمام / ديوان حمام.

٣٢ - معروف الرصافي / ديوان معروف الرصافي.

٣٣ - رابطة الأدب الإسلامي / من الشعر الإسلامي الحديث / مختارات من شعراء الرابطة / ط ١ / دار الشير للنشر والتوزيع.

٣٤ - عبد الكريم الكرمي / ديوان الشيخ سعيد الكرمي وحياته.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	الإهداء -
٥	المقدمة -
٩	الباب الأول -
١١	تمهيد -
١٣	الفصل الأول : الخلافة وال الخليفة تعريفات وشروط وواجبات . -
٢٩	الفصل الثاني : مراحل وأطوار الخلافة الإسلامية . -
٣٢	المرحلة الأولى : الخلافة الراسدة . -
٣٥	المرحلة الثانية : الخلافة الأموية . -
٤١	المرحلة الثالثة : الخلافة العباسية . -
٥٢	الباب الثاني : شعر الأصداء -
٧٧	تمهيد -
٨٩	الفصل الأول : رثاء الخلافة الإسلامية والتحسر عليها -
٩١	توطئة -
١١٩	الفصل الثاني : الوقوف على مواقع الخلافة والمدائن والأثار -
١٢١	توطئة -
١٤٣	الفصل الثالث : الصورة الزاهية للخلافة ورموزها -
١٦٥	الفصل الرابع : أسباب سقوط الخلافة -
١٦٧	توطئة -
١٩١	الفصل الخامس : آثار ونتائج سقوط الخلافة -
٢٢٩	الفصل السادس : الحنين إلى إحياء الخلافة والدعوة إلى الوحدة الإسلامية -

الصفحة	الموضوع
٢٧٩	- الباب الثالث : الظواهر الفنية والبلاغية في شعر الأداء
٢٨١	- توطئة
٢٨٣	- الفصل الأول : الظواهر الفنية والبلاغية من حيث :
٢٨٥	- أ- المعجم الشعري
٢٨٧	- ب- البناء الفني
٢٩٠	- ج- الوحدة الموضوعية
٢٩٢	- د- الموسيقى
٢٩٤	- هـ- الظواهر البلاغية
٣١١	- الفصل الثاني : السمات العامة والخصائص المشتركة من حيث :
٣١٤	- ١- الصدق في التعبير
٣١٥	- ٢- الموقف والالتزام
٣١٨	- ٣- التقريرية والخطابية
٣٢١	- ٤- المعاني الإسلامية
٣٢٩	- الخاتمة
٣٣٣	- المصادر والمراجع
٣٣٩	- فهرس الموضوعات

رَفِعٌ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَخْرَجِيِّ
أُسْكَنَهُ اللَّهُ لِلْفَزْوَافِ

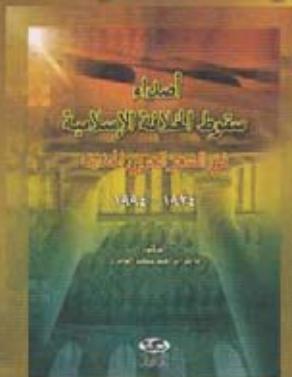
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفِعٌ

بعن الرَّحْمَنِ الْجَنَّى
الْأَسْنَى لِلَّهِ الْغَرْبَى
www.moswarat.com

أصوله
سُورَطُ الْخَلَائِفَ الْإِسْلَامِيَّةُ
في الْمُهْرَ العَرَبِيِّ الْمُدْرِقِ



دار الكتاب الفقاهي

الاردن، ابو نعيم، شارع الحمامنة

تلفون: 06 533 4444

فاكس: 06 533 4445

fax: 06 533 4445

